اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة في صدورهم
من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا
وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم تحص آيات القرآن قرأ
ابن كثير وابو عمرو من وراء جدار على التوحيد والباقون من وراء جدر على الجمع وفي الشواذ قراءة ابي رجاء وابي حية جدد بسكون الدال الجدة
قال ابو علي المعنى في الجمع انهم لا يصرون نصرهم للقتال ولا يبرزون لكم ولا يقاتلونكم حتى يكون بينكم وبينهم حاجز من حصن او سور
فاذا كان ذلك فالمعنى على جميع القراءات انهم يقاتلونهم من وراء جدار واحد وكون من وراء جدر كما لا يقاتلونكم الا في قرى محصنة
فكما ان القرى جماعة كذلك الجدر ينبغي ان يكون جمعا فكان المراد في الافراد الجمع لانه يعلم انهم لا يقاتلونهم من وراء جدار واحد
قال ابن جني ويجوز ان يكون جدد تكسير جدار فيكون الف جدار في الواحد كالف كتاب وفي الجمع كالف ظراف وكرام ومثله ناقة
حسان وثوب جمال ودرع دلاص وادرع دلاص قال ومثله قوله سبحانه واجعلنا للمتقين اماما يكون اما جمع امام على ما
شرحناه الا ترى انه لما اتم اشد رهبة في صدورهم من الله اي من رهبة الله اي من رهبتهم الله فخفف كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم
كمثل الذين من قبلهم فخفف المبتدأ وكذلك قوله كمثل الشيطان الخ لما وصف سبحانه المهاجرين الذين هاجروا الديار
والاوطان ثم مدح الانصار الذين بنوا الدار والايمان ثم ذكر التابعين باحسان وما استحقوه من الغنم في الجنان عقب ذلك
بذكر المنافقين وما اسروه من الكفر والعصيان فقال المرتش بالجحد الى الذين نافقوا قالوا اظهروا الكفر واظهروا الايمان يقولون
لاخوانهم في الكفر يعني يهود بني النضير لئن اخرجتم من دياركم وبلادكم لنخرجن معكم مساعدين لكم ولا نطيع فيكم اي في قتالكم
ولا معكم احدا ابدا يعينونه محمدا واصحابه وعندوهم النصر يقولهم وان قوتلتم لننصرنكم اي ولئن فعلتم عنكم ثم كذبهم الله في
ذلك بقوله والله يشهد انهم لكاذبون فيما يقولونه من الخروج معهم والدفاع عنهم ثم اخبر سبحانه انهم يخلفونهم ما وعدوهم
من النصر والخروج بقوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم اي ولئن قدر وجود نصرهم
كان ما نفاه الله تعالى لا يجوز وجوده ليولن الادبار يعني هزموا لا تناقض بين قوله لا ينصرونهم وقوله ولئن نصروهم وقد اخبر الله
سبحانه في هذه الآية عما لا يكون منهم لو كان كيف كان يكون لم لا ينصرونه اي ولو كان لهم هذه القوة وفعلوا لم ينتفع اولئك
بنصرتهم نزلت الآية قبل اخراج بني النضير واخرجوا بعد ذلك وقد قالوا لهم يخرج معهم منافق ولا ينصرونهم كما اخبر الله سبحانه
بذلك وقيل اراد بقوله لاخوانهم بني النضير بني قريظة فاخرج بنو النضير ولم يخرج معهم احد من بني قريظة فلم ينصروهم ثم
عاتب سبحانه المؤمنين فقال لانتم اشد رهبة اي خوفا في صدورهم اي في قلوبهم للمنافقين من الله المعنى ان خوفهم منكم اشد
من خوفهم من الله لانهم يشاهدونكم ويعرفونكم ولا يعرفون الله وهذا قول ذلك بانهم قوم لا يفقهون الحق ولا يعلمون عظمة
الله وشدة عذابه بانتم اشد رهبة في صدورهم من الله لا يقاتلونكم معاشر المؤمنين الا في قرى محصنة اي محصنة حصينة المعنى انهم لا يبرزون لحربكم ولمقاتلتكم
محصنين بالقرى او من وراء جدار اي يرمونكم من وراء الجدران بالنبل والحجارة باسهم بينهم شديد اي عداوة بعضهم لبعض شديدة
اي انهم ليسوا بمتفقي القلوب وقيل معناه توبيخهم فيما بينهم شديدة فاذا لاقوكم جبنوا وفروا تحسبهم متكم يا معشر المؤمنين
وحسب تحسبهم جميعا اي مجتمعين في الظاهر وقلوبهم شتى اي مختلفة متفرقة خذلهم الله سبحانه باختلاف كلمتهم وقيل انه
عنى بذلك قلوب المنافقين واهل الكتاب عن مجاهد ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه الرشد ما فيه الغي ولذلك كان قلوب
من يجعل بخلاف العقل شتى لاختلاف دواعيهم واهوائهم ودواعي الحق واحد وهو العقل الذي يدعو الى الطاعة واداء الاحسان
في الفعل كمثل الذين من قبلهم قريبا اي مثلهم في اغترارهم بغرورهم وتقويتهم فيقول المنافقين كمثل الذين من قبلهم يعني
المشركين الذين قتلوا ببدر وذلك قبل غزاة بني النضير بستة اشهر عن الزهري وغيره وقيل انهم الذين من قبلهم قريبا هم بنو
قينقاع عن ابن عباس وذلك انهم نقضوا العهد ورجع رسول الله من بدر فنازلهم رسول الله اذ يخرجوا فقال عبد الله بن
ابي لا اخرجوا فاني اني اني فاكلة فيكم اوادخل معكم لحصن فكان هو كما ايضا في ارسال عبد الله بن ابي اليهم ثم تركه نصرتهم

كاولئك ذائقا وبال امرهم اى عقوبة كفرهم ولهم عذاب اليم فى الآخرة قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر
فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا
الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون لو انزلنا
اللغة اصل غد غدو والاشارة فى القرآن الا الحذف الواو وجاء فى الشعر بحذف الالف اثباتها قال الشاعر فى اثباتها واما الناس
الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع وقال آخر لا تطلبوها واطلبوها فانتم الى الصيد ثم عرب بعد
لليهود والمنافقين مثلا فقال كمثل الشيطان اى مثل المنافقين فى غرورهم بنى النضير حين لا نصركم يا هم كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر وهو عابد بنى اسرائيل عن ابن عباس قال كان عابد اسمه برصيصا عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين
بداويهم ويعوذهم فيبرأون على يده وانه اتى بامرة فى شرف وجمال وكان لها اخوة فاتوه بها فكانت عنده فتمكن الشيطان
يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقى اخوتها فاخبرهم
بالذى فعل الراهب وانه دفنها فى مكان كذا فاتى اخوتها رجلا رجلا نذكر له فجعل الرجل يلقى اخاه فيقول واصفا ذاك
آت فذكر لى شيئا يكبر على ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس خلفه حتى نزلوه فاخرجها بالذى فعل
فامر به فصلب فلما رفع على خشبة تمثل له الشيطان فقال انا الذى القيتك فى هذا فهل انت مطيعى فيما اقول لك اخلصك مما انت
فيه قال نعم قال اسجد لى سجدة واحدة فقال كيف اسجد لك وانا على هذه الحالة اتقى منك بالايمان فاوعر له بالسجود وكفر بالله
وقتل الرجل فهو قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك خرب الله هذه القصة لبنى النضير حين
اغرتهم بالمنافقين ثم تبرأ منهم عند الشدة واسلمهم وقيل اراد كمثل الشيطان يوم بدر اذ زين لهم الحرب رسول الله فلما رأى
الملائكة رجع القهقرى وقال انى اخاف الله وقيل اراد بالشيطان ابا جهل والانسان اسم للجنس لا للمعهود كان الشيطان اغوى بعضا
الانسان الى الكفر ثم يتبرأ منه وقت الحاجة عن مجاهد وانما يقول الشيطان انى اخاف الله رب العالمين يوم القيمة ثم ذكر
سبحانه انهما صارا الى النار بقوله فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها يعنى عاقبة الغاوين الداعى والمدعو من
الشيطان ومن اغواه من المنافقين واليهود انهما معذبان فى النار وذلك جزاء الظالمين اى وذلك جزاؤهم ثم رجع الى موعظة
المؤمنين فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد يوم القيمة والمعنى لينظر كل امرء ماذا
قدم لنفسه اعمالا صالحة تنجيه ام سيئا يبقه ويرديه فانه وارد عليه قال قتادة ان ربكم قريب الساعة حثه جل اسمه عبده
بالتدبر والتفكر فيما قدم وكتب الله عليه بخير بما تعملون انما كرر الامر بالتقوى لان الاول للتوبة مما مضى من الذنوب والثانية
لاتقاء المعاصى فى المستقبل وقيل ان الثانية تاكيد للاولى ولا تكونوا كالذين نسوا الله اى تركوا اوامر الله فانساهم انفسهم
بان حرمهم حظوظهم من الخير والثواب وقيل نسوا الله بترك ذكره من الشكر والتعظيم فانساهم انفسهم بالعذاب الذى نسى به
بعضهم بعضا كما قال فسلموا على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض عن الجبائى وبين بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع عن
عباس اولئك هم الفاسقون الذين خرجوا من طاعة الله الى معصية لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة اى لا يستوى الكافر
هذا ليستحقوا النار واولئك ليستحقوا الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون بثواب الله الظافرون بطلبتهم قوله تعالى
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
هو الله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات
والارض وهو العزيز الحكيم اربع آيات فضلها على سائر ما نزل من قوله آخر الحشر عن ابى امامة قال من قرأ آخر الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر عن
معقل بن يسار ان رسول الله صلعم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر

الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قال حين يمسي كان بتلك المنزلة وعن ابي هريرة سألت حبيبي رسول الله عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر بكثرة قرائتها فاعدت عليه فاعاد علي وعن ابي امامة عن النبي ﷺ قال من قرأ خواتيم الحشر من ليل او نهار فقبض في ذلك اليوم او الليلة فقد اوجب الجنة وعن انس عن النبي ﷺ قال من قرأ فواتح زلزلنا هذا القرآن الى آخرها فمات من ليلته مات شهيدا اللغة التصدع التفرق بعد التلاؤم وشقه الفطر يقال صدعه يصدعه ومنه الصداع في الرأس والقدوس المعظم بتطهيره صفاته من ان يدخلها صفة نقص قال ابن جني ذكر سيبويه في الصفات السبوح والقدوس والسبوح والقدوس بالفتح والضم وانما باب الفعول الاسم كشوط وسحور وتنور وفلوس والمهيمن اصله مؤيمن على مفيعل من الامانة فقلبت الهمزة هاء فتح اللفظ بها لتفخيم المعنى الحشر ثم عظم سبحانه حال القرآن فقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله تقديره لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن ويشعر به مع غلظه وجفاء طبعه وكبر جسمه لخشع متزلزلا وتصدع من خشيته تعظيما لشأنه فالانسان احق بهذا لو عقل الاحكام التي فيه وقيل معناه لو كان الكلام ببلاغته وصدع الجبل لكان هذا القرآن بصدعه وقيل ان المراد بر ما تقتضيه الظاهر بدلالة قوله وان منها لما يهبط من خشية الله وهذا وصف للكافر بالقسوة حيث لم تكن قلبه لمواعظ القرآن الذي لم تزل على الجبل تخشع ويدل على ان هذا تمثيل قوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اي ليتفكروا ويعتبروا ثم اخبر سبحانه بربوبيته وعظمته فقال هو الله الذي لا اله الا هو المستحق للعبادة الذي لا تحق العبادة الا له عالم الغيب والشهادة اي عالم بما شاهده العباد وعالم بما يغيب عنهم علمه وقيل علم الغيب سمعناه عالم بما لا يقع عليه الحس من المعدوم والموجود الذي لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كافعال القلوب وغيرها والشهادة اي عالم بما يصح عليه الادراك بالحواس وقيل معناه عالم السر والعلانية عن الحسن وفي هذا وصفه سبحانه بانه عالم بجميع المعلومات لانه لا تعدو اهذين القسمين وعن ابن جبير قال الغيب ما لم يكن والشهادة ما كان هو الرحمن اي المنعم على جميع خلقه الرحيم بالمؤمنين ثم اعاد سبحانه قوله هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس يعني السيد المالك لجميع الاشياء الذي له التصرف فيها على وجه ليس لاحد منعه منه وقيل هو الواسع القدرة القدوس اي الطاهر من كل عيب ونقص وآفة المنزه عن القبائح وقيل هو المطهر عن الشريك والولد لا يوصف بصفات الاجسام ولا بالتجزية والانقسام وقيل هو المبارك الذي ينزل البركات من عنده عن الحسن السلام اي الذي سلم عباده من ظلمه وقيل هو المسلم من كل عيب ونقص وآفة وقيل هو الذي من عنده [illegible] عن المباي وعوايم من السلامة فاصله مصدر [illegible] الجدال والجلالة المؤمن الذي آمن خلقه من ظلمه لهم او قال لا يظلم مثقال ذرة عن ابن عباس وقيل الذي آمن بنفسه قبل ايمان خلقه به عن الحسن واشار الى قوله شهد الله انه لا اله الا هو الآية والمعنى انه بين لخلقه توحيده والهيته بما اقام لهم من الدلايل وقيل معناه المصدق لما وعده الحق له كالمؤمن الذي يصدق قوله فعله وقيل هو الذي آمن اولياءه عذابه وقيل هو الداعي الى الايمان الآمر به الموجب لاهله اسمه عن ابي مسلم المهيمن اي الامين حتى لا يضيع لاحد عنده حق عن ابن عباس والضحاك والجبائي وقيل هو الشاهد عن مجاهد وقتادة كانه شهيد على ايمان من آمن به وقيل هو المؤمن في المعنى لان اصله المؤيمن الا انه اشد مبالغة في الصفة وقيل هو الرقيب على الشيء يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن اذا كان رقيبا على الشيء العزيز اي القادر الذي لا يعجم عليه القهر وقيل هو المنيع الذي لا يرام ولا يمتنع عليه مرام الجبار وهو العظيم الشأن في الملك والسلطان ولا يستحق ان يوصف على هذا الاطلاق الا الله تعالى قال وصف به العبد فانما يوضع اللفظ في غير موضعه ويكون ذما وقيل هو الذي يذل له من دونه ولا يمتنع وقيل هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما اراد عن السدي ومقاتل وهو اختيار الزجاج فيكون من جبر على كذا اذا اكرهه وقيل هو الذي يجبر الفقير من قولهم جبر الكسير اذا اصلحه عن واصل بن عطاء المتكبر اي المستحق لصفات التعظيم وقيل هو الذي يكبر عن كل سوء عن قتادة وقيل هو المتعالي عن صفات المحدثين المتعظم عما لا يليق به سبحانه الله عما يشركون اي تنزيها له عما يشرك به المشركون من الاصنام وغيرها هو الله الخالق

للاجسام والاعراض المخصوصة وقيل المقصد للاشارة بحكمة الحدوث الاشارة على ارادته الباري المنشئ لخلق الفاعل للاجسام والاعراض المصور الذي صور الاجسام على اختلاف اجناس الحيوان والجاد له الاسماء الحسنى بخواصه الرحمن الرحيم القادر العالم الحي وقدر معناه في سورة الاحزاب يسبح لله ما في السموات والارض اي ينزهه عن جميع الاشياء فالحي يصفه بالتنزيه عن الجهال يدل على تنزيهه وهو العزيز الحكيم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله اسم الله الاعظم في ست ايات في اخر سورة الحشر سورة الممتحنة وقيل سورة الاعضاء وقيل سورة المودة مدنية ثلث عشرة آية بالاجماع تضاهيها في عدد الحروف قال قال رسول الله صلعم من قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون له شفعاء يوم القيمة ابو حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عن قال من قرأ سورة الممتحنة في فريضته و نوافله امتحن الله قلبه الايمان ونور ابصره ولا يصيبه فقر ابدا ولا يجنونه في ولده ولا في بدنه تفسيرها لما ذكر صحابة في سورة الحشر الكفار والمنافقين افتتح هذه السورة بذكر تحريم موالاتهم وايجاب معاداتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وايا كم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم خمس ايات قرأ اهل الحجاز وابو عمرو بينكم بضم الباء وفتح الصاد على التخفيف وقرأ اهل الكوفة غير عاصم بفصل بضم الباء وكسر الصاد مشددا وقرأ عاصم ويعقوب وسهل بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وقرأ ابن عامر بفصل بضم الباء وفتح الشاد مشددا وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمر ابراء منكم على مثال فعال كحمر قال ابو علي ذهب ابو الحسن في هذا الى ان الظرف اقيم مقام الفاعل وتقدير الفتح الذي كان يجري عليه في الكلام لو جرى في اكثر الكلام منصوبا وكذلك يقول في قوله تعالى وانا منا الصالحون ودونا ذلك وكذلك بيننا في قياس قوله لقد تقطع بينكم فالفتح على قوله مفتوح والوضع رفع والقول في قراءة ابن عامر بفصل مثل القول في بفصل وقول عاصم بفصل حسن والضمير يرجع الى الله تعالى ودل عليه قوله ويعلم ما اعلنتم وما تعلنون وكذلك قول من قرأ بفصل ويرى في تكسيره اربعة ابنية اكثر من عشرة وشركاء وهي قراءة الجماعة وبراء كظريف وظراف وبرياء كصديق واصدقاء وعبراء كتوأم وتوائم ورباب في اسم الحارث بن مضاض فانا من قتلهم لبراء قال العجاج ابرا سرا آه فحذف الهمزة التي هي لام تخفيفا واخذ هذا الوضع من ابي الحسن في قوله ان اشياء اصلها اشيئاء وهذا المذهب يوجب ترك صرف براء لانه همزة التانيث الاعراب ذهب الزجاج الى ان التقدير ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقيل ان الكلام قد تم عند قوله اولياء ثم قال يلقون اليهم فحذف الهمزة كقوله وتلك نعمة تمنها علي وتقديره اوتلك نعمة وقيل ان قوله تلقون اليهم بالمودة في موضع النصب على الحال من الضمير في لا تتخذوا والباء زائدة والتقدير تلقون اليهم المودة كما قال الشاعر فلما ورجت بالشرب هزلها العصا شجي له عند الازار نهيم اي رجت الشرب ويجوز ان يكون تلقون صفة لعدوي فالباء متعلق به اي تلقون اليهم اخبار ويجوز ان يكون تلقون في موضع نصب على الحال من العدو المضاف الهاء والميم في تلقون اليهم واياكم منصوب بالعطف على الرسول ان كنتم خرجتم جواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه اي ان كنتم خرجتم جهادا في سبيل فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وجهادا منصوب اي للجهاد ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال وابتغاء مرضاتي معطوف عليه على الوجهين والتقدير للحال خرجتم مجاهدين في سبيلي مبتغين مرضاتي وحده يجوز ان يكون مصدر احذف الزوائد والتقدير توحدوني توحيدا او توحدونه اتحادا وضع موضع الحال ويجوز ان يكون مصدرا لفعل ثلاثي تقديره يحدونه وحده والتقدير حتى توحدوا الله واحدا

٣٥٣

قول ابراهيم منصوب على الاستثناء والمستثنى منه الضمير المستكن فيما يتعلق به اللام في قوله قد كانت لكم اسوة والتقدير قد ثبت لكم
ابراهيم الا في قوله لاستغفرن لك النزول نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هشام اتت
رسول صه من مكة الى المدينة بعد بدر بسنتين فقال لها رسول الله اسلمة جيئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاصل والعشيرة
والولد وقد ذهب موالي واحببت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتمتارون وتكسوني وتحملوني قال فاين انت من شباب مكة وكانت
مغنية نائحة قالت ما طلب مني بعد وقعة بدر غنث رسول الله صه عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها واعطوها
نفقة وكان رسول الله صه حث اهل مكة فاتاها حاطب بن ابي بلتعة فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير عن عباس
بعشرة دراهم عن مقاتل بن حيان وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم
فخرجت سارة ونزل جبرئيل فاخبر النبي صه بما فعل فارسل رسول الله عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد
وكلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها
فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي ذكر رسول الله فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فحركوا رحلها وفتشوا
متاعها فلم يجدوا معها كتابا فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا والله اخرب
عليك فلما رات الجد اخرجت من ذوابتها فدفعته اليها فاخرجوا بالكتاب الى رسول الله صه فارسل الى حاطب فاتاه فقال
له هل تعرف الكتاب قال نعم قال له فما حملك فقال يا رسول الله والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم
منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا اي غريبا وكان اهلي بين ظهرانيهم
فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا صدقت رسول الله
صه فقام عمر بن الخطاب وقال دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على
اهل بدر فغفر لهم فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفي الصحيحين عن عبيد الله بن ابي رافع قال سمعت
عليا ع يقول بعثنا رسول الله صه انا والمقداد والزبير وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب
فخذوه منها وذكر نحوه العسقلاني يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء خاطب سبحانه المؤمنين وانهاهم ان تتخذوا
الكفار اولياء يوالونهم ويستخبرون بهم وينصحونهم تلقون اليهم بالمودة اي تلقون اليهم المودة وتبذلون لهم النصيحة يقال
القيت اليك بسري وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبي صه بالمودة التي بينكم وبينهم عن الزجاج وقد كفروا بما جاءكم من الحق
يعني القرآن والاسلام يخرجون الرسول واياكم من مكة ان تؤمنوا بالله ربكم اي لان تؤمنوا بالله ربكم ان كان خروجكم في خروجكم لجهاد
وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوهم اولياء تسرون اليهم بالمودة اي تعلمونهم اسراركم في السر
بينكم وبينهم مودة وقيل الباء للتعليل اي تعلمونهم باحوال النبي صه في السر بالمودة التي بينكم وبينهم فعل من يظن ان يخفى
عليه ما يفعله وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم لا يخفى علي شيء من ذلك فاطلع رسوله عليه ومن يفعله منكم اي ومن اسر اليهم بالمودة
فقد اخطأ قصد السبيل اخبار رسولي منكم بجماعة المؤمنين بعد هذا البيان فقد ضل سواء السبيل اي عدل عن طريق الحق وجار عن سبيل
الرشد وفي هذه الآية دلالة على ان الكبيرة لا تخرج عن الايمان لان احدا من المسلمين لا يقول ان حاطبا قد خرج من الايمان بما فعله
من الكبيرة للواقعة ان يثقفوكم يعني ان هؤلاء الكفار ان يصادفوكم تقهرونهم ويظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم
بالقتل والضرب والمعنى انهم يعادونكم لا ينفعكم ما يلدون
ولا يتركون غاية في الحاق السوء بكم باليد واللسان ودوا لو تكفرون بالله كما كفروا ويرجعون عن دينكم لو تنفعكم
ارحامكم اي ذوو ارحامكم والمعنى قرباتكم ولا اولادكم اي لا يجلبكم قرباتكم ولا اولادكم التي بمكة على خيانة النبي صه والمؤمنين ولو نفعكم
ذلك الذي حملتم الله لاجلهم يوم القيمة يفصل الله بينكم فيدخل اهل الايمان والطاعة الجنة واهل الكفر والمعصية النار

ويميز بعضكم من بعض ذلك اليوم فلا يرى القريب المؤمن في الجنة قريبه الكافر في النار وقيل معناه يعتني بينكم من فضل القضاء وقد
بما تعملون بصير اى عليم بأعمالكم علم الله سبحانه بما فعله حاطب من مكاتبة اهل مكة حتى اخبر نبيه بذلك ثم رغب سبحانه لهم ابراهيم مثلا
في ترك موالاة الكفار فقال قد كانت لكم اسوة حسنة اى اقتداء حسن في ابراهيم خليل الله والذين معه ممن آمن به واتبعه وقيل الذين
معه من الانبياء عن ابن زيد اذ قالوا لقومهم الكفار انا برآء منكم فلا نوالكم وما تعبدونه من دون الله اى ومبرأ من الاصنام التي
تعبدونها ويجوز ان يكون ما مصدرية فيكون المعنى ومن عبادتكم الاصنام كفرنا بكم اى جحدنا دينكم وانكرنا معبودكم وبدا بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء ابدا فلا يكون بيننا موالاة في الدين حتى تؤمنوا بالله وحده اى تصدقوا بوحدانيته سبحانه الله تعالى واخلاص
التوحيد والعبادة له قال الفراء يقول الله افلا تأسى يا حاطب بابراهيم وقومه فتبرأ من اهلك كما تبرأ انبياء الله اى من قومهم الكفار
الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك اى اقتدوا بابراهيم في كل امره الا في هذا القول فلا تقتدوا به فيه فانه انما استغفر لابيه عن
موعدة وعدها اياه الايمان فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قال الحسن ولم يتبين لهذا تبين لهذا كيف مات ابوه ولم يستبن ذلك
لغيره انه يجوز الاستغفار للكفار مطلقا من غير موعدة بالايمان فهم فهموا ان يقتدوا به في هذا خاصة عن مجاهد وقتادة وابن
زيد وقيل كان آزر ينافق ابراهيم ويريه انه مسلم ويعده اظهار الاسلام فيستغفر له عن الحسن والجبائي ثم قال وما املك لك من
الله من شيء اذا اراد عقابك ولا يمكنني دفع ذلك عنك ربنا عليك توكلنا اى وكلوا امورهم اليه وقالوا ذلك واليك انبنا اى اليك رجعنا
واليك المصير اى اليك المرجع وهذه حكاية لقول ابراهيم وقومه وجائز ان يكون تعليما للعباد اى يقولوا ذلك فيفوضوا
امورهم اليه ويرجعوه اليه بالتوبة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو
كان هؤلاء على حق لما اصابهم هذا البلاء عن مجاهد وقيل معناه ولا تسلطهم فيفتنوه عن دينك وقيل معناه الطف لنا حتى
نصبر على اذاهم ولا تبعثهم فتصيرهم فتنة لهم وقيل معناه اجعلنا مرحومين فلا تعذبنا اذا والينا هم ظفرنا بهم وقيل معناه
لا تعذلنا اذا حاربناهم فنفتتن لقالوا لو كان هؤلاء على الحق لما غلبوا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم العزيز الذي لا يغلب
والحكيم الذي لا يفعل الا الحكمة والصواب وفي هذا تعليم للمسلمين ان يدعوا بهذا الدعاء قوله تعالى لقد كان لكم فيهم
اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون اربع آيات الاول نزل قوله لا يتخذ المؤمن الكافر خزانة ونبي مسلم
وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه على ان لا نقاتل ولا يعينوا عليه احد عن ابن عباس الحسن ثم اعاد سبحانه الكلام فقال لقد كانت
فقال لقد كان لكم فيهم اى في ابراهيم ومن امن معه اسوة حسنة اى قدوة حسنة وانما اعاد ذكر الاسوة لان الثاني متعلق بغير
ما تعلق به الاول فان الثاني فيه بيان ان الاسوة فيهم كانت لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب والاول فيه بيان ان الاسوة في
المعاداة للكفار وقوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من قوله لكم وهو بدل البعض من الكل مثل قوله ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا وفيه بيان ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة وهو قوله واليوم الآخر وقيل يرجو
ثواب الله وما يطيعه من ذلك في اليوم الآخر ومن يتول اى ومن يعرض عن هذا الاقتداء بابراهيم والانبياء والمؤمنين الذين معه فقد
اخطأ حظ نفسه وذهب عما يعود عليه نفعه اليه فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه وهو قوله فان الله هو الغني الحميد اى الغني عن ذلك
المحمود في جميع افعاله فلا يضره توليه ولكم ضربته عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اى من كفار مكة مودة
بالاسلام قال مقاتل لما امر الله سبحانه المؤمنين بعداوة الكفار عادوا اقرباءهم فنزلت هذه الآية والمعنى ان مولاة الكفار لا تنفع
سبحانه قادر على ان يؤلفهم للايمان ويجعل المودة بينهم وبينكم فيكونوا اعلى رجاء وطمع من الله ان يفعل ذلك وقد فعل ذلك حين
اسلموا عام الفتح فحصلت المودة بينهم وبين المسلمين والله قدير على نقل القلوب من العداوة الى المودة وعلى كل شيء يصح ان يكون

متعدد والله غفور لذنوب عباده رحيم بهم اذا تابوا واسلموا لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم
اى ليس ينهاكم الله عن مخالطة اهل العهد الذين عاهدتكم على ترك القتال وبرهم وصلتهم بالعهد الذى عهد لهم اذا برّوهم وتقسطوا
اليهم اى تعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد وهذا قبل ان يؤمر المسلمون باستباحة المشركين صدقة انه يحب المقسطين
وذلك قبل ان يؤمروا بالقتال جميع المشركين فنزلت هذه الآية وهى منسوخة بقتال المشركين حيث وجدوهم عن ابن عباس
والحسن وقتادة وقيل انها خاصة بالذين لم يقاتلوكم من آمن من اهل مكة ولم يهاجر من قتادة وقيل هى عامة فكل من كان على هذه الصفة
عن ابن الزبير والذى عليه الاجماع ان الرجل من بنات من اهل الحرب قرابة كان او غير قرابة ليس يحرم من ذلك شىء في اعيانهم مال الكرمة
والفطرة والكفارة فلم يجز ذلك اهـ وفيه خلاف بين الفقهاء وقوله ان تبروهم في موضع جر بدل من الذين وهو بدل الاشتمال
وتقسطوا اليهم عن ابن زيد لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ان الله يحب المقسطين ثم الصادرين وقيل الذين يحبون الفرائض
فيعطونها في بيوتهم من المطعومات ثم قال انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين من اهل مكة وغيرهم ما خرجوكم من ديارهم
اى بيوتاتكم واهلكم وظاهروا على اخراجكم اى عاونوا على ذلك وعاضدوهم العوام والاتباع على قوا رؤسائهم على الباطل
ان تولوهم اى ينهاكم الله عن توليهم وتودونهم وتحبونهم والمعنى ان مكابرتهم باظهار سر المؤمنين مولاة لهم ومن يتولهم
منكم اى يتولاهم دون غيرهم فاولئك هم الظالمون فيستحقون بذلك العذاب الاليم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا
جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسئلوا
ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شىء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا
الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون اتفقوا القراءة قراءة اهل البصرة ولا تمسكوا بالتشديد
والباقون ولا تمسكوا بالتخفيف وفى الشواذ قراءة الاعرج فعتقتم بالتشديد وقراءة النخعى والزهرى وتجوبن بغير خلاف
فعتقتم خفيفة القاف من غير الف حذفت همزة مسروق فعتقتم بكسر القاف من غير الف والقراءة المشهورة فعاقبتم وقرأ مجاهد فاعتقبتم
بهمزة موصولة من قال ولا تمسكوا افاسأك معروف ولا تمسكوهن من غرا اذا مسك عليك زمامك وحجة من قال ولا تمسكوا بتون
والذين يمسكون بالكتاب يقال امسكت بالشىء وبمسكت به قال ابن جنى رويناه عن قطرب قال فعاقبتم اصبتم عقبى
من يقال عاقب الرجل شيئا اى اخذ شيئا وانشد لطرفة فعقبتم بذنوب غير رجيع مرة فسره على اعطيتم وعدتم وقال فى قوله
والله يحب المحسنين يرجع وحكى عن الاعمش انه قال عقبتم وغنمتم وقد يجوز ان يكون عقبتم بزنة غنيتم من جناء جيما ورويا ايضا بالحاء
طرفة فعقبتم بكسر القاف وحكى ابو عبيدة عن المغيرة قال قرأت على ابراهيم فعاقبتم فاخذها على فعقبتم خفيفة ومعنى عقبتم صنعتم
بهم مثل ما صنعوا بكم الذى لهم قال ابن عباس صالح رسول الله صلعم بالحديبية مشركى مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده عليهم
ومن اتى اهل مكة من اصحاب رسول الله صلعم لم يردوه عليهم وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث
الاسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والختم بالحديبية فجاء زوجها مسافر بن ابى عمرو المخزومى فقال يا محمد اردد على امرأتى
فانك شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت الآية يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس
امتحانهن ان يستحلفن ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا التماس دنيا وما خرجت الا حبا لله ولرسوله
فاستحلفوها برسول الله ما خرجت بغضا لزوجها ولا عشقا لرجل منا وما خرجت الا رغبة فى الاسلام فاذا حلفت بالله الذى لا اله الا هو
على ذلك فاعط رسول الله زوجها ما انفق عليها ولم يرد ما اصدقها عليه فتزوجها عمر بن الخطاب فكان رسول الله يرد من جاءه
من الرجال ولم يحبس من جاءه من النساء اذا استحلفن وعطى ازواجهن ما انفقوا عليهن وقال الزهرى وانزلت هذه الآية وفيها ان ردكا
شرطوا بعمهم الكوا ان طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة بنت ابى امية بن المغيرة فتزوجها معاوية

ابن ابی سفیان وهما اللتی شرکهما بمکة ولا ادری ام کلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعیه ام عبد الله بن عمر فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم بن عدی بن قرط بن رباح بن عدی بن کعب فطلقها فتزوجها بعده طلحة بن عبید الله احد العشرة فولدت له محمدا وعائشة ثم فرق بینهما الاسلام وکانت ممن بایع رسول الله صلی الله علیه وسلم حین نزلت آیة الامتحان بعد الفتح وهی بمکة وقد هاجرت الی رسول الله صلی الله علیه وسلم بالمدینة فی الهدنة التی کانت بینه وبین قریش عام الحدیبیة وهی یومئذ کافرة ثم تزوجها بعد الاسلام سعید بن العاص بن امیة وکانت من قرائب رسول الله صلی الله علیه وسلم من صنادید الکفار فجمعها وزید بن حارثة خالد وامینة بنت بشر کانت عند ثابت ابن الدحداحة فنزلت منه وهو بمکة کافر الی رسول الله صلی الله علیه وسلم فزوجها رسول الله صلی الله علیه وسلم سهل بن حنیف فولدت عبد الله بن سهل قال الشعبی وکانت زینب بنت رسول الله صلی الله علیه وسلم امرأة ابی العاص بن الربیع فاسلمت وبقیت بالمدینة وجاء ابو العاص مشرکا بمکة ثم اتی المدینة فاشتد زینب ثم اسلم فردها علیه رسول الله صلی الله علیه وسلم وقال الحسن لم یدخل فی هذه الآیة من نساء اهل الحدیبیة الا الرجال دون النساء ولم یرد النساء وکان ام کلثوم بنت عقبة بن ابی معیط جاءت مسلمة مهاجرة من مکة فجاء اخواها الی المدینة وسألا رسول الله صلی الله علیه وسلم ردها علیهما فقال ان الشرط بیننا فی الرجال لا فی النساء فلم یردها علیهما وقال للحبالی والحمائم یرجعن الشرط فی النساء لان المرأة اذا اسلمت لم تحل لزوجها الکافر فکیف یرد علیه وقد وقعت الفرقة بینهما انقضی ما قطع سبحانه الموالاة بین المسلمین والکافرین بین حکم النساء المهاجرات وازواجهن فقال یا ایها الذین آمنوا اذا جاءکم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن بالایمان ای استوصفوهن بالایمان وسماهن مؤمنات قبل ان یؤمن لان نفس اعتقاد الایمان الله اعلم بایمانهن ان کنتم تعلمون بالامتحان ظاهرا بما نفس والله یعلم حقیقة ایمانهن فی الباطن ثم اختلفوا فی الامتحان علی وجوه احدها ان الامتحان ان یحلفن بالله ان ما خرجن الا للدین والرغبة فی الاسلام وحب الله ورسوله ولم یخرجن لبغض زوج ولا لالتماس دنیا وروی ذلک عن قتادة وثانیها ان امتحانهن بما فی الآیة التی بعد هذه وان لا یشرکن بالله شیئا ولا یسرقن ولا یزنین الآیة عن عائشة ثم قال سبحانه فان علمتموهن مؤمنات یعنی فی الظاهر فلا ترجعوهن الی الکفار لا ترددهن الیهم لا هن حل لهم ولا هم یحلون لهن وهذا یدل علی وقوع الفرقة بینهما بمجرد اسلمة وان لم یطلق المشرک وآتوهم ما انفقوا ای واتوا ازواجهن الکفار ما انفقوا علیهن من المهور عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قال الزهری لولا الهدنة ثم رد الی المشرکین الصداق لکان ینبغی لنبی ولا جناح علیکم ان تنکحوهن اذا اتیتموهن اجورهن ای ولا جناح علیکم معاشر المسلمین ان تنکحوهن اذا اعطیتموهن مهورهن التی استحللتم بها فروجهن لا نفس بالاسلام قد بین من ازواجهن ولا تمسکوا بعصم الکوافر ای لا تمسکوا نکاح الکوافر واصل العصمة المنع ومنه سمی النکاح عصمة لان المنکوحة بذل نفسها للزوج وعصمته وفی هذا دلالة علی ان لا یجوز العقد علی الکافرة سواء کانت حربیة او ذمیة او علی کل حال لانه عام فی الکوافر ولیس لاحد ان یخص الآیة بعادة الوثنیات لتزولها بسببهن لان المعتبر بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واسألوا ما انفقتم ای اذا لحقت احدا من ازواجکم بالکفار مرتدة فاسألوهم ما انفقتم من المهر اذا استوهبها او یدفعوا الیکم کما یسألکم یعنی نساءهم اذا هاجرن الیکم وهن مؤمنات واسألوا ما انفقوا ذلکم یعنی ما ذکر الله فی هذه الآیة حکم الله یحکم بینکم والله علیم بجمیع الاشیاء حکیم فیما یفعل ویأمر به قال الحسن کان فی صدر الاسلام یکون المسلم تحت الکافر والکافرة تحت المسلم فنسخت هذه الآیة قال الزهری ولما نزلت هذه الآیة آیس المؤمنون لحکم الله تعالی ولم یأسوا من رد ما انفقوا من المشرکین علی نسائهم طمع المشرکون ان یقروا لحکم الله تعالی فیما امرهم به من رد ما انفقوا المسلمین فقال وان فاتکم شیء ای احد من ازواجکم الی الکفار فلم تقدروا علی ردهن بهم مرتدات فعاقبتم یعنی غزوتم فاصبتم من الکفار غنیمة وهی الغنیمة وظفرتم وکانت العاقبة لکم وقیل معناه فخلفتم من صنیعهم وصار الامر الیکم عن سوید وقیل ان عقب وعاقب مثل صغر وصاغر یعنی عن الفراء وقیل عاقبتم بمعنی اذهبتم الکفار الیکم لما ان جعة سبی او جیشهن مؤمنات عن علی بن عیسی فاتوا الذین ذهبت ازواجهم ای مسلموهم من المؤمنین مثل ما انفقوا من المهور علیهن من رأس الغنیمة وکذلک من ذهبت زوجته الی الروم بینکم وبینهم عهد فمنکث فی اعطاء المهر الذی ذهبت زوجته یعطی المهر من الغنیمة ولا ینفق شیئا من حصته بل یعطی کلا عن ابن عباس والحبائی وقیل معناه ان لم

اعلم ان ازواجكم الى الكفار الذين بينكم وبينهم عهد فعاقبتم فاعطوا ازواجها صداقها الذين كان ساق اليها من الغنيمة فنح
هذا الحكم في برآة تبيين ان كل شيء عهد عهده عن آتاه وقال قتادة وقال قوم غير هذا واعطى الذين ذهبت ازواجهم شيئا مما انفقوا
من المهر كما عليهم ان يؤدوا اليكم مثل ما انفقتم ان ذهب من ازواجكم واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون اي اتقوا الله
الذي انتم تصدقون به وتعتقدون به وتعبدونه وقال الزهري فكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات الى
الاسلام منهن ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت
ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فطلقها عمر بمكة فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وعاتكة بنت عبد العزى بن نضلة
وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة تزوجها عمر بن عبيد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن
وائل وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فاصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنيمة قوله تعالى يا ايها النبي
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن ان الله غفور رحيم يا ايها
النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين
من اصحاب القبور اي من بعث اصحاب القبور فحذف المضاف ويجوز ان يكون من تبيين الكفار والمعنى كما يئس الكفار
الذين هم من اصحاب القبور من الاخرة الصحيح ثم ذكر سبحانه بيعة النساء وكان ذلك يوم فتح مكة لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من بيعة
الرجال وهو على الصفا جاءته النساء يبايعنه فنزلت هذه الآية فشرط الله سبحانه في بيعتهن ان يأخذ عليهن هذه
الشروط وهو قوله يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على هذه الشرائط وهي ان لا يشركن بالله شيئا من الاصنام ولا
اوثان ولا يسرقن لا من انداجهن ولا من غيرهم ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن كما كان يفعل وأد الجاهلية من الوجور او الوأد او الاسقاط
وما يأتين ببهتان يفترينه اي يكذبن به في مولود يوجد بين ايديهن وارجلهن اي لا يلحقن بازواجهن من غيرهم اولادهم
عن ابن عباس وقال الفراء كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان المفتري بين ايديهن
وارجلهن وذلك ان الولد اذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها والمعنى من نحو هن على ان يأتين بولد من الزنا
فينسبنه الى الازواج لان الشرط بين الزنا تقدم قبل البهتان الذي نهين عنه قذف المحصنات والكذب على الناس
باضافة الاولاد الى الذين ليس على البطلان في الحاضر والمستقبل من الزمان ولا يعصينك في معروف وهو جميع ما يأمرهن به
نبيهم لانه يأمرهم بالمعروف والمعروف نقيض المنكر وهو كل ما دل العقل او الشرع على وجوب تركه وسمي معروفا لان العقل يقر
به ويسكن اليه والشرع حسنه وجوز به وقيل هي بالمعروف الذي عين النوح صوت وتخريق الثوب وجز الشعر وشق الجيب وحمش
الوجه والدعاء بالويل من المقابيح والكلي والاصل ان المعروف كل ما يرتضيه ويأمر به ذوو التقوى والمروات طاعة الله تعالى فيما يعمهن وغيرهن ذلك
واستغفر لهن الله اي اطلب من الله ان يغفر لهن ذنوبهن ويستر عليهن انه غفور اي صفوح عنهن رحيم منعم
عليهن وقيل انه لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يأخذ على النساء ما ذكر امر ان يستغفر لهن مما فرط منهن
فيما مضى فانه يعلم انهن سيفين بما شرط عليهن وقال ابن عباس لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال جاءته النساء يبايعنه
فانزل الله هذه الآية فقرأها عليهن حتى فرغ منها فقال ابو سفيان لهند بنت عتبة امرأته لعلك فرحت بما سمعت من محمد
فقالت ما كان ينبغي لي ان افرح بما سمعت من محمد ان لا نزني ولا نسرق ولا نقتل اولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين ايدينا
وارجلنا فقال ابو سفيان ما اصبت من مالي هذا الا حلالا فلعله يحل لك فيما اصبت من مالي هذا ولا ادري اتحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من مالي شيئا فيما مضى ولا فيما
غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله
عنك فقال وانت فيمن تقالت هندا وترك الحرة فتبسم عمر من الخطاب لما جرى بينه وبينها في الجاهلية فقال هو كما تعلمن
او كما قلن فقالت بل انت يا عمر عبد فاسق وفظ غليظ فاما اسلمتم وعلم الله منكم ما علمه كان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتله علي بن ابي طالب عليه
السلام يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هند والله ما رأيتني بيطاء ما قلت عند رأسه ان البهتان قبيح وما امرنا الا

بالرشد ومكارم الاخلاق والمقال كما يعصيك في معروف قال عند ما جلسنا مجلسا تعاهدنا وفي نفسنا ان يصيبنا في ثمار
الزهري من عروة عن عائشة قالت كان النبي صلعم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ان لا يشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله
صلعم يد امراة قط الا امراة يملكها رواه البخاري في الصحيح وزينب ام رسول الله كان اذا بايع النساء وبايعت حماد فحص يديه ثم
فحص بايديهن فيه وقيل انزل ذلك يوم بدر لما رجع من رجع من الشعب والوجه في بيعة النساء مع انهن ليس من اهل
المغزى بالجهاد هو اخذ العهد عليهن بما يصلح من شأنهن في الدين والا فنفس الايمان كاف ذلك في صدور الاسلام وانما
يفترق بين فرق المسلمين من الاحكام فيما بينهن التي هي حسنى الذلك ثم خاطب سبحانه من ينتفع بها الذين آمنوا لا تتولوا
قوما غضب الله عليهم اي لا تتولوا اليهود وذلك ان جماعة من فقراء المسلمين كانوا يخبرونهم باخبار المسلمين ويتصادقونهم
اليهم بذلك فيصيبون به من ثمارهم فنهى الله عن ذلك عن المقاتل وقيل اراد جميع الكفار اي لا تتخذوا كافرا ولا مؤمنا اولياء
ثم وصف الكفار فقال قد يئسوا من الآخرة اي ثواب الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور يعني ان اليهود لتكذيبهم محمدا
يعرفونه صفته وانه رسول يئسوا من ان يكون لهم في الآخرة حظ وخير كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من ان
يكون لهم في الآخرة حظ لانهم قد ايقنوا بعذاب الله عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل كما يئس كفار العرب من ان يحيى اهل القبور
ابدا عن الحسن وقيل كما يئس الكفار من ان يناله خير من اصحاب القبور وقيل يريد به الكفار ههنا الذين يدفنون الموتى اي
يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من الآخرة كما يئس الذين دفنوا الموتى منهم ختم الله سبحانه السورة بالامر بالقطع الموالاة من
الكفار لما افتتحها بالنهي عن موالاتهم وهي سورة الحواريين وسورة عيسى عليه السلام مدنية وهي اربع عشرة آية بلا خلاف فضلها
ابي بن كعب عن النبي صلعم قال من قرا سورة عيسى كان عيسى مصليا مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه
ابو بصير عن ابي جعفر قال من قرا سورة الصف عاد من قرائها فخرا بينه وبين قوله صفا الله مع ملائكته وانبيائه المرسلين
بتفسيرها المختم بسبحانه السورة بقطع موالاة الكفار افتتح هذه السورة بايجاب ذلك ظاهرا وباطنا ثم الامر بالجهاد فقال
بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص
واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا اذاقهم الله قلوبهم والله لا يهدي القوم
الفاسقين خمس آيات اللغة الصف الجعل والوضع واحكام البناء يقال رصصت البناء اذا احكمت واصله من الرصاص الذي
جعلت كانه في الرصاص لكونه مشدودا بقوة اتصاله الاعراب اصله تقولون الالف من مادة الاتصال مع ضعف عرفي الاعتماد
آخر الكلام لا تحرف تغيير في موضع تغيير وقتا نصب على التمييز واذ تقولها في موضع رفع بانه فاعل كبر والتقدير كبر المقت
مقتا عند الله وقيل ان الفاعل مضمر فيه والتقدير كبر المقت مقتا عند الله ان تقولوا ثم حذف ثم ويجوز ان يكون المضمر فيه الذم
في موضع الحال اي مصطفين المعنى نزول قولهم ما قالوا ما لا تفعلون في الثاني عن الحسن وقيل نزل في قوم كانوا يقولون اذا
لقينا العدو لم نفر ولم نرجع عنهم ثم لم يوفوا بما قالوا فعاتبهم الله يوم احد على تركهم ما وعدوا عليه رسول الله وكسرت رباعيته ومقاتل والكلبي
وقيل نزلت في قوم قالوا جاهدنا بايدينا وقتلنا واسرنا فعلوا ولم يفعلوا وهم كذبوا عن قتادة وقيل لما اخبر الله تعالى بما فاز به رسوله من ثواب شهداء
بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعده قتالا لنفرغن فيه وسعنا ثم فروا يوم احد فعيرهم الله بذلك عن محمد بن كعب وقيل كان الناس
من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون ودد نا ان الله تعالى دلنا على احب الاعمال اليه فنعمل به فاخبرهم الله تعالى ان
افضل الاعمال ايمان لا شك فيه وجهاد يكره فترك ناس ممن كان يقول ذلك ما حث عليهم وشق عليهم فانزلت الآية عن ابن عباس وقيل كان رجل يحمي
يوم بدر فاذا رأى المسلمين قد قتلوا صبيب في القتال فقال رجل يا رسول الله قتلت فلانا فخرج رسول الله فقال عمرو عبدان حمى لصبيب
اخبر النبي صلعم انك قتلته وارد فلانا فحلف فقال صبيب ما قتلته فقال رسول الله عمرو عبدان حمى لصبيب فقال يا رسول الله انما استغفر
صبيب فقال كذلك يا ابا يحيى قال نعم يا رسول الله فنزلت الآية والآية الاخرى عن سعيد بن المسيب

السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم مر تفسيره وانما اعيد ههنا لانه استفتاح السورة بتعظيم الله تعالى من جهة ما سبح له الآية التى فيه كما يستفتح بلسم الله الرحمن الرحيم واذا دخل المعنى فى تعظيم الله حسن الاستفتاح به يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قيل ان الخطاب للمنافقين وهو توبيخ لهم بانهم يظهرون الايمان ولا يخلصونه وقيل ان الخطاب للمؤمنين وتعييرهم ان يقولوا شيئا ولا يفعلونه قال الجبائى هذا على جزئين احدهما ان يقول سافعل ومن عزمه ان لا يفعله فهذا قبيح مذموم فاحر ان يقول سافعل ومن عزمه ان يفعله والمعلوم انه لا يفعله فهذا قبيح لانه لا يدرى ما يفعله ام لا وينبغى فى مثل هذا ان يقول بلفظة ان شاء الله كرر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اى كبر هذا القول وعظم مقتا عند الله وهو ان تقولوا ما لا تفعلونه وقيل معناه كبر ان تقولوا لما لا يفعلونه وقد مر ان تنكم ما لا تفعلونه به مقتا عند الله ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا اى يصفون انفسهم عند القتال صفا وقيل يقاتلون فى سبيله مصطفين كانهم بنيان مرصوص كانه نبى بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله وقيل كانه حائط محدد على وجه البناء اى احكامه واتصاله واستقامة اعلم الله تعالى انه يجب من يثبت فى القتال ويلزم ثغوره كثبوت البناء المرصوص ومعنى محبة الله اياهم انه يريد ثوابهم وهداهم ثم ذكر سبحانه حديث موسى فى صدق نبيه وثبات عزيمته على الصبر فى اذى قومه تسلية للنبى ص فى تكذيبهم اياه فقال واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم هذا انكار عليهم ايذاه بعد ما علموا انه رسول الله والرسول يعظم ويجل ولا يوذى وكان قوم آذوه بانواع من الاذى وهو قولهم اجعل لنا الها واذهب انت وربك فقاتلا وما روى فى قصة قارون انه دس اليه امراة ودعم انه زنى بها وهو يعتل هارون وقيل ان ذلك حين رموه بالادرة وقد ذكرنا ذلك عند قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية فلما تركوا ازاغ الله قلوبهم اى فلما تركوا الحق والاستقامة خلاهم وسوء اختيارهم ومنعهم الالطاف التى بها يهدى قلوب المؤمنين كقوله ويمن يؤمن بالله يهد قلبه عن ابى مسلم وقيل ازاغ الله قلوبهم عما يحبونه الى ما يكرهون ويجوز ان يكون المراد ازاغ الله قلوبهم عن الايمان لان الله تعالى لا يجوز ان يزيح احدا عن الايمان وايضا فانه يخرج الكلام عن الفائدة لانهم اذا عدلوا عن الايمان فقد حصل كفرا فلا معنى لقوله ازاغ الله عن الايمان والله لا يهدى القوم الفاسقين اى لا يهديهم الى الثواب والكرامة والجنة التى وعدها المؤمنين وقيل لا يفعل بهم الالطاف التى يفعلها بالمؤمنين بل يخليهم واختيارهم عن ابى مسلم قوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اربع آيات الفرقة فتح اصل البصرة والحجاز وابو بكر البارى فى قوله من بعدى اسمه ولم يقفه الباقون وقرا ابن كثير واهل المكوفة غير ابى بكر متم نوره مضافا والباقون متم نوره بالنصب بغير اضافة ينوى بها الانفصال كما فى قوله انا مرسل الناقة وذائقة الموت والنصب فى متم على انه فى حال الفعل وفيما يأتى الاعراب قوله اسمه احمد فى موضع جر لكونه وصفا لرسول كما ان قوله يأتى فى موضع جر ايضا وتقديره اسمه قول احمد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وكذلك قوله هذا سحر مبين عندهم فى التوبيخ اى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة اى يجدونه ذكره مكتوبا الا ترى ان الشخص لا يكتب كما ان احمد عبارة عن الشخص والاسم قول والقول لا يكون الشخص وخبر المبتدا يكون المبتدا فى المعنى وفعل حتى تريدون محذوف وتقديره يريدون ذم الاسلام او يريدون هذا القول ليطفئوا نور الله الاطفاء فى اللغة واصله متم نوره فى موضع النصب على الحال المعنى ثم عطف سبحانه قصة عيسى على قصة موسى فقال حاكيا قال عيسى اى واذكر اذ قال عيسى بن مريم لقومه الذين بعث اليهم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة منزلة على موسى عليه السلام ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد يعنى بنبينا محمد ص كما قال صلى الله وسلم يحيف جبرئيله والطيبون على المبارك احمد وهذا الاسم ممنوع لاحد قبله لان يجعل احمد مبالغة من الفاعل اى هو اكبر حمدا لله من غيره والاخبار يجعل مبالغة من المفعول اى يحمد بما فيه من الاخلاق

والحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي اخرجه البخاري
في الصحيح وقد تضمنت الآية ان عيسى بشر قومه بمحمد وبنبوته واخبرهم برسالته وفي هذه البشرى معجزة لعيسى عليه السلام عند ظهور
محمد صلى الله عليه وسلم لامته ان يؤمنوا به عند مجيئه فلما جاءهم احمد بالبينات اي بالدلالات الظاهرة والمعجزات الباهرة قالوا هذا
سحر مبين اي ظاهر وهل احد اظلم ممن افترى على الله الكذب اي من اشد ظلما ممن اختلق الكذب على الله تعالى وقال المعجزات سحر
والرسول انه ساحر كذاب وهو يدعى الى الاسلام الذي فيه نجاته وقيل يدعى الى الاستسلام لامره والاقرار لطاعته والله لا
يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بفعل الكفر والمعاصي قال ابن جريج هم الكفار المنافقون ويدل عليه قوله بعد
يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم اي يريدون اذهاب نور الايمان والاسلام بما سبق الكلام لجاري مجرى تراكم الظلام فشبه
فيه مثل من حاول اطفاء نور الشمس بفيه والله متم نوره اي يظهر كلمته ويؤيد بنيه وعلى دينه وشريعته ولو كره ذلك
اعاديه ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله محمدا بالهدى من التوحيد واخلاص العبادة لعباده الى الحق وهو دين الاسلام
وما يتعبد به الخلق ليظهره على الدين كله بالحجة والبيان والنصرة ولو كره المشركون وفي هذا دلالة على صحة نبوة محمد
لانه سبحانه قد اظهر دينه على جميع الاديان بالاستعلاء والقهر واعلاء الشان كما وعد ذلك في حال الضعف وقلة الاعوان
واراد بالدين جنس الاديان فلذلك ادخل الالف واللام وروى العياشي بالاسناد عن عمران بن ميثم عن جابر انه سمع امير
المؤمنين عليه السلام يقول هو الذي ارسل عبده بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اظهر ذلك بعد قائمنا كلا والذي
نفسي بيده حتى لا يبقى قرية الا وينادى فيها بشهادة ان لا اله الا الله بكرة وعشيا قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
وآخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين
من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا
على عدوهم فاصبحوا ظاهرين خمس آيات القراءة قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد الباقون بالتخفيف وقرأ اهل الحجاز
وابو عمرو انصارا بالتنوين لله بغير الف والباقون انصار الله بالاضافة الى الله الحجة قال ابو علي حجة من قرأ تنجيكم بالتشديد
قوله ونجينا الذين آمنوا وحجة التخفيف فانجاه الله من النار اللغة التجارة طلب الربح في شراء المتاع واستعيرت ههنا
لطلب الربح في اعمال الطاعة والجهاد مثل الله تعالى العود الاعراب انما جاز ان يؤمنوه بالله مع انه محمول على تجارة وخبر لان
ان يقال للتجارة مؤمنوه وانما يقال انه تؤمنوا بالله لانه جاء على طريق ما يدل على خبر التجارة لا على نفس الخبر اذ الفعل يدل على
مصدره وانما نعقده بالتجارة في المعنى لا في اللفظ وفي ذلك توطيه لما يأتي على المعنى في الاخبار والعرب تقول هل لك في خير
تقوم الى فلان فتعوده وان تقوم اليه وقوله يغفر لكم ذنوبكم في كونه جزما وجهان احدهما جواب هل ادلكم وهو قول الفراء وكثير
اصحابنا البصريين قالوا ان الذكر لا توجب المغفرة والاخر انه مجزوم على المعنى لان قوله تؤمنون بالله معناه آمنوا
بالله وجاهدوا في سبيله فهو امر جاء على لفظ الخبر يدل على ذلك قراءة عبد الله بن مسعود امنوا بالله وجاهدوا ولا يمتنع ان
يأتي الامر بمعنى الخبر كما اتى الخبر بلفظ الامر في قوله فليمدد له الرحمن مدا المعنى فمد له الرحمن مدا الآن القديم تعالى لا يأمر نفسه
ومثل ذلك اسمع بهم وابصر لفظه امر ومعناه خبر ويجوز ان يكون قوله تؤمنون مرفوعا بمعنى هو تؤمنون والوصول والصلة في موضع
جر على البدل من تجارة وتقديره هل ادلكم على تجارة ايمان بالله وقوله واخرى في موضع جر بانه صفة لموصوف محذوف وهي عطف
بالعطف على تجارة تقديره وعلى تجارة اخرى تحبونها وقال الزجاج تقديره ولكم تجارة اخرى تفعل هذا يكون اخرى صفة لتجارة
محذوف مرفوع بالابتداء وتحبونها صفة بعد صفة وخبر خبر مبتداه محذوف تقديره هي نصر من الله من انصاري الى الله

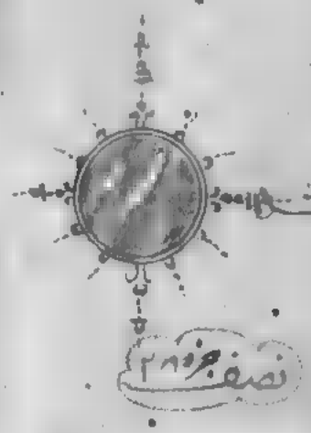

الى هنا بمعنى مع اى مع الله تعالى لما تقدم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم عقبه سبحانه بذكر الانصار الى قبول قوله ونصرته والعمل بشريعته فقال يا ايها الذين امنوا وهو خطاب للمؤمنين على العموم وقيل هو خطاب لمن تقدم ذكرهم فى اول السورة هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم صورة صورة العرض والمراد به الامر على سبيل التلطف فى الاسترشاد الى الاخلاص فى الطاعة والحث على ترغيبهم فى تجارة مجنية من العذاب الاليم وهى الايمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس وذلك قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم وانما انزل هذا الكلام على ما قالوا لو نعلم اى الاعمال افضل واحب الى الله فجعل سبحانه ذلك العمل بمنزلة التجارة لانهم يربحون فيها رضى الله تعالى وفوز الجنة والنجاة من العقاب ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اى ما وصفته وذكرته لكم انفع لكم وخير عاقبة لو علمتم ذلك واعترضتم بحسبته قيل معناه ان التجارة التى ادلكم عليها خير من التجارة التى انتم مشتغلون بها لانها تؤدى الى ربح لا يزول ولا يبيد وهذه تؤدى الى ربح تزول وتبيد ان كنتم تعلمون مضار الاشياء ومنافعها يغفر لكم ذنوبكم اى فانكم ان علمتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة اى مواضع تسكنونها مستلذة مستطابة فى جنات عدن اى اقامة لا تبغون عنها حولا ذلك الفوز العظيم الا ما يعده الناس فوزا من طول البقاء وعلو البناء وسأل الحسن عمران بن حصين والهجيرية عن تفسير قوله ومساكن طيبة فى جنات عدن فقال على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال قصر من لؤلؤ فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمرد خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش امرأة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة وعلى كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة قال ويعطى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله ثم قال سبحانه وتجارة اخرى تحبونها اى وخصلة اخرى تحبونها عاجلا مع ثواب الآجل وهذا من الله تعالى زيادة ترغيب لما علم سبحانه ان فيهم من يأول عاجل النصر امارة فى الدنيا وامارة تأييد الذين فوقهم ذلك بان قال نصر من الله وفتح قريب اى تلك الخصلة وتلك التجارة نصرة من الله لكم على اعدائكم وفتح قريب لبلادهم يعنى النصر على قريش وفتح مكة عن الكلبى وقيل يريد فتح فارس والروم وسائر فتوح الاسلام على العموم عن عطاء وقريب معناه قيب كونه وقيل قريب منكم يقرب الرجوع منه الى اوطانكم وبشر المؤمنين اى بشرهم بهذين الثوابين عاجلا وآجلا على الجهاد فهو النصر فى الدنيا والجنة فى العقبى ثم حض سبحانه المؤمنين على نصرة دينه فقال يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله اى انصار دين الله واعوان نبيه وانما اضاف الى نفسه كما يقال للكعبة بيت الله وقيل لحمزة بن عبد المطلب اسد الله والمعنى دوموا على ما انتم عليه من النصرة كما قال عيسى بن مريم اى مثل قول عيسى بن مريم للحواريين وهم خاصة الانبياء وصوا بذلك لانهم اخلصوا من كل عيب من الزجاج وقيل حواريون لبياض ثيابهم وقيل لانهم كانوا قصارين من انصارى الى الله والمعنى من يدعونى الى الله كما دعى عيسى قومه فقال من انصارى مع الله ينصرنى مع نصرة الله اياى وقيل الى الله اى فيما تقرب الى الله كما يقال الفهم منك واليك قال الحواريون نحن انصار الله اى انصار دين الله ولنبيه الله وقيل انما سموا نصارى لقولهم نحن نصارى الله فامنت طائفة من بنى اسرائيل اى صدقت بعيسى وكفرت طائفة اخرى به قال ابن عباس يعنى فى امر عيسى وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرين وذلك قوله فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اى عالين غالبين وقيل معناه اصبحت جبة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم بعيسى كلمة الله وروحه على اعدائهم وقيل بل ايد الذى زمانهم على من كفر بعيسى عن مجاهد وقيل معناه فآمنت طائفة من بنى اسرائيل بمحمد وكفرت طائفة به فاصبحوا ظاهرين لعدوهم بالحجة والقهر والغلبة وبالله التوفيق ۵

تم الجزء التاسع من تفسير القرآن بعونه الله تعالى وحسن توفيقه ۵

ويتلوه فى الجزء العاشر ان شاء الله تعالى تفسير سورة الجمعة ۵

بسم الله الرحمن الرحيم

مدنية وهي احدى عشرة بالاجماع فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة الجمعة اعطي عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في امصار المسلمين منصور بن حازم عن ابي عبد الله عليه السلام قال ينبغي على كل مؤمن اذا كان لنا شيعة ان يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة وسبح اسم ربك وفي صلوة الظهر بالجمعة والمنافقين فانه من فعل ذلك فكأنما يعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ثوابه وجزاؤه على الله الجنة تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة الصف بالترغيب في عبادته بالاعلام اليها وذكر تأييده المؤمنين بالنصر والظهور على الاعداء افتتح هذه السورة ببيان قدرته على ذلك وعلى جميع الاشياء فقال

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين

خمس آيات اللغة الاسفار الكتب واحدها سفر وانما سمي بذلك لانه يكشف عن المعنى باظهاره يقال سفر الرجل عمامته اذا كشفها وسفرت المرأة عن وجهها وفي سافرة ومنه والصبح اذا اسفر للاعراب وان كانوا من قبل لفي ضلال ان هذه مخففة من ان ولهذا زحمها اللام الفارقة في خبر كان لئلا يلتبس بان الناصبة وآخرين جر ولا نصفة محذوف معطوف على الاميين اي في قوم آخرين ويجوز ان يكون منصوبا بالعطف على هم في يعلمهم على اضمار فعل في موضع النصب على المحل بئس مثل المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله مثلهم فيكون الذين في موضع جر ويجوز ان يكون التقدير بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعلى هذا يكون الذين في موضع رفع وهو المخصوص بالذم المعنى يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه كل شيء ويشهد له بالربانية والالوهية بما ركب فيها من بدايع الحكمة وعجايب الصنعة الدالة على انه قادر عالم حي قديم جميع بصير حكيم لا يشبهه شيء ولا يشبهه شيء وانما قال مرة يسبح ومرة يسبح اشارة الى دوام تنزهه في الماضي والمستقبل الملك اي القادر على تصريف الاشياء القدوس اي المنزه المقدس العظيم الطاهر عن كل نقص العزيز القادر الذي لا يمتنع عليه شيء الحكيم العالم الذي يضع الاشياء مواضعها هو الذي بعث في الاميين يعني العرب وكانت امة امية لا يكتب ولا تقرأ لم يبعث اليهم نبي سواهم وقتادة وقيل يعني اهل مكة لان مكة تسمى ام القرى رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وآله نسبهم وهو من جنسهم كما قال لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم فجعل النبوة في امي مواضع ما تقدم البشارة به في كتب الانبياء السالفة وكانه ابعد من توهم الاستعانة على ما اتى به من الحكمة بالحكم التي تلاها والكتب التي تراها واوقب الى العلم بان ما يخبرهم به من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية على دقق ما في كتبهم ليس ذلك الا بالوحي يتلو عليهم آياته اي يقرأ عليهم القرآن المشتمل على الحلال والحرام والحد والاحكام يزكيهم اي يطهرهم من الكفر والذنوب ويدعوهم الى ما يصيرون به ازكياء ويعلمهم الكتاب والحكمة الكتاب القرآن والحكمة الشرايع وقيل ان الحكمة تتم الكتاب والسنة وكل ما اراده الله تعالى فان الحكمة هي العلم الذي يعمل عليه فيما يجتنب من امور الدين والدنيا وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين معناه وما كانوا من قبل بعثه اليهم الا في عدول عن الحق وذهاب عن الدين بين ظاهر وآخرين منهم اي ويعلم آخرين هم المؤمنين لما يلحقوا بهم وهم كل من بعد الصحابة الى يوم القيمة فان الله سبحانه بعث النبي اليهم وشريعته تلزمهم وان لم يلحقوا بزمان الصحابة عن مجاهد وابن زيد وقيل هم الاعاجم ومن لا يتكلم بلغة العرب فان النبي صلى الله عليه وآله مبعوث الى من شاهده والى من بعدهم من العرب والعجم عن ابن عمر وسعيد بن جبير وروى ذلك عن ابي جعفر عليه السلام وروى ان النبي صلى الله عليه وآله قرأ هذه الآية فقيل له من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فوضع يده على كتف سلمان وقال

لو كان الايمان في الثريا لتناوله رجال من هؤلاء اخرجه مسلم عنهم انما اسلفوا اصارهم فان المسلمين كلهم بمنزلة على ان سوادهم امة واحدة وان اختلفت اجناسهم كما قال جماعة المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ومن لم يؤمن بالنبي صلعم فانهم ليسوا ممن عناهم الله بقوله واخرين منهم وان كان مبعوثا اليهم بالدعوة لعدم قبولهم سبحانه يزكيهم ويعلمهم ومن لم يزكه ويعلمه ليس من زكاه وعلمه القرآن والسنة وقيل الضمير لما يلحقوا بهم يعني في الفضل والسابقة فان التابعين لا يدركون شأن السابقين من الصحابة وخيار المؤمنين وهو العزيز الذي لا نظير له الحكيم في جميع افعاله ذلك فضل الله يعني النبوة التي خص الله بها رسوله من يشاء اي يختاره من عباده للنبوة ويجعل اهل الرسالة واسع الفضل العظيم الذي لا يحد على خلقه بيعثة محمد صلعم وروى مجاهد عن ابي عمير عن ابن هشام بن سالم بسنده قال بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان الله ينبغي ما يتصدق وليس لنا ما نتصدق وليس لنا ما نجود وليس لنا ما نجود وليس لنا ما نعتقد فقال صلعم بل تعتقدون فتقول من كبر الله مائة مرة كان افضل من عتق رقبة ومن حمد الله مائة مرة كان افضل من مائة فرس في سبيل الله بسرجها ولجمها ومن هلل الله مائة مرة كان افضل الناس عملا في ذلك اليوم الا من زاد فبلغ ذلك الا غنياء ما قلت فصنعوا فقال رسول الله صلعم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم ضرب سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة مثلا فقال مثل الذين حملوا التوراة اي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ثم لم يحملوها حق حملها من ادائها حفظها والعمل بما فيها لانهم حفظوها ودفعوها الى غيرهم ثم لم يعملوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا الا ان الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يحس بما فيها فمثل من يحفظ الكتب ولا يعمل بما فيه كمثل من لا يعلم ما فيها الجملة قال ابن عباس فسوء حمل على ظهره اي جهده اذا لم يعمل به وعلى هذا فقوله الذين حملوا التوراة الخ وقيل هو على ظاهره ولا اعراض عن لا يحتاج اليه كان هذا المثل لا حقا به ولان حفظه يوهم طالب الحفاء فليتأمل من اهل هذا المثل وانشد ابو سعيد الضرير في ذلك وعامل الاسفار لا علم عنده بجيدها الا كعلم الباهر لعرك ما يدري المعلى اذا غدا باسفاره ارواح ما في العرائس بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله معناه بئس القوم قوم هذا مثلهم كما نزه سبحانه ذم مثلهم والمراد بهم اليهود كذبوا بالقرآن والتوراة حين لم يؤمنوا بمحمد صلعم والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يفعل بهم ما الطاف التي يفعلها بالمؤمنين الذين بها يهتدون وقيل لا يثيبهم ولا يهديهم الى الجنة ومن بعض من قال انها في اهل القرآن اسمعوا القرآن قيل لهم يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم ترددون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ست آيات الست الم تر قل ان زعمتم قل ان اردتم ذلك صار من باب الحذف والعلم به على ذلك العمل قال فان تحبني كنت اجعل لكم فاني شربت العلم بحدك بالجهل والا فاياي اجمح ولا وهو الحقيق بالنصرة التي نوليها عند الحاجة ما دمت لي المؤمنين لانه نوليهم النصرة عند حاجتهم من المؤمن وحاجته لعدم العلة وليجوز ان يكون لا تنزل الطلبة له نصرة عند حاجته والغني هو قول القائل اذا كان ليته لم يكن ولم اكن ليته كان فهو يتعلق بالحاضر والمستقبل فهو من جنس الكلام عند الجباي والقاضي ويقال ابو هاشم هو يعني في النفس يوافق هذا القول والجمعة والجمعة لغتان وجمع جمع وجميعا متقاربان قال الفراء وفيها لغة ثالثة جمعة بفتح الميم كهمزة ولمزة وانما سميت جمعة لانه تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات جميعا لانه تجمع فيه الجماعات وقيل ان اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان اسمها قبل ذلك يوم العروبة وقال ابو سلمة وقيل ان اول من سماها جمعة الانصار قال ابن سيرين جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلعم المدينة وقيل قبل ان تنزل الجمعة قالت الانصار لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة

يوم والنصارى يوم اثنين كذلك فليجعل يوم يجتمع فيه فنذكر الله عز وجل ونشكره فاتفقوا يوم السبت لليهود ويوم
الاحد للنصارى فجاءهم يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا
اليه فجاء هم اسعد بن زرارة شاة فذبحوها وتغدوا وتعشوا من شاة واحدة وذلك لقلتهم فانزل الله تعالى في ذلك اذا نودي للصلوة
الآية فمضت بذا الجمعة جمعت في الاسلام قبل الجمعة بمكة وكان اسعد بن زرارة اول من جمع بهم قبل ان قدم رسول الله صلعم مهاجرا حتى
نزل قباء على كلثوم بن هدم وقيل على سعد بن خيثمة وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحى فاقام بقباء يوم الاثنين
والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا للمدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن
عوف في بطن واد لهم فخطب وكانت هذه الجمعة اول جمعة جمعها رسول الله في الاسلام فخطب في هذه
الجمعة وهي اول جمعة خطبها بالمدينة فيما قيل فقال الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه واومن به واكفر به واعادي
من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى والنور وما على فترة من
من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد
رشد ومن يعصهما فقد غوى فرط وضل ضلالا بعيدا واوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة
وان يامره بتقوى الله فاحذروا الله الذي حذركم نفسه وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تعرفون
من امر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي بذلك الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل
امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو ان بينه وبين امد بعيدا يحذركم الله
نفسه والله رؤف بالعباد والذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد
فاتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز
فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه فان تقوى الله بيض الوجه وترضي الرب وتنج
الدرجة عند الحظر كونوا قرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا
كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاكثروا ذكر الله وعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين
الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه
الله اكبر ولا قوة الا بالله العلي فلما صارت الخطبة شرطا في انعقاد الجمعة النزول قال جابر بن عبد الله اقبلت عير
ونحن نصلي مع رسول الله صلعم الجمعة فانفض الناس اليها فما بقي غير اثني عشر رجلا انا فيهم فنزلت الآية تادارا تجارة
او لهوا وقال الحسن بن ابي مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام
والنبي صلعم يخطب يوم الجمعة فاراده فامر اليه بالبقيع خشية ان يسبق اليه فلم يبق مع النبي الا رهط فنزلت الآية تعالى
والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم احد لسال بكم الوادي نارا وقال المقاتلان بينا رسول الله صلعم يخطب
يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ثم احد بني الخزرج ثم احد بني زيد بن حارثة من الشام بتجارة وكان
اذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق الا ابتاعوا كان يقدم اذا قدم بكل ما يجتلب اليه من دقيق او بر او غيره ميزان يعني من اجل الزيت
وهو كلاء في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات
جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم ورسول الله قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وانا فيمن
لولا هؤلاء لاضرمت لهم الحجارة من السماء وانزل الله هذه الآية وقيل لم يبق في المسجد الا ثمانية ورواه عن الكلبي عن ابن
عباس وقيل الا احد عشر رجلا عن ابن كيسان وقيل انهم فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل يوم مرة لغير الذي قدم من الشام
وكل يوم ذلك يوافق يوم الجمعة عن قتادة ومقاتل انتهى لما تقدم ذكره اليهود في انكارهم بما في التوراة لم يجاز فيه

٣٥٩

ان يخاطبهم بما يفحمهم فقال قل يا محمد يا ايها الذين هادوا اى صاروا يهودا ان زعمتم انكم اولياء الله اى ان كنتم تقطعون على زعمكم انكم انصار الله وان الله ينصركم من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين انكم اولياء الله واحباؤه فان الموت هو الذى يوصلكم اليه ثم اخبر جل جلاله عن حالهم فى كذبهم واضطرابهم فى دعواهم وانهم غير واثقين بذلك فقال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصى والله عليم بالظالمين اى عالم بامثالهم واحوالهم وقد تقدم تفسير الايتين فى سورة البقرة وفيه معجزة الرسول صلعم لانه اخبرانهم لا يتمنونه الموت ابدا لما يعرفون من صدق النبى وكذبهم فكان الامر كما قال وروى انه صلعم قال لو تمنوا الموت اعنى اليهود لرأوا على الموت الذى تفرقون منه فانه ملاقيكم اى انكم وان فررتم من الموت وكرهتموه فانه لا بد نازل بكم ويلقاكم وبيد كم ولا ينفعكم الهرب منه ولما قال فانه ملاقيكم بالفاء وسوا زوا منه ولم ينووا منه فانه يلاقيهم بالقة فى الحال لترتب انه لا ينفع الفرار منه لانه اذا كان الفرار بمنزلة السبب فى ملاقاته فلا معنى للتعرض للفرار لانه لا يباعد عنه ولهذا المعنى اشار امير المؤمنين ع فى قوله كل امرئ لاق ما يفر منه والاجل صاق النفس والهرب منه موافاته وقال الزهرى وعن هاب اسباب الموت ما ينلنه ولو نال اسباب السماء بسلم ولا شك انه ينزل به ما هابها اولم يهبها ولكنه اذا كانت هيبته بمنزلة السبب للهيبة فالهيبة لا معنى لها وقيل ان المقدر قل ان الموت هو الذى تفرون منه فحمل الفاء فى موضع الخبر لاصفة للموت ويكون فانه ملاقاتكم ترددوه الى عالم الغيب والشهادة اى ترجعون الى الله الذى يعلم سركم وعلانيتكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم تعملون فى دار الدنيا ويجازيكم بحسبها ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة اى اذا اذن للصلوة الجمعة وذلك اذا جلس الامام على المنبر يوم الجمعة وذلك لانه لم يكن على عهد رسول الله صلعم نداء سوى قال السائب ابزة يزيد كان لرسول الله صلعم مؤذن واحد وهو بلال وكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر كذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد الاذان الاول فامره بالتاذين الاول على سطح دار له بالسوق يقال له الزوراء وكان يؤذن لها عليها فاذا جلس صعلى على المنبر اذن مؤذنه فاذا نزل اقام للصلوة فلم يعب ذلك عليه فاسعوا الى ذكر الله اى فامضوا الى الصلوة مسرعين غير متثاقلين عن قتادة وابن زيد والضحاك وقال الزجاج معناه فامضوا الى السعى الذى هو الاسراع وقرأ عبد الله بن مسعود فامضوا الى ذكر الله وروى ذلك عن على بن ابى طالب ع وعمر بن الخطاب وابى بن كعب وابن عباس وسعيد بن المسيب والزهرى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام وقال ابن مسعود لو علمت الاسراع لاسرعت حتى يقع ردائى من كتفى وقال الحسن ما هو السعى على الاقدام وقد نهوا ان يأتوا الصلوة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقيل اراد بذكر الله الخطبة التى هى من ذكر الله والواعظ وذر البيع اى دعوا المبايعة قال الحسن كل بيع تفوت فيه الصلوة يوم الجمعة فانه بيع حرام وهو الذى يقتضيه ظاهر الآية لان النهى يدل على فساد المنهى عنه ذلكم يعنى ما امرتكم به من حضور الجمعة و استماع الذكر واداء الفريضة وترك البيع خير لكم وانفع لكم عاقبة ان كنتم تعلمون منافع الامور ومضارها وتصالح انفسكم ومفاسدها وقيل معناه اعلموا ذلك من الجهاد وفى هذه الآية دلالة على وجوب الجمعة وتحريم جميع التصرفات عند سماع اذان الجمعة لان البيع انما خص بالنهى عنه لكونه من اعم التصرفات فى اسباب المعاش وفيها دلالة على ان الخطاب للحضار لان العبد لا يملك البيع وعلى اختصاص الجمعة بمكان وذلك اوجب السعى اليه وفرض الجمعة لانهم جميع المكلفين الا اصحاب الاعذار من السفر او المرض او العمى او العرج او ان يكون امرأة وشيخا هما لا حراك به او عبدا او يكون على رأس اكثر من فرسخين من الجامع وعند حصول هذه الشرائط كلها يجب الا عند حضور السلطان العادل او من نصبه السلطان للصلوة والعدد يكمل عند ائمتنا عليهم السلام سبعة وقيل ينعقد بثلاثة سوى الامام عند ابى حنيفة والثورى وقيل انما ينعقد باربعين رجلا احرارا قيمين لا ظعنا عن الشافعى وقيل ينعقد باثنى عشر رجلا عن ابى يوسف وقيل ينعقد باحد كسائر الجماعات عن الحسن داود والاختلاف بين الفقها فى مسايل الجمعة كثير موضعه كتب الفقه فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض يعنى اذا صليتم الجمعة وفرغتم منها فتفرقوا فى الارض وابتغوا من فضل الله اى واطلبوا الرزق فى الشراء والبيع وهذا اباحة

وليس بامر ايجاب وروى انس عن النبي ص قال في قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا الاية ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل المراد بقوله وابتغوا من فضل الله طلب العلم عن الحسن وسعيد بن جبير وبكحول وروي عن ابي عبد الله ع انه قال الصلوة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت وروى الحرون زيد عن ابي عبد الله ع قال اني لاركب في الحاجة التي كفاها الله ما اركب فيها الا التماس ان يراني الله اسعى في طلب الحلال اما تسمع قول الله عز وجل فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ارايت لو ان رجلا دخل بيتا وطين عليه بابه ثم قال رزقي ينزل علي كان يكون هذا ايما احد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم قال قلت من هؤلاء قال رجل يكون عنده امرأته تسيء خلقها فلا يستجاب له ان عصمتها في يدها لو شاء ان يخلي سبيلها والرجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجحده حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له الا ترك ما امر به والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا يتشر ولا يطلب ولا يلتمس حتى يأكله ثم يدعو فلا يستجاب له واذكروا الله اي اذكروه على احسانه واشكروه على نعمه وعلى ما رغبكم من طاعته واداء فرضه وقيل المراد بالذكر هنا الفكر كما قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقيل معناه اذكروا الله في تجاراتكم واسواقكم كما روي عن النبي ص انه قال من ذكر الله في السوق مخلصا عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له الف حسنة ويغفر الله له يوم القيمة مغفرة لم تخطر على قلب بشر لعلكم تفلحون اي لتفلحوا وتفوزوا بثواب النعيم على رجاء الفلاح بالقيام بما تقدم ذكره من اعمال الجمعة وغيرها وصح الحديث عن ابي ذر قال قال رسول الله ص من اغتسل يوم الجمعة فاحسن غسله ولبس صالح ثيابه ومس من طيب بيته او دهنه ثم لم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام بعدها اورده البخاري في الصحيح وروى سلمان التيمي عن النبي ص قال ان لله عز وجل في كل يوم جمعة ستمائة الف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار اخبر بجماعة عن جماعة قابلوا الكرام بالاكرام فقال واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واذا عاينوا لهوا وقيل معناه اذا علموا بيعا او شراء او لهوا وهو الطبل عن مجاهد وقيل المزامير عن جابر انفضوا اليها اي تفرقوا عنك خارجين اليها ان الضمير للتجارة وانما خصت برد الضمير اليها لانها كانت اهم اليهم وهم بها اسر من الطبل لان الطبل انما دل على التجارة عن الفراء وقيل عاد الضمير الى احدهما اكتفاء به وكما نزعلى حذف والمعنى واذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه فحذف اليه لان اليها يدل عليه وروى عن ابي عبد الله ع انه قال انصرفوا اليها وتركوك قائما خطب علي ع فقال لابن الكواء ما رأيت رسول الله خطب الا وهو قائم فمن حدثك انه خطب وهو جالس فكذب وسئل عبد الله بن مسعود كان النبي ص يخطب قائما فقال اما تقرأ وتركوك قائما وقيل اراد قائما في الصلوة ثم قال قل يا محمد لهم ما عند الله من الثواب على سماع الخطبة وحضور الموعظة والصلوة والتيمات مع النبي ص خير ولحضور عاقبة وانفع من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين يرزقكم وان لم تتركوا الخطبة والجمعة سورة المنافقين مدنية بالاجماع وهي احدى عشر آية فضلها ابي بن كعب عن النبي ص قال ومن قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق تفسيرها لما ختم الله سورة الجمعة بما هو من علامات النفاق من ترك النبي صلعم قائما في الصلوة او في الخطبة والاشتغال باللهو وطلب الارتفاق افتتح هذه السورة بذكر المنافقين وما يصنعون قال

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ست آيات في القرآن قرأ ابو عمرو وغيره عباس والكسائي خشب ساكنة الشين والباقون بضمها وقرأ نافع وروح عن يعقوب وسهل لووا بتخفيف الواو والباقون بتشديدها وهو اختيار ابي عبيد وفي الشواذ قراءة الحسن ايمانهم بالكسر للجنة قال ابو علي من قرأ خشب جعله مثل بدن وبدن ومثله اسد واسد وقرئ وان في قلوبهم

يذهبون من وجه الا انا قال سيبويه هو قراءة والتثقيل ان فعل فقد جاء في نظيره قالوا اسد كما قالوا في جمع ثمر ثمر قال الشاعر
يقدم اقدامنا اليكم كالاسد قال ابو الحسن التحريك في خشب لغة اهل الحجاز وحجة من قرأ بالتخفيف قوله ليا ياسنتهم فالي
مصدر اوى مثل طوى طيا والتثقيل لان الفعل للجماعة فهو كقوله سفحة لهم الابواب وقد جاء ملوم الحاس رب المعذب
انشده ابو زيد وقوله ايمانهم بالكسر هو على حذف المضاف اى اتخذوا اظهار ايمانهم جنة وقد مر امثال ذلك الجنة السترة
المتخذة لدفع الاذية كالسلاح المتخذ لدفع الجراح والجنة البستان الذي يجنه الشجر والجنة المجنون الذي يستر العقل وفقهه
العلم بالشيء وفقهت الحديث افقه فقها كل علم فقه الا اذا اختص بعلم الشريعة وكل من علم يقال انه فقيه وافقهتك الشيء
بينته لك وفقه الرجل بالضم صار فقيها قال ابو زيد الجسم كل شخص مدرك وكل عظيم الجسم جسيم وجسام والاجسم العظيم
الجسم قال الشاعر واجسم من عاد جسوم رجالهم واكثر ان عدوا عديد الرمل واختلف المتكلمون في حد الجسم فقال
المحققون منهم هو الطويل العريض العميق وذلك يرد ذهابا في هذه الجهات قيل اجسم جسيم وقيل هو المؤلف قيل هو
القائم بالنفس ومعناه انه لا يحتاج الى محل والصحيح القول الاول والاجسام تأتلف من الجواهر وهي اجزاء لا تتجزى ايتلفت بحالة
يقال لها التاليفات فاذا رفعت عنها بقيت اجزاء لا تتجزى واختلف في اقل الاجسام والصحيح انها ما تألف من ثمانية اجزاء وقيل
من ستة اجزاء عن ابي الهذيل وقيل من اربعة اجزاء عن البلخي الاعراب سار ما كانوا يعلون تقديره سار العمل عملهم فقوله ما كانوا
يعلون موصول وصلة في موضع رفع بانه مبتدأ وخبر مبتدأ محذوف هو المخصوص بالذم اي يوفكون الى في موضع نصب
على الحال بمعنى كيف والتقدير جاهدين يوفكون ويجوز ان يكون في محل النصب على المصدر والتقدير يوفكون افكا يوفكون وقيل معناه
من اين يوفكون اي يصرفون عن الحق بالباطل هو الزجاج فعلى هذا يكون منصوبا على الظرف ويجوز ان يكون في موضع نصب على
الحال بمعنى كيف خاطب الله سبحانه نبيه فقال اذا جاءك يا محمد المنافقون وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر واشتقاق
من النفق والنافقاء كما قال الشاعر الجوهري نافق اليربوع ونفق خرج من نافقائه وهي احد جحرته والمنافق سرب ونفق قالوا نشهد انك لرسول الله اى اخبروا
بانهم يعتقدون انك لرسول الله والله يعلم يا محمد انك لرسوله على الحقيقة ولكن بالله شهيدا والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
في قولهم انهم يعتقدون انك رسول الله لكان اكذابهم في اعتقادهم وانهم يشهدون ذلك بقلوبهم ولم يكذبوا انما يرجع الى
الخبر لانهم شهدوا بذلك وهم مخبرون عنه وفي هذا دلالة على ان حقيقة الايمان انما هو بالقلب ومن قال شيئا واعتقد
خلافه فهو كاذب اتخذوا ايمانهم جنة اى سترة يستترون بها من القتل لئلا يقتلوا ولا يسبوا ولا يؤخذ اموالهم فصدوا عن
سبيل الله اى صدوا غيرهم بذلك عن دين الاسلام وقيل معناه منعوا غيرهم من اتباع سبيل الحق بما دعوهم الى الكفر في الباطن
وهذا من خواص المنافقين يصدون الجهال عن الدين كما تفعل المبتدعة انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس الذين يعلون من اظهار
الايمان مع ابطال الكفر والصد عن السبيل ذلك بانهم آمنوا باستتمام هذا الاقرار بلا اله الا الله محمد رسول الله ثم كفروا بقلوبهم
لما كذبوا بهذا عن قتادة وقيل معناه آمنوا ظاهرا عند النبي والمسلمين ثم كفروا اذا خلوا بالمشركين وانما قال ثم كفروا لانهم جحدوا
الكفر بعد اظهار الايمان فطبع على قلوبهم اى ختم عليها بسمة تميز بها الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة وقيل لما اعتادوا
الكفر والعناد ولم يصغوا الى الحق ولا فكروا في المعاد خذلهم الله واختيارهم وعذلهم فصار ذلك طبعا على قلوبهم وهو الفهم
المعاند من الكفر عن ابي مسلم فهم لا يفقهون اى لا يعلمون الحق من حيث انهم لا يتفكرون حتى يميزوا بين الحق والباطل
واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لحسن منظرهم وتمام خلقهم وجمال تزينهم وان يقولوا تسمع لقولهم اى اذا قالوا شيئا اصغيت
الى كلامهم لحسن منطقهم وفصاحة لسانهم وبلاغة بيانهم كانهم خشب مسندة اى كانهم اشباح بلا ارواح شبههم الله
وخصوصهم من العقول والافهام بالخشب المسندة التي لا ارواح فيها وقيل انه شبههم بخشب خرب متآكلة لا خير فيها فيحسب
من رآها انها صحيحة سليمة من حيث ان ظاهرها يروق وباطنها لا يفيد فكذلك المنافق ظاهره معجب رائع وباطنه عن الخير
زائغ يحسبون كل صيحة عليهم وصفهم الله تعالى بالخور والجبن اى يظنون كل صيحة يسمعونها كائنة عليهم والصحة يحسبون انها

معناكم وانهم المقصودون بها جبنا وهجلا وذلك مثل اذا ينادى مناد فى العسكر او يصيح احد بصاحبه وانقلبت دابة واشتدت غارة وقيل معناها اذا سمعوا اصيحة ظنوا انها آتية منهم فى شانهم وفى الكشف عن حالهم لما عرفوا من الغش والخيانة فى صدورهم وذلك قبل الحرب بخايف ثم اخبر سبحانه بعداوتهم فقال هم العدو وذلك هو المؤمنون فى الحقيقة فاحذرهم ان تأمنهم على سر ك وقولهم قاتلهم الله اى الزمهم الله ولعنهم وقيل انزد عاء عليهم بالهلاك كان من قاتله الله فهو مقتول حتمه غالبا فهو مغلوب اى فيكون اى انى يصرفون عن الحق مع كثرة الدلالات وهذا توبيخ وتقريع وليس باستفهام حقيقى وقيل معناه كيف يكذبون من الافك واذا قيل لهم تعالوا اى هلموا يستغفر لكم رسول الله ص لووا رؤوسهم اى اكثروا تحريكها بالهزء والاستهزاء انكارا لذلك وقيل اماتوها اعراضا عن الحق وكراهة لذكر النبى ص وذلك لكفرهم واستكبارهم ورايتهم يا محمد يصدون عن سبيل الحق وهم مستكبرون اى متكبرون مغترون الاحاجة بهم الى الاستغفار قوله تعالى سواء عليهم استغفرت امر لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون ست آيات القراءة قرا ابو عمرو واكون بالنصب والباقون بالجزم وقرا حماد ويحيى بما يعملون بالياء والباقون بالتاء للحجة من قرا واكن عطف على موضع قوله فاصدق لانه فى موضع فعل عزم الامر انك ان فعلت اخرنى اصدق كان جزما فان رجواب للطلب لان قد اغنى السؤال عن ذكر الشرط والتقدير اخرنى فانك ان تؤخرنى فاصدق فلما كان الفعل المنصب بعد الفاء فى موضع فعل عزم يا نه جواب الشرط حمل قوله واكن عليه ومثل ذلك قوله ومن يضلل الله فلا هادى له ويذرهم لئلا كان فلا هادى له فى موضع فعل مجزوم حمل يذرهم عليه ومثل ذلك قول الشاعر فابلونى بليكم لعلى اصالحكم واستدرج نويا حمل واستدرج فى موضع الفاء المحذوفة وما بعدها من الحملى وكذلك قوله اما سكت فانى لك كاتب وكل استفاضل فى الجيوش واغد وحل واغدو على موضع الفاء وما بعدها واما قول ابى عمرو واكون فانما حمله على اللفظ دون الموضع وكان الحمل على اللفظ اولى لظهوره فى اللفظ وقربه وزعموا ان فى حرف ابى فاتصدق [illegible] بما يعملون بالياء فعلى قراءة من قرا بالياء يجوز ان يكون الخطاب للانفس وان كان واحدا فى اللفظ فالمراد به الكثرة ومن قرا بالتاء كان خطابا لها يا ايها النفس الا نفضاض التفريق وفض الكتاب اذا فرقته ونشره وسميت الفضة فضة لتفرقها فى الاشياء المشتراة وكل شئ يشغلك عن شئ فقد الهاك عنه قال النبى ص من كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم وقال امرؤ القيس فمثلك حبلى وقد طرقت ومرضع فالهيتها عن ذى تمائم محول للاول نزلت الآيات فى عبد الله بن ابى المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله ص بلغه ان بنى المصطلق يجتمعون لحربه فاتاهم فحرثهم بالمدينة يا بوجويرية يدعو النبى صلعم فلما سمع بهم رسول الله خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتراصف الناس فاقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق وقتل منهم من قتل وغنم رسول الله ابناءهم ونساءهم واموالهم فبينا الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن سعيد فتزاحم جهجاه وسنان الجهنى بن حوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر الانصار وصرخ الغفارى يا معشر المهاجرين فاعان الغفارى رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن ابى لجعال ولانك لهذا قد فعل ما فعل والله ما اعدنا وجلابيب قريش الا كما قال الاول سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله ص ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم فاستوهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا

رقابكم ولا تشكوا ان يتحولوا من بلادكم ويلحقوا بمشاربهم وموالیهم فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عزيز الرحمن ومودة من المسلمين والله لا احبك بعد كلامك هذا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله وذلك بعد ذلك اغمه من الغم فاخبره فارسل رسول الله ص بالرحيل وارسل الى عبد الله فجاءه فقال ماهذا الذي بلغني عنك فقال عبد الله والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك قط وان زيدا لكاذب وقال من حضر من الانصار يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا نصدق عليه كلام غلام من غلمان الانصار عسى ان يكون هذا الغلام وهم في حديثه فعذره ص وفشت الملامة من الانصار لزيد وخلا بعضهم ببعض فقيل يا رسول الله ص هذا صاحبه اسيد بن حضير فجاء بتحية النبوة ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله او ما بلغك ما قال صاحبك زعم انه اذا رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد فانت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاءنا وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من امر ابيه فاتى رسول الله فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل ابي فان كنت لا بد فاعلا فمرني به فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله ابي ان يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال ص بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا فاقاموا ومشى رسول الله بالناس يومهم ذلك حتى امسى وليلتهم حتى اصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ص ليشتغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن ابي ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له بصار فهاجت ريح شديدة آذتهم وخوفوها وضلت ناقة رسول الله ص وذلك ليلا فقال ص ان هذه الليلة منافق عظيم النفاق بالمدينة قيل من هو قال رفاعة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحي فاتاه جبريل فاخبره بقول المنافق وبمكان الناقة واخبره بذلك اصحابه وقال ما ان عم انه اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله تعالى اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب فاذاهي كما قال فجاء بها وامن ذلك المنافق فلما قدموا المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت لعبد بن نفتاع وكان من عظماء اليهود قد مات ذلك اليوم قال زيد بن ارقم فلما اقبل رسول الله ص في المدينة جاءت بنو النجار بالاهم والحيار فرزئت سويد المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله ثم اخذ رسول الله باذن زيد فرفعه من الرجل ثم قال يا غلام صدقت وبررت وعسى ان ذلك وعى قلبك وقد انزل الله فيما قلت قرانا فلما كان عبد الله بن ابي بقرب المدينة قال لابنه ما جاء بك يا بني حتى اتاح على جماع طرق المدينة فقال ما لك ويلك قال فالله لا يدخلها الا باذن رسول الله وانظر اليوم من الاعز من الاذل فشكا عبد الله ابنه الى رسول الله ص فارسل اليه ان خل عنه يدخل فقال اما اذ جاء امر رسول الله ص فنعم فدخل فلم يلبث الا يسيرا قليلا حتى اشتكى ومات فلما نزلت هذه الآيات وبان كذب عبد الله قيل له تعال فتب الى رسول الله ص يستغفر لك فلوى راسه ثم قال امرتموني ان اومن فقد آمنت وامرتموني ان اعطي زكوة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزل وما قيل لهم تعالوا الى قوله ولكن المنافقين لا يعلمون الخ ثم ذكر سبحانه ان استغفاره ع لا ينفعهم فقال سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم اي يتساوى الاستغفار وعدم الاستغفار لن يغفر الله لهم لانهم يبطنون الكفر وان اظهروا الايمان ان الله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهدي القوم الخارجين عن الدين والايمان الى طريق الجنة قال الحسن اخبره سبحانه انهم يموتون على الكفر فلم يستغفر لهم وقد كان ص يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط التوبة وان يكون الباطن مثل الظاهر فبين الله تعالى ان ذلك لا ينفع مع تمكن الكفر والنفاق ثم قال سبحانه هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا المؤمنين المحتاجين حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه والنفاق الواجبون عند محمد ولكن لله سبحانه خزائن السموات والارض وما بينهما من الارزاق والاموال والاخذال فلو شاء لاغناهم ولكنه تعالى يفعل ما هو الاصلح لهم ويمتحنهم بالفقر وبعدهم بالصبر

لتصيبوا خيرا وبينوا لهم الثواب وذكر المآب ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك على الحقيقة لجهلهم بوجوه الفكر وقيل لا يفقهون ان امره
اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون يقولون لئن رجعنا الى المدينة من غزوة بني المصطلق ليخرجن الاعز يعنون منهم انفسهم منهم الاذل
يعنون رسول الله والمؤمنين فرد الله سبحانه عليهم بان قال ولله العزة ولرسوله باعلاء الله كلمته واظهاره دينه على الاديان والمؤمنين
بنصرته اياهم في الدنيا وادخالهم الجنة في العقبى وقيل ولله العزة بالربوبية ولرسوله بالنبوة وللمؤمنين بالعبودية اخبر سبحانه بذلك
ثم حققه فاخبر ان العزة لرسوله وللمؤمنين وقع عليهم شارق الاعم وضاربها وقيل عز الله خمسة عز الملك والبقاء وعز العظمة والكبرياء
وعز القدرة والعطاء وعز الرفعة والعلاء وعز الجلال والبهاء وعز الرسول خمسة عز النبوة وعز الايمان والدين وعز مقام
الصدق على الانبياء وعز الاختيار والاصطفاء وعز الظهور على الاعداء وعز المؤمنين خمسة عز الاخبار بما لهم في الاخرة والتبشير
وعز التيسير بيانه ولقد يسرنا القرآن للذكر بين سبحانه لكم اليسر وعز التبشير بيانه وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وعز التوفية
بيانه وانتم الاعلون وعز التكثير بيانه انهم اكثر الامم ولكن المنافقين لا يعلمون يظنون ان العزة لهم وذلك لجهلهم بصفات الله
سبحانه وما يستحقه اولياؤه ووجه الجمع بين هذه الاية وبين قولهم ولله العزة جميعا ان عز الرسول والمؤمنين من جملة عزائمه وانما
يحصل به الاضافة فله العزة بانجمعه ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اي يشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن
ذكر الله اي عن الصلوات الخمس المفروضة وقيل ذكر الله جميع طاعاته عن ابن مسلم وقيل ذكره شكره على نعمائه والصبر على بلائه والرضى بقضائه
وهو اشارة الى انه لا ينبغي ان يشغل المؤمن عن ذكر الله في بؤس كان او نعمة فان احسانه في الحالات لا ينقطع ومن يفعل ذلك اي من يشغله
ماله وولده عن ذكر الله فاولئك هم الخاسرون خسروا ثواب الله ورحمته وانفقوا مما رزقناكم اي في سبيل الله ويدخل فيه الزكوة وصلة
الحقوق الواجبة من قبل ان يأتي احدكم الموت اي اسبابه الملجئة فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب اي هلا اخرتني وذلك اذا عاين
علامات الاخرة فيسأل الرجعة الى الدنيا ليتدارك الفائت فالوا ما ينبغي في الحزم التفريط في حقوق الله آية اعظم من هذه وقوله
الى اجل قريب اي هلا امهلت لي في دار الدنيا فاصدق اي فاتصدق وازكن مالي واتطوع في سبيل الله فاكون من الصالحين اي من الذين
يعملون الاعمال الصالحة وقيل من الصالحين اي من المؤمنين والاية في المنافقين عن مقاتل وقيل من المطيعين لله والاية في المؤمنين عن
ابن عباس قال ما من احد يموت وكان له مال فلم يؤد زكوته واطاق الحج فلم يحج الا سأل الرجعة عند الموت قالوا يا ابا عباس اتق الله
فانما نزى هذا الكافر يسأل الرجعة فقال انا اقرأ عليكم قرانا ثم قرأ هذه الاية الى الصالحين قال الصلاح هذا الحج ويدخل في ذلك كل
عبد انعم الله تعالى عليه فلم يؤد حق الله تعالى فيما انعم عليه ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها اي يقبض روح كل نفس اذا انقضى اجلها
الذي حكم بانه تموت عنده والاجل المفيد هو الاجل المحكوم بان العبد
يموت عنده ان لم يقطع دونه او لم يزد عليه او لم ينقص منه على ما علمه الله من المصلحة والله خبير بما تعملون اي عليم بما كلفكم يجازيكم
عليه وجه اتصال هذه الاية الاخيرة بما قبلها ان سناء الله سبحانه لما علم انكم ستتوبون ليعمل في آجالكم تاخيرا الى وقت آخر وكنتم
لا تتوبون سورة التغابن مدنية وقال ابن عباس مكية غير ثلاث آيات من آخرها نزلن بالمدينة يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم
آخر السورة عدد آيها ثماني عشرة آية بالاجماع نصفها الاول مكي عن ابي بن كعب عن النبي صلعم ومن قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة ابن بابويه باسناده
ابي عبد الله ع قال من قرأ التغابن في فريضة كانت شفيعة له يوم القيمة وشاهد عدل عند من يجيز شهادته ثم لا تغابن عليه في شيء من ماله
لما ختم تلك السورة بذكر الامر بالطاعة والنهي عن المعصية افتتح هذه السورة ببيان حال المطيع والعاصي فقال بسم الله الرحمن الرحيم
يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون
بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون
والله عليم بذات الصدور الم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم الخ حسن آيات الاولى يسبح لله ما في السموات
وما في الارض تسبيح المكلفين بالقول وتسبيح الجمادات بالدلالة لله الملك ملكه واحدث غيره والالف واللام لاستغراق الجنس فالملك لله في
جميع ذلك والتصرف فيه كيف يشاء وله الحمد على جميع ذلك لانه خلق ذلك لاجمع الغرض فيه الاحسان الى مخلوقه والنفع لهم به فاستحق بذلك
الحمد والشكر وهو على كل شيء قدير يبعد المعدوم ويفيق الموجود ويغير الاحوال كما يشاء هو الذي خلقكم اي انشأكم وقدركم عن عدم كما اراد

الخطاب المكلفين حي الجباي وقيل بل هو عام وقديم الكلام هنا ابتداء فقال فمنكم كافر لم يقر بان الله خلقه كالدهرية ومنكم مؤمن
بقربان الله خلقه عن الزجاج وقيل معناه فمنكم كافر في السر ومؤمن في العلانية كالمنافق ومنكم مؤمن في السر كافر في العلانية كعمار وغيره
عن الضحاك وقيل فمنكم كافر بانه مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يريد في شأن الانواء عن عطاء بن ابي رباح والمراد بالآية الظاهر
فلا معنى للاستدلال بها على هذه المسألة والمعنى ان المكلفين جنسان منهم كافر فيدخل فيه انواع الكفر ومنهم مؤمن ولا يجوز حمله على
ان الله سبحانه خلقهم مؤمنين وكافرين كما لا يقول كذلك بل اضاف الكفر والايمان اليهم وعلى فعلهم والكلام المعقول على ان ذلك يقع
على حسب تصورهم فيما يدعوهم ويتكلفهم الامر والنهي والثواب والعقاب وبعثة الانبياء على انه سبحانه لو جاز ان يخلق الكفر والقبائح
لجاز ان يبعث رسولا يدعوا الى الكفر والضلال ويؤيده بالمعجزات تعالى عن ذلك وتقدس هذا وقال سبحانه فطرة الله التي فطر الناس
عليها وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة تمام الخبر فقال عز وجل حكاية عن الله سبحانه خلقت عبادي كلهم وحنفاء فجوز ذلك من الاجناء
كثيرا وعدهم بما تعالوا يصيرهم بخلق الكافر فيهم بما يكون منه من الكفر وخلق المؤمن وهو عالم بما يكون منه من الايمان فجاز بهما
بحسبهما فهما خلق السموات والارض بالحق اي بالعدل وبما تكلم الصنعة وصحة التقدير وقيل معناه بالحق وهو ان خلق العقلاء تعرضهم
لثوابهم للثواب العظيم وخلق ما عداهم تبعا لهم لما في خلقتهم من اللطف وصوركم فيه البشر كلهم فاحسن صوركم من حيث
الحكمة وقبول العقل لا قبول الطبع لان في جملتهم من ليس على هذه الصفة وقيل فاحسن صوركم من حيث قبول الطبع لان ذلك هو المفهوم
من حيث الصورة فهو كقولهم لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وان كان من جملتهم من هو مشوه الخلقة لان ذلك عارض لا يعتد به في هذا
الوصف فافاد سبحانه خلق الانسان على احسن صور الحيوان كلها والصورة عبارة عن هيئة مخصوصة واليه المصير اي اليه الرجع
والمآل يوم القيمة يعلم ما في السموات والارض يعلم ما تسرون وما تعلنون اي تسرونه بعضكم الى بعض وما تخفونه في جيدوه عن غيره
والفرق بين الاسرار والاخفاء ان الاخفاء لا شك يخفي شخصه ويخفي المعنى في نفسه والاسرار يكون في المعنى دون الشخص والله يعلم
ذات الصدور اي باسرار الصدور وبما يطلعها ثم اخبر سبحانه ان القرون الماضية جوزوا بما جالهم فقال الم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل
اي من قبل هؤلاء الكفار فذاقوا وبال امرهم اي وخيم عاقبة كفرهم وثقل امرهم بما نالهم من العذاب بالاهلاك والاستيصال ولهم
عذاب اليم اي مؤلم يوم القيمة قوله تعالى ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا
واستغنى الله والله غني حميد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا
بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير جنس آيات القرآن قرئ بالياء والتاء يعني من يعقوب يوم يجمعكم بالنون فيهما والباقون بالياء فيهما لتحقيق
حجة الياء ان الاسم الظاهر قد تقدم وقد جيء المؤنث انه كقوله سبحانه الذي اسرى بعبده ثم جاء وآتينا موسى الكتاب الا ترى انه
ذلك بانه اذا صغر الامر والشأن ابشر مبتدأ وانما جاز ان يكون مبتدأ مع كونه نكرة لان الاستفهام مسوغ ذلك كما ان النفي ايضا كذلك
كقولهم ما خير وجبين يقال ارجل في الدار ام امرأة والرجل في الدار لا امرأة وقيل انه فاعل فعل مضمر يفسره قوله يهدوننا كانه قال
ايهدينا بشر يهدوننا وانما اضمر لان الاستفهام بالفعل اولى وقيل ان ان يبعثوا تقديره انهم لن يبعثوا فسرت الجملة عن
المفعولين بما جرى فيهما من ذكر الحديث والمحدث عنه ولما كانت لن لن يبعثوا دليل الاستقبال تعينت ان قبلها لا يكون
مخففة من الثقيلة لان لن يخلصها من ان يكون ناصبة للفعل يوم يجمعكم ظرف لتبعثن لما ذكر سبحانه خلقه بما فيهم اتبعها
اخبارا عن بعض من الكفار واهلاكهم عقبه ببيان سبب اهلاكهم فقال ذلك اي ذلك العذاب الذي نالهم في الدنيا والذي نالهم
في الآخرة بانه كانت تأتيهم اي بسبب انه كانت تجيئهم رسلهم من عنده يا البينات اي بالكلمات الواضحات والمعجزات
فقالوا لهم ابشر يهدوننا الى الحق ويدعوننا الى غير دين اباءنا استصغارا امرهم للبشر ان يكون رسلا من الله الى الناس واستكبارا
وانفة من اتباعهم فكفروا بالله وجحدوا رسله وتولوا اي اعرضوا عن القبول منهم والتفكر في آياتهم واستغنى الله سبحانه انه

عن طاعة عباده وانما كانهم لنفعهم لا لحاجة منه الى عبادتهم وقيل معناه واستغنى الله بما اظهره لهم من البرهان وارضه من البيان عن زيادة يدعوا الى الرشد ويهديهم الى الايمان والله غني حميد اى غني عن اعمالكم مستحق للحمد عليكم بما ينعم به عليكم وقيل حميد اى محمود على جميع افعاله لانها كلها احسان ثم عجب نبيه مما يقول الكفار فقال زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قال ابن عرفة هذا زائدة الكذب قال شريح زعم كنية الكذب بين الله سبحانه بعض ما اجله اختاروا الكفر على الايمان وهم انهم كانوا لا يقرون بالبعث والنشور فامر النبي ان يكذبهم فقال قل بلى وربي لتبعثن اى لتحشرن لتكذبهم بقوله بلى وبالتبعين ثم اكد التبعين باللام والنون ثم لتنبؤن بما علم اى لتخبرن ويحاسبن باعمالكم ويجازون عليها وذلك البعث والحساب مع الجميع والجزاء على الله يسير اى سهل هين لا يلحقه مشقة ولا معاناة فيه فامنوا معاشر العقلاء بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وهو القرآن سماه نورا لما فيه من الادلة والحجج الموصلة الى الحق فشبهه بالنور الذي يهتدى به الى الطريق والله بما تعملون خبير اى عليم بكم يوم يجمعكم ليوم الجمع وهو يوم القيمة اى ذلك البعث والجزاء يكون في يوم يجمع فيه خلق الاولين والآخرين ذلك يوم التغابن وهو تفاعل من الغبن وهو اخذ شر وترك خير واخذ غير وترك شر فالمؤمن ترك حظه من الدنيا واخذ حظه من الآخرة فترك ما هو شر له واخذ ما هو خير فكان غابنا والكافر ترك حظه من الآخرة واخذ حظه من الدنيا فترك الخير واخذ الشر فكان مغبونا فيظهر في ذلك اليوم الغابن والمغبون وقيل يوم التغابن غبن اهل الجنة اهل النار عن قتادة ومجاهد وقد روي عن النبي ﷺ في تفسير هذا قوله ما من عبد مؤمن يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا مكفر عنه سيآته اى معاصيه ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اى مؤبدين فيها لا يفنى ما هم فيه من النعيم ابدا ذلك الفوز العظيم اى النجاح الذي ليس وراءه شيء من العظمة والذين كفروا بالله وكذبوا بآياتنا اى بحججنا ودلالتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اى المآل والمرجع قوله تعالى

ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم

قرأ في الشواذ قراءة ابن مصرف يهد قلبه بالنون وقرأ السلمي يهد قلبه بضم الياء والباء على ما لم يسم فاعله وقرأ عكرمة وحمزون دينار ويهد قلبه بالالف وقرأ مالك بن دينار يهد بالالف بجزمه من قرأ يهد أجزم معناه يطمئن قلبه كما قال سبحانه وقلبه مطمئن بالايمان ومن قرأ بالالف فانه تأكيد للهمزة فتحذفها للتخفيف نزل نزل قوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم في قوم اراد وا الهجرة فثبطهم نساؤهم واولادهم عنها عن عباس ومجاهد ثم قال سبحانه ما اصاب من مصيبة اى ليس يصيبكم مصيبة الا باذن الله والمصيبة المضرة التي يلحق صاحبها كالريبة التي يصيبه والمراد بها هنا ما اصاب المؤمنين سبحانه وان كان في المصايب ما هو ظلم وهو سبحانه لا يأذن في الظلم لانه ليس منها الا ما اذن الله في وقوعه او اشكل ما اذن للكل من الله فكانه يأذن لهذا ليكون وقيل معناه الا بعلمه الله بينكم وبين من يريد فعلها من الناس وقيل انه خاص فيما يفعله الله تعالى اى يلزم بسوقيل معناه بعلم الله اى لا يصيبكم مصيبة الا والله تعالى علم بها ومن يؤمن بالله اى يصدق بوعده من ثبتنا يهد قلبه اى يهد الله قلبه حتى يعلم ان ما اصابه فبعلم الله فيصبر عليه ولا يجزع ويرجو الثواب والعوض وقيل معناه من يؤمن بتوحيد الله ويصبر لامر الله يهد قلبه عند نزول المصيبة يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول انا لله وانا اليه راجعون عن ابن عباس وقيل ان المعنى يهد قلبه فان يسلي صبرا وان يعط شكرا ان ظلم غفر عن جماعة وقال بعضهم في معناه من يؤمن بالله عند المنة فيعلم انها تفضل من الله يهد قلبه للشكر ومن يؤمن بالله عند البلاء فيعلم انه عدل من الله يهد قلبه للصبر ومن يؤمن بالله عند نزول القحط يهد قلبه للاستكانة والتضرع والله بكل شيء عليم فيجازي كل امرء بما علمه واطيعوا الله في جميع ما امركم به واطيعوا الرسول في جميع ما امركم به وانهاكم عنه وفيما امركم

الوكيل به كانه قيل لا تمنع من وقوع هذه المصيبة وقد يكون ذلك بفعل الملائكة ه

به ونهاكم عنه فان توليتم اى فان اعرضتم من القبول منه فانما على رسولنا البلاغ المبين اى ليس عليه الا تبليغ الرسالة وقد فعل وليس عليه
قهركم على الرد الى الحق وانما عليه البلاغ الظاهر البين فحذف للايجاز والاختصار الله لا اله الا هو ولا حق العبادة الا له وعلى الله فليتوكل
المؤمنون والتوكل تفويض الامور اليه والرضى بتقديره والثقة بتدبيره وقد علم الله عباده بذلك فينبغى لهم ان يستعينوا ذلك فى
سائر احوالهم يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم اولادكم عدوا لكم فاحذروهم يعنى ان بعضهم بهذه الصفة وذلك اتى بلفظ من
وهى للتبعيض ليقول ان من هؤلاء من هو عدو لكم فى الدين فاحذروهم ان يطيعوهم وقيل انه سبحانه انما قال ذلك لان من الازواج
من يتمنى موت الزوج ومن الاولاد من يتمنى موت الوالد ليرث ماله وما من عدو اعدى لمن يتمنى موت غيره ليغتنم ماله وكذلك
يكون من حمله على معصية الله لمنفعة نفسه ولا عدو اشد عداوة ممن يختار ضرر لمنفعته قال عطاء يعنى هؤلاء الزوجات
فمنهم هؤلاء وقال مجاهد يريد فيما اراد واطاعة الله فيمنعوهم وان تعفوا اى تتركوا عقابهم وتصفحوا اى تجاوزوا عنهم وتغفروا
سبق منهم كى عادوا الى الحال الجميلة وذلك ان الرجل من هؤلاء اذا هاجر ورأى الناس قد سبقوه بالهجرة وفقهوا فى الدين هم ان
يعاقب زوجته وولده الذين تثبطوه عن الهجرة وان لحقوا به فى دار الهجرة لم ينفق عليهم فامر سبحانه بالعفو والصفح فان الله غفور
رحيم يغفر لكم ذنوبكم برحمته وقيل هو عام اى ان تعفوا وتصفحوا عن ظلمكم فان الله يغفر بذلك كثيرا من ذنوبكم عن الجهاد انما اموالكم
واولادكم فتنة اى محنة وابتلاء وشدة للتكليف عليكم وشغل عن امر الآخرة فان الانسان يسبب المال والولد يقع فى الجرائم
وعن ابن مسعود قال لا يقولن احدكم اللهم انى اعوذ بك من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال واهل وولد الا وهو مشتمل
على فتنة ولكن ليقل اللهم انى اعوذ بك من مضلات الفتن وعن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله صلعم
يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلعم اليهما فاخذهما
فوضعهما فى حجره على المنبر وقال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم
اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما اخذ فى خطبته والله عنده اجر عظيم اى ثواب جليل وهى الجنة يعنى فلا يقضوا بسبب الاموال
والاولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر والذخر فاتقوا الله ما استطعتم ايها المخلصون والانفاق الامتاع من الرزق بالجهات
ما يدعو اليه الهوى ولا تنافى بين هذا وبين قوله اتقوا الله حق تقاته لان كل واحد منهما الزام لترك جميع المعاصى فمن فعل ذلك
فقد اتقى عقاب الله لان من لم يفعل ما يجب فعله فقد عقاب عليه الا ان فى احد الكلامين بيانا ان التكليف لا يلزم
العبد الا ما يطيق وكل امر امر الله به فلا بد ان يكون مشروطا بالاستطاعة وقال قتادة نسخه فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله
اتقوا الله حق تقاته وكأنه يذهب الى ان فيه رخصة لحال النقية وما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقة وان كانت القدرة
حاصلة معه وقال غيره ليس هذا بناسخ وانما هو مبين لامكان العمل بهما جميعا وهو الصحيح واسمعوا ما سمعتم من الرسول ما يتلوا
عليكم وما يعظكم به وبادروا امره ونهيه واطيعوا الله والرسول وانفقوا من اموالكم فى حق الله خيرا لانفسكم مثله فامتثلوا خيرا لكم وائتوا
خيرا لكم وقد مضى ذكر ذلك قال الزجاج معناه قدموا خيرا لانفسكم من اموالكم ومن يوق شح نفسه حتى يعطى حق الله من ماله
فاولئك هم المفلحون اى المخصوصون الفائزون بثواب الله وقال الصادق من ادى الزكوة فقد وقى شح نفسه ان تقرضوا الله قرضا
حسنا قد مضى معناه واطلاق اسم القرض هنا لتطيب فى الاستدعاء الى الانفاق يضاعفه لكم اى يبسط بدلا اضعاف ذلك من
واحد الى سبعمائة الى ما يشاء الله لان ثواب الصدقة يدوم ويغفر لكم ذنوبكم والله شكور اى مثيب مجازى على الشكر حليم لا يعاجل العبد
بالعقوبة وهذا غاية الكرم عالم الغيب والشهادة اى السر والعلانية وقيل المعدوم والمحسوس الموجود وقيل غير المحسوس
والمحسوس العزيز القادر الحكيم العالم وقيل الحكم لافعاله سورة الطلاق وتسمى سورة النساء القصرى قال ابن مسعود فى
حديث العدة من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وانما اراد قوله
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن فاذا كانت حاملة فحدتها وضع الحمل وهى مدنية بالاجماع عدد آياتها احدى عشرة
ومائتان وثلاث عشرة آية فى الباقين اختلافه ثلاث آيات يجعل له مخرجا كونى مكى والمدنى الاخير والمهيم الاخرشاى يا اولى الالباب

الدلي الاول بضلها الي بن كعب عن النبي ص قال من قرأ سورة الطلاق كانت له حسنة رسول الله ابو بصير عن ابي عبد الله ع قال من قرأ
سورة الطلاق والحرم في فريضة اجاره الله تعالى من ان يكون يوم القيمة ممن يخاف ان يجزه وعوفي من النار وادخله الله الجنة بتلاوته
اياها ومحافظته عليها الانهما النبي ص تفسيرها لما حتم الله سبحانه سورة التغابن بذكر النساء والتحذير من افتتح هذه السورة بذكرهن
وذكر احكامهن وذكر فرائضهن فقال بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واتقوا
الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم
واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن
يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا واللائي يئسن من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر
واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن
يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا خمس آيات القراءة قرأ بعضهن عاصم بالغ بغير تنوين امره بالجر على الاضافة والباقون بالغ
بالتنوين امره بالنصب وفي الشواذ قراءة داود بن ابي هند ان الله بالغ بالتنوين امره بالرفع وروي عن النبي ص وابن عباس وابي بن كعب
وجابر بن عبد الله وعلي بن الحسين وزيد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد فطلقوهن في قبل عدتهن الحجة ابو علي قوله بالغ امره على سبيل
امر ضيا يزيده فيكم فهذا هو الاصل وهو حكاية حال ومن اضاف حذف التنوين استخفافا والمعنى معنى ثبات النون مثل ولم ارد عن محمد ما
واما قوله في قبل عدتهن فانه تفسير القراءة المشهورة فطلقوهن لعدتهن اي عند عدتهن وسئله قوله لا يحبلها الى قبلها اي عند قبلها وهو
قرأ بالغ امره فالمعنى امره بالغ ما يريده الله به وقد بلغ امر الله ما اراده والمفعول على ما رايت محذوف الاعراب واللائي لم يحضن مبتدأ
خبره محذوف هكذا لزم الكلام عليه فاذا جاز حذف الجار باسرها جاز حذف بعضها وقد جاز ايضا في الصفة واذا قلت خرجوا واوتيت من كل
شيء فتقديره ومن كل شيء يوتاه المعنى تاه الله سبحانه نبيه ص فقال يا ايها النبي ثم خاطب امته فقال اذا طلقتم النساء لان رسم السيد
المقدم فاذا نودي وخوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب من الحس وغيره وقيل ان تقديره يا ايها النبي قل لامتك
اذا طلقتم النساء عن الحياء فعلى هذا يكون النبي ص خارجا من الحكم وعلى القول الاول حكم حكم امته في امر الطلاق وعلم هذا انعقد
الاجماع والمعنى اذا اردتم الطلاق فطلقوهن لعدتهن اي قبل عدتهن وسئل قوله سبحانه اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم فطلقوهن لعدتهن اي لاستقبال
عدتهن وذلك ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه من ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وابن سيرين وقتادة والضحاك وطلاق
فهذا هو الطلاق للعدة لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصيل في العدة عقيب الطلاق فالمعنى فطلقوهن لطهرهن الذي
يحسبنه من عدتهن ولا يطلقوهن لحيضهن الذي لا يعتددن به من قرئهن ومثل هذا يكون الاعتداد بالطهر على ما ذهب اليه اصحابنا
وهو مذهب الشافعي وقيل ان المعنى قبل عدتهن اي في طهر لم يجامعها فيه والعدة للسبب فكانه قال فطلقوهن ليعتددن عقيب
ان هذا حكم الله حكم به لان الطلاق قبل المسيس لا عدة عليها وقد ورد به التنزيل في سورة الاحزاب وهو قوله فما لكم عليهن من
عدة تعتدونها وظاهر الآية يقتضي انه اذا طلقها في الحيض او في طهر قد جامعها فيه لا يقع الطلاق لان الامر يقتضي الايجاب
وبه قال سعيد بن المسيب وذهبت اليه الامامية وقال باقي الفقهاء يقع الطلاق وان كان بدعة وخلاف المامور به وكذلك ان
جمع بين الطلقات الثلاث فانها بدعة عند ابي حنيفة واصحابه وان كانت واقعة وعند المحققين من اصحابنا يقع واحدة عند
حصول شرايط صحة الطلاق والطلاق في الشرع عبارة عن خلية المراة بحل عقدة من عقد النكاح وذلك ان يقول انت طالق
بائن او بتول عذه طالق واشير اليها او نقول خلاة بنت فلان طالق ولا يقع الطلاق عندنا الا بهذا اللفظ او بشيء من
كنايات الطلاق سواء اراد بها الطلاق ام لم يرد بها وفي تفصيل ذلك اختلافات بين الفقهاء ليس ههنا موضعه وقد يحصل
الفراق بغير الطلاق كالارتداد واللعان والخلع عند كثير من اصحابنا وان لم يسم ذلك طلاقا ويحصل ايضا بالفسخ للنكاح باشياء
مخصوصة وبالرد بالعيب وان لم يكن ذلك طلاقا وروى البخاري ومسلم عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر

انه طلق امراته وهي حايض تطليقة واحدة فامره رسول الله صلعم ان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض عنده حيضة اخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضتها فاذا اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها تلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وقد اخرجه البخاري عن سليمان بن حرب ومسلم عن محمد بن عبد الرحمن بن بشر عن بهز وكلاهما عن شعبة عن انس بن سيرين قال سمعت ابن عمر يقول طلق ابن عمر امراته وهي حايض فذكر ذلك عمر للنبي صلعم فقال مره فليراجعها فاذا طهرت فليطلقها ان شاء وجاءت الرواية عن علي بن ابي طالب رض عن النبي صلعم انه قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ثوبان رفعه الى النبي صلعم قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق في غير ما باس فحرام عليها رايحة الجنة وعن ابي موسى الاشعري عن النبي صلعم قال لا تطلق النساء الا من ريبة فان الله لا يحب الذواقين والذواقات وعن انس عن النبي صلعم انه قال ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق هذه الاحاديث الاربعة اخرجها في تفسير الثعلبي ثم قال جماعة احصوا العدة اي حفظوا الاقراء التي تعتد بها وقيل معناه عدوا الوقت الطلاق لتطلقوا للعدة واما امر جماعة بالاحصاء العدة لان لها بها حقا وهي النفقة والسكنى والزوج فيها حق وهي المراجعة وفيها عن الازواج الحقه وثبوت نسب الولد فامره تعالى باحصائها ليعلم وقت المراجعة ووقت خروجها عليه ودفع النفقة والسكنى ولكي لا تطول العدة لاستحقاق زيادة النفقة او تقصرها لطلب الزوج والعدة هي تعود المراة عن الزوج حتى تنقضي المدة المرتبة في الشريعة وهي على ضربين ضرب يكون بالاقراء كالحيض وضرب يكون بالاشهر كالصغيرة التي لم تبلغ المحيض ومثلها الحيض وهي التي بلغت تسع سنين واذا كان سنها اقل من ذلك فلا عدة عليها عند اكثر اصحابنا وقال بعضهم عدتها بالشهور وبه قال الفقهاء وكذلك الكبيرة الايسة من المحيض ومثلها الحيض عدتها بالشهور وحده اصحابنا بان يكون سنها اقل من خمسين سنة وهن من سنين سنة للقرشيات وان كان سنها اكثر من ذلك فلا عدة عليها عند اكثر اصحابنا والمتوفى عنها زوجها عدتها بالشهور ايضا والضرب الثالث من العدة يكون بوضع الحمل في الجميع الا في المتوفى عنها زوجها فان عدتها عند اصحابنا البعدين اجلين في ذلك اختلاف بين الفقهاء ثم ان عدة الطلاق الحرة ثلثة قروء او ثلثة اشهر والامة قولان او شهر ونصف ووضع الحمل لا يختلف ثم قال سبحانه واتقوا الله ربكم فلا تقصروا فيما امركم به لا يخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن هن ايضا يعني في زمان العدة لا يجوز للزوج ان يخرج المطلقة المعتدة من مسكنه الذي كان يسكنها فيه قبل الطلاق وعلى المراة ايضا ان لا تخرج في عدتها الا لضرورة ظاهرة فان خرجت لغير ضرورة ظاهرة بغير عذر بينة اي خالفت امر الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ومن قرايح الباب فالمراد بالفاحشة مظهرتها واختلف في الفاحشة فقيل انها الزنا فتخرج لاقامة الحد عليها عن الحسن ومجاهد والشعبي وابن زيد وقيل هي البذآء على اهلها فيحل لهم اخراجها عن ابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام عن علي بن اسباط عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال الفاحشة اذا تؤذي اهل زوجها وتسبهم وقيل هي النشوز فاذا ظلمها على نشوز فلها ان تخرج من بيت زوجها عن قتادة وقيل هي خروجها قبل انقضاء العدة عن ابن عمر وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال ان كل معصية لله تعالى ظاهرة وهي فاحشة وذلك حدود الله يعني ما ذكره سبحانه من احكام الطلاق وشروطه ومن يتعد حدود الله بان يطلق على غير ما امر به تعالى به فقد ظلم نفسه اي اثم فيما بينه وبين الله عز وجل وخرج عن الطاعة الى المعصية وفعل ما يستحق به العقاب لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الى يغير راي الزوج في محبة الطلاق ويوقع في قلبه المحبة لرجعتها فيما بين الطلقة الواحدة والثانية وفيما بين الثانية والثالثة قال الضحاك و السدي وابن زيد لعل الله يحدث الرجعة في العدة وقال الزجاج واذا طلقها ثلاثا في وقت واحد فلا معنى لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وفي هذه الآية دلالة على ان الواجب في التطليق ان توقع متفرقا فلا يجوز الجمع بين الثلاث لان الله تعالى انما قال فطلقوهن لعدتهن بقوله واحصوا العدة ثم زاد في التاكيد بقوله واتقوا الله ربكم فيما امركم الله به فلا تعتدوه ثم قرر سبحانه حق الزوج في المراجعة بقوله لا يخرجوهن من بيوتهن فان الزوجة اذا لم ترم بينة تمكن الزوج من مراجعتها ثم دل بقوله وتلك حدود الله على ان من تعدى حدود الله تعالى في الطلاق بجهل حكمه وصار قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا تاكيدا لحدود الله في الطلاق ولولا ما بان حق الزوجة لانقطع جميع الطلاق فكانه قال كونوا على رجاء الغاية بالرجعة فقد يحدث الله الرغبة بعد الطلاق

فان قالوا امر الله سبحانه في الآية بطلاق العدة فكيف تقدرون انتم طلاق السنة على طلاق العدة فالجواب ان طلاق السنة ايضا طلاق العدة الا ان الصحابة رضي الله عنهم اصطلحوا على ان يسموا الطلاق الذي لا يزاد عليه بعد المراجعة طلاق السنة والطلاق الذي يزاد عليه بشرط المراجعة طلاق العدة وهما يعضد ما ذكرته ما اشتهر من الاخبار في كتبهم ورواياتهم ونقل عن متقدميهم مثل زرارة بن اعين وبكير بن اعين ومحمد بن مسلم وغيرهم فمن ذلك ما رواه يونس عن بكير بن اعين عن ابي جعفر عليه السلام قال الطلاق ان يطلق المرأة على طهر من غير جماع بشاهدي عدل ويليها على تطليقه ثم هو احق برجعتها ما لم تمض ثلثة قروء فهذا الطلاق الذي امر الله به في القرآن وامر رسول الله في سنته وكل طلاق لغير العدة فليس بطلاق ومن حريز قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن طلاق السنة فقال على طهر من غير جماع بشاهدي عدل ولا يجوز الطلاق الا بشاهدين والعدة وهو قوله فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة الآية وروى الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال كل طلاق لا يكون على السنة او طلاق على العدة فليس بشيء قال زرارة قلت لابي جعفر عليه السلام فسر لي طلاق السنة وطلاق العدة فقال اما طلاق السنة فهو ان الرجل اذا اراد ان يطلق امرأته فليتنظر بها حتى تطمث وتطهر فاذا خرجت من طمثها طلقها تطليقة من غير جماع ويشهد شاهدين عدلين على ذلك ثم يدعها حتى تمضي اقراؤها وقد بانت منه وكان خاطبا من الخطاب ان شاءت تزوجته وان شاءت لم تزوجه وعليه نفقتها والسكنى ما دامت في العدة وهما يتوارثان حتى ينقضي العدة واما طلاق العدة فاذا اراد الرجل ان يطلق للعدة طلاق العدة فليتنظر بها حتى تحيض وتخرج من حيضها ثم يطلقها تطليقة من غير جماع ويشهد شاهدين عدلين ويراجعها من يومه ذلك ان احب او بعد ذلك بايام قبل ان تحيض ويشهد على رجعتها ويواقعها ويكون معه حتى تحيض فاذا حاضت وخرجت من حيضها طلقها تطليقة اخرى من غير جماع ويشهد على ذلك ايضا متى شاء قبل ان تحتمض ويشهد على رجعتها ويواقعها ويكون معه حتى تحيض الحيضة الثالثة فاذا خرجت من حيضها طلقها الثالثة بغير جماع ويشهد على ذلك فاذا فعل ذلك فقد بانت منه ولا تحل له حتى تنكح زوجا غيره والروايات في هذا كثيرة عن ائمة الهدى عليهم السلام فعلى هذا فقس غيرها في طلاق السنة حتى تعتد ثلثة قروء فاذا مضى ثلثة قروء فانها تبين منه بواحدة واذا تزوجها بعد ذلك يهر جديد كانت عدة على تطليقتين باقيتين فان طلقها اخرى طلاق السنة وتركها حتى تمضي اقراؤها فقد بانت منه بابنتين فان تزوجها بعد ذلك وطلقها لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره ولو شاء ان يراجعها بعد الطلقة الاولى او الثانية لكان ذلك اليه فقد تبين ان هذا الطلاق ايضا عند ائمتنا عليهم السلام لا فرق بينهما ما ذكرناه فاذا بلغن اجلهن امساك بمعروف فاذا قاربن اجلهن الذي هو الخروج من العدة فامسكوهن بمعروف اي راجعوهن بما لهن من النفقة والكسوة والمسكن وحسن العشرة او فارقوهن بمعروف بان يتركوهن حتى تخرج من العدة بينونة منكم ولا يجوز ان يكون المراد بقوله فاذا بلغن اجلهن اذا انقضى اجلهن لان الزوج لا يملك الرجعة بعد انقضاء العدة بل هي تملك نفسها وتبين منه بواحدة ولها ان يتزوج من شاءت من الرجال واشهدوا ذوي عدل منكم قال المفسرون امروا ان يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة شاهدي عدل حتى لا يجد المرأة بعد انقضاء العدة ولا الرجل الطلاق وقيل معناه واشهدوا على الطلاق صيانة لدينكم وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وهذا اليق بالظاهر لانا اذا حملناه على الطلاق كان امرا بمقتضى الوجوب وهو من شرائط صحة الطلاق ومن قال ان ذلك راجع الى المراجعة حمله على الندب واقيموا الشهادة لله هذا خطاب للشهود اي اقيموها لوجه الله وقصدوا بادائها التقرب الى الله لا الطلب لرضا المشهود له ولا اشفاق من المشهود عليه ذلكم الامر بالحق يا معشر المكلفين يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اي يؤمر المؤمنون ليتزجروا به عن الباطل وخص المؤمنون لانهم الذين انتفعوا به فالطاعة الواجبة فيها وعظ بان رغب فيها باستحقاق الثواب وفي تركها بالعقاب والمندوبة فيها وعظ باستحقاق الثواب على فعلها والمعاصي فيها وعظ بالزجر عنها والتحريف عن فعلها باستحقاق العقاب والترغيب في تركها بما يستحق على الاخلال بها من الثواب ومن يتق الله فيما امره به ونهاه عنه يجعل له مخرجا من كل كرب في الدنيا والآخرة عن ابن عباس وروى عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال قرأ رسول الله صلعم ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد

يوم القيامة وعنه ص قال من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وقيل معناه وثق بالله فيما نابك وقيل معناه من اتقى الله جعل له مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب عن عكرمة والشعبي والضحاك وقيل انها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر العدو ابنا له فاتى النبي ص فذكر له ذلك وشكا اليه الفاقة فقال له اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عن العدو فاصاب ابلا وجاء بها الى ابيه فذلك قوله ومن يرزقه من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما اتاه عن ابي ذر الغفاري عن النبي ص قال اني لا اعلم آية لو اخذ بها الناس لكفتهم ومن يتق الله الاية فما زال يقولها ويعيدها ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه من يفوض امره الى الله ويثق بحسن تدبيره وتقديره فهو كافيه يكفيه امر دنياه ويعطيه ثواب الجنة ويجيره حيث لا يجير غيره وفي الحديث من سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ان الله بالغ امره اي يبلغ ما اراد من قضاياه وتدابيره على ما اراده لا يقدر احد على منعه عما يريده وقيل معناه انه منفذ امره فمن توكل عليه وفقه لم يتوكل عليه تدع جعل الله لكل شيء قدرا اي قدره الله لكل شيء مقدارا واجلا لا زيادة فيهما ولا انفصال وقيل بين لكل شيء مقدارا يحسب المصلحة فيه بالمشاهدة والايجاب والترغيب والترهيب كما بين في الطلاق والعدة وغيرهما وقيل قدر جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء وقتا وغاية وسببا ينتهي اليه ثم بين سبحانه اختلاف احكام العدة باختلاف احوال الناس فقال واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فلا تحيض ان ارتبتم فلا تدرون لكبر او لم تحض حيضهن ام لعارض فعدتهن ثلثة اشهر ومن اللائي لم يحضن لا لكون في سن من لا تحيض لم يكن للارتياب معنى وهذا هو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل معناه ان شككتم فلم تدروا دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلثة اشهر عن مجاهد والزهري وابن زيد وقيل معناه ان ارتبتم في حكمهن فلم تدروا ما حكمهن فمن اللائي لم تحض تقديره واللائي لم تحض ان ارتبتم فعدتهن ايضا ثلثة اشهر وحذف لدلالة الكلام الاول عليه ومن اللائي لم يبلغن المحيض ومثلهن لصغرهن على ما جرت به عادات الاحمال احبلهن ان يضعن حملهن قال ابن عباس هي في المطلقات خاصة وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام فاما المتوفى عنها زوجها اذا كانت حاملا فعدتها ابعد الاجلين فان مضت بها اربعة اشهر وعشر ولم تضع انتظرت وضع الحمل وقال ابن مسعود وابي بن كعب وقتادة واكثر الفقهاء ان عدة المطلقات والمتوفى عنها زوجها بوضع الحمل فان كانت المرأة حاملا باثنين وضعت واحدا انقطعت عصمتها من الزوج ولا يجوز لها ان تعقد على نفسها لغيره حتى تضع الاخر فاما اذا كانت قد اتى في عنها زوجها فوضعت قبل الاشهر الاربعة والعشر وجب عليها الانتظار في اربعة اشهر وعشرا ومن يتق الله في جميع ما امره بطاعته فيه يجعل له من امره يسرا اي ييسر عليه امور الدنيا والاخرة ما يخرج عاجلا او من حيث لا يحتسب ويجعل عاقبة فراق اهله ورزال الصوم عن قلبه ذلك يعني ما ذكره سبحانه من الاحكام في الطلاق والرجعة والعدة امر الله انزله اليكم ومن يتق الله بطاعته يكفر عنه سيئاته من الصلوة الى الصلوة ومن الجمعة الى الجمعة قال الربيع ان الله قد قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن عامن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن رزقه به اغناه ومن دعا اجابه ولباه وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب الاية ويعظم الاجر في الاخرة وهو ثواب الجنة قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رضي آيات القراءة قرأ ابو عمرو ويعقوب مختلفا عنه من وجدكم بكسر الواو والقراءة بضم الواو وقرأ ابن كثير وكاين بالمد والهمزة والباقون

ركاين بالهمزة والتشديد يقال وجدت في الماجدة وجدا ووجدا ووجدانا ووجدا استعاقب الحركات الثلاث على الواو ووجدت الضالة وجدانا ووجدت من الحزن وجدا وجدت من الغضب موجدة ووجدانا وكاين اصله اى دخلت عليها كاف الجارة كما دخلت على ذا فكذا موضع كاين رفع بالابتداء كما ان كذا كذلك وكاف موضع للكاف كما ان الكاف في كذا كذلك قال ابو علي مثل هذا في ان دخل على المبتدأ حرف الجر فصار مع الجر في موضع رفع قولهم بحسبك ان يفعل كذا فالباء مع المجرور في موضع رفع والمعنى اكتف بفعل حسبك في القوم ان يعلموا بانك فيهم غني مضر وكثر العرب يستعملها مع من وكذلك ما جاء في التنزيل ومجاءها منه في الشعر متواتر وكاين بالالف من صديق يراني قد اصبت هو المصابا وقول آخر وكاين الى كما من رأس فقة جنود واسنال الجبال كتائبه المعنى ثم بين سبحانه حال المطلقة في النفقة والسكنى فقال اسكنوهن اى في بيوتكم من حيث سكنتم من السكوح من وجدكم اى من ملككم وما تقدرون عليه عن السدي وابي مسلم وقيل هو من الوجد اى من جدتم ومن للتبعيض والمعنى اسكنوهن بعض مسكنكم من الحسن والمعنى وقيل من سعتكم وطاقتكم من الوجد الذي هو المقدرة قال الفراء يقول على ما يجد فان كان موسعا وسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر ذلك ويجب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية بلا خلاف فاما البائن فقيها خلاف فذهب اهل العراق الى ان لها السكنى والنفقة معا وروى ذلك عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وذهب الشافعي الى ان لها السكنى بلا نفقة وذهب الحسن وابو ثور الى انه لا سكنى لها ولا نفقة وهو المروي عن ائمة الهدى عليهم السلام وذهب اليه اصحابنا ويدل عليه ما رواه الشعبي قال دخلت على فاطمة بنت قيس بالمدينة فسألتها عن قضاء رسول الله ص فقالت طلقني زوجي البتة فخاصمته الى رسول الله ص في السكنى والنفقة فلم يجعل لي سكنى ولا نفقة وامرني ان اعتد في بيت ام مكتوم وروى الزهري عن عبيد الله ان فاطمة بنت قيس كانت تحت ابي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي وانه خرج مع علي بن ابي طالب ع الى اليمن حين امره رسول الله ص على اليمن فارسل الى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت لها من طلاقها فلما رجع عياش بن ابي ربيعة والحرث بن هشام ان ينفقا عليها فقالا والله ما لك من نفقة فاتت النبي ص فذكرت قولهما فلم يجعل لها نفقة الا ان تكون حاملا واستأذنته في الانتقال فاذن لها فقالت الى اين يا رسول الله قال عند ابن ام مكتوم وكان اعمى تضع ثيابها عنده ولا يراها فلم تزل هناك حتى مضت عدتها فانكحها النبي ص اسامة بن زيد قال فارسل اليها مروان بن الحكم قبيصة بن ذويب يسألها عن هذا الحديث ثم قال حين سمع هذا الحديث لم نسمع هذا الحديث الا من امرأة وسنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت [illegible] قال الله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن الى قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فقالت هذا لمن كانت له مراجعة واي امر يحدث بعد الثلاث ثم قال سبحانه ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن اى لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير في السكنى والنفقة او بالكسوة طالبين بالاضرار التضييق عليهن ليخرجن وقيل المعنى اعطوهن من المسكن ما يكفيهن لجلاس بين [illegible] ولا تضايقوهن حتى يتعذر عليهن السكن عن ابي مسلم وان كن اولات حمل اى ان كن حوامل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن لان عدتهن انما تنقضي بوضع حملهن وامر سبحانه بالانفاق على المطلقة الحامل سواء كانت رجعية او مبتوتة فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن اى فان ارضعن الولد لاجلكم بعد البينونة فاعطوهن اجر الرضاع يعني اجرة المثل وأمر وا بينكم بمعروف خطاب للرجل والمرأة والايتمار قبول الامر بمعاملة قائم بالمقبل امر الله تعالى المرضعة والمرضع له بالتقي لامره عز وجل وكل امر صاحبه اذا كان حسنا وقيل سناء ليامر بعضكم بعضا بالجميل في ارضاع الولد اى يستر اعنى الوالد والوالدة بعد وقوع الفرقة في الاجرة على الاب وارضاع الولد بحيث لا يضر بحال الوالد ولا ينقص الولد فلا يزاد على اجر المتعارف ولا ينقص الولد عن الرضاع المعتاد قال الكسائي اصله التشاور ومنه يأمرونك اى يشاورونك والاولى عندي ان يكون المعنى وبروا بالمعروف بينكم في امر الولد ومراعاة امه حتى لا يفوت الولد شفقتها وميزذلك ويدل عليه قول امرأة الفيس لجابر بن عروكان في حمزه وبعدوا على المرء ما يأتمر يعني ما يدبره في نفسه لان الرجل ربما دبر امرا ليس برشد فيعيد له عليه ويهلكه وان تعاسرتم تشاححتم لما ترين والمعنى فان اختلفتم في الرضاع وفي الاجرة فسترضع لها امرأة اخرى اجنبية اى فليسترضع الوالد غير والدة الصبي ثم قال سبحانه ليتفق ذو

سعة من سعته امر بها اهل الغنى سعة ان يوسعوا على نسائهم المرضعات اولاده من على قدر سعتهم ومن قدر عليه اى ضيق عليه
رزقه فلينفق مما اتاه الله والمعنى ومن كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك وعلى حسب امكانه ولطافته لا يكلف الله
نفسا الا ما آتيها اى الا بقدر ما اعطاها من الطاقة وفى هذا دلالة على انه سبحانه لا يكلف احدا ما لا يقدر عليه وكما يطيقه سيجعل الله
بعد عسر يسرا اى بعد ضيق سعة وبعد فقر غنى وبعد صعوبة الامر سهولة وفى هذا تسلية للصابرة فان الغالب على اكثرهم فى ذلك
الوقت الفقر ثم فتح الله تعالى عليهم البلاد فيما بعد وكاين من قرية عتت عن امر ربها اى رسله وكم من اهل قرية عتوا على الله وعلى انبيائه
يعنى جاوزوا الحد فى العصيان والمخالفة فحاسبناها حسابا شديدا بالمناقشة والاستقصاء باستيفاء الحق والمناقشة قال مقاتل
حاسبها الله بعملها فى الدنيا فجازاها فى العذاب وعذبناها عذابا نكرا لفظيع المجاوزة بالعذاب محاسبه وهو عذابه
الاستيصال وقيل هو عذاب النار فان اللفظ حامل يعنى المستقبل بالذكر المنكر الفظيع الذى لم ير مثله وقيل ان فى الآية تقديما
وتاخيرا تقديره فعذبناها فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر المصايب والبلايا وحاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا
وقيل الحساب الشديد هو الذى ليس فيه عفو فذاقت وبال امرها اى ثقل عاقبة كفرها فكان عاقبة امرها خسرا اى خسرانا فى الدنيا
والآخرة وهو قوله اعد الله لهم عذابا شديدا يعنى عذاب النار وهذا يدل على ان المراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا ثم قال فاتقوا
الله يا اولى الالباب اى يا اصحاب العقول كما فعلوا مثل ما فعل اولئك فينزل بكم مثل ما نزل بهم ثم وصف اولى الالباب
بقوله الذين آمنوا وخص الثنيين بالذكر لانهم المنتفعون بذلك دون الكفار ثم ابتدا سبحانه فقال قد انزل الله اليكم ذكرا
يعنى القرآن وقيل يعنى الرسول صعن الحسن وروى ذلك عن ابى عبد الله ع المنظم الوجه فى اتصال قوله وكاين من قرية
عتت عن امر ربها بما قبله انه سبحانه بين ان الخوف فى مقابلة الرجاء وسبيل العاقل ان يجتزئ من الخوف ما تقدم الاعتراف
من الخوف على الرجاء والذى يقوى جانب الخوف انه اهلك الامم الماضية بسبب عصيانها وقد رها من امر بها قوله تعالى
رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل
صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير قرات الله قد احاط بكل شئ علما بتنوين الراء قرا اهل المدينة والشام
بترك التنوين والباقون بالياء فمن قال بالياء فقد جعل الله فاعل انزل والذكر مفعوله ومن نون فالذكر هو الرسول سمى الرسول ذكرا
لما يتلو من ذكر الله وقيل لان ذكره مذكور فى الكتب المتقدمة وقيل لانه يذكر الناس ما يحتاجون اليه من امر دينهم ومن نون
الذكر فقد جعل الرسول نفس الذكر لما كان يتلو عليهم من آيات الله وقيل لان الله انزل اليكم ذكرا رسولا فحذف احد المفعولين
لدلالة الكلام عليه وقيل ان الذكر هو القرآن والرسول محمد ص وقيل هو جبرئيل ع فيجوز ان يكون المراد بالذكر الشرف اى قد ذكركم رسولا يتلو عليكم
آيات الله مبينات اى واضحات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور اى يخرجهم الله من ظلمات الكفر الى نور الايمان
وقيل من ظلمات الجهل الى نور العلم وانما شبه الايمان بالنور لانه يهتدى به فى القبر والقيمة والجنة وشبه الكفر بالظلمة لانه يهدى
الى ظلمة القبر وظلمة جهنم ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله
له رزقا اى يعطيه احسن ما يعطى احدا وذلك مبالغة فى وصف نعيم الجنة انه الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اى
وخلق من الارض مثلهن فى العدد لا فى الكيفية لان كيفية السماء مخالفة لكيفية الارض وليس فى القرآن آية تدل على ان الارضين
سبع مثل السموات الا هذه الآية ولا خلاف فى السموات انهن سماء فوق سماء واما الارضون فقال قوم انهن سبع ارضين طبقا
فوق بعض كالسموات لانها لو كانت مصمتة لكانت ارضا واحدة وفى كل ارض خلق خلقهم الله تعالى كما شاء وهو المروى
عن ابن عباس انهن سبع ارضين ليس بعضها فوق بعض تفرق بينهن البحار تظل جميعهن السماء والله سبحانه اعلم بصحة ما اشار
بعلمه واشتبه على خلقه وقد روى العياشى باسناده عن الحسين بن خالد عن ابى الحسن ع قال بسط كفه ثم وضع اصبعه عليها فقال

نصف الحزب

سورة التحريم

هذه الارض الدنيا والسماء الدنيا عليها قبة والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة حتى ذكر الرابعة والخامسة والسادسة فقال والارض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة والعرش الرحمن فوق السماء السابعة وهو فوق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن وانما صاحب الامر النبي وهو على وجه الارض وانما ينزل الامر من فوق من بين السموات والارضين فعلى هذا يكون المعنى تنزل الملائكة بأوامره الى الانبياء وقيل معناه يتنزل الامر بين السموات والارضين من الله سبحانه بجميع بعض وموت بعض وصلاة حي وهلاك آخر وغنى انسان وفقر آخر وتصريف الامور على الحكمة لتعلموا ان الله على كل شئ قدير بالتدبير في خلق السموات والارض والاستدلال بذلك على ان صانعهما قادر اذ لا تتم علم الا لذات وذلك قوله وان الله قد احاط بكل شئ علما ومعناه ان معلوماته متميزة لم يتميز له ما لم يحط به فلم يعزب عنه شئ منه وكذلك قوله وكل شئ احطناه بما لديه علما معناه انه ليس بمنزلة ما يحضره العلم بمكانه فيكون كأنه قد احاط به

سورة التحريم مدنية اثنتا عشرة اية بالاجماع نصها ابي كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة يا ايها النبي لم تحرم بعدد كل امرأة صدقت بمحمد واسمها ان يكون الله اعطاه التوبة نصوحا تشبيها لما تقدم في تلك السورة احكام النساء في الطلاق وغيره افتتح هذه السورة باحكامهن فقال بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات عابدات سائحات ثيبات وابكارا خمس آيات قرأ الكسائي وحده عرف بالتخفيف والباقون عرف بالتشديد واختار التخفيف ابو بكر بن عياش وهو من الحرف العشرة التي قال ابن مجاهد ادخلها في قراءة عاصم من قراءة علي بن ابي طالب حتى استحلت قراءتي على قراءة علي وهي قراءة الحسن وابي عبد الرحمن السلمي وكان ابو عبد الرحمن اذا قرأ انسان بالتشديد حصبه وقرأ اهل الكوفة تظاهرا عليه خفيفة الظاء والباقون تظاهرا بالتشديد لحجة قال ابو علي وجه التخفيف في عرف انه جازي عليه لا يكون الا كذلك ولا يجوز ان يكون بمعنى العلم لان المخبر اذا اظهره الله على ما كان اسر اليه علم ذلك ولم يجز ان يعلم من ذلك بعضه مع اظهار الله اياه عليه ولكن يعلم جميعه وهذا كما يقول لمن يسئ اذا احسن الينا فعلت كما تفعل السادة اي لا اجزيك على ذلك ولا مقابلة بما يكره وقتاله فالمعنى جازى على بعض ذلك واغضى عن بعض ومثله ما تفعلوا من خير يعلمه الله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي جزاءه وقوله يرى من رؤية العين وكان جازاها عليه تطليقه حفصة واحدة واما عرف بالتشديد فمعناه عرف بعضه وعرض عن بعض فلم يعرفها اياه على وجه الكرم والاغضاء واما ظاهرا فالاصل فيه وان تظاهرا حذفت احدى التاءين في القراءة الاولى بالحذف وفي القراءة الاخرى بالادغام لغة الحرام القبيح المشنع منه بالنهي وفيضه الحلال وهو الحسن المطلق بالاذن فيه والتحريم التبيين ان الشئ حرام لا يجوز والتحريم ايجاب المنع والاستقاء الطلب ومنه البغي طلب الاستعلاء بغير حق والتحلة والتحليل بمعنى واحد مصدر لحلل لهم حللت لهم كذا وتحلة اليمين فعل يسقط المتعة نية اليمين واصله الايمان وهو الحلف وكانه مأخوذ من اليمن لان بعضهم يقوي كلامه بالحلف وقيل انه ماخوذ من الجارحة لان عادتهم كان عند الحلف ضرب الايدي على الايدي والايسار لقصد المعنى الى نفس المحدث على وجه الاخذ عن غيره والتظاهر التعاون والظهير المعين واصله من الظهر والسابح الجاري والعرب تصف بذلك الفرس الجاري الرائض الجواد ثم تصف به الرجل الذي يغرب في الارض ويقطع البلاد فيقال سابح وسباح والثيب الراجعة من عند الزوج بعد الاقتضاض من ثاب يثوب اذا رجع والبكر هي التي على اول حالها قبل الاقتضاض الاعرب قيل في جميع القلوب في قوله صغت قلوبكما وجهان احدهما ان التثنية جمع في المعنى فوضع الجمع موضع التثنية كما قال وكنا لحكمهم شاهدين وانما هو داود وسليمان عليهما السلام والثاني في الكثير ما في الانسان اثنان من فوق اليدين والرجلين والعينين واذا جمع اثنان من اثنين صار جمعا فيقال ايديهما واعينهما لحمل ما كان في الانسان واحد على ذلك لئلا يختلف حكم لفظ اعضاء الانسان والثالث ان الاضافة اليه مثنى

تكرها

ذكروا ان يجمعوا بين شيئين صرفوا الاول منهما الى لفظ الجمع لان لفظ الجمع اخف لانه اشبه بالحروف لانه يجري باعراب الواحد و يستانف كما يستانف الواحد وليست التثنية كذلك لانها لا يكون الا على حد واحد فلا يختلف وقد العرب من يثنى فيقول قلبا هما قال الراجز فجمع بين اللغتين ظهرا هما مثل ظهور الترسين وقال الفرزدق في فؤاد ينا من البث والهوى فبعد منها حزن الفؤاد المشعف وقد العرب من يفرد ويريد ان بعضهم فرا فيدت لهما سواتهما والوجه في الافراد ان الاضافة الى التثنية بمنزلة من تثنية المضاف وفي جبرئيل اربع لغات جبرئيل على وزن قنديل وجبرئيل على وزن عندليب وجبرئل على وزن عجرش وجبرين بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وهو خارج عن اوزان العرب لانه ليس في العربية مثل قنديل وقد فرقنا بذلك كله وقد ذكرنا اختلاف القراء فيه في سورة البقرة وقد العرب من يقول جبرال بتشديد اللام ومنهم من يبدل النون لاما فيقول صوملا ويجوز في هو وجهان احدهما ان يكون فصلا دخل لتفصل بين النعت والخبر والكوفيون يسمونه عمادا والثاني ان يكون مبتدأ و مولاه والخبر والجملة خبر ان وقد جعل مولاه بمعنى السيد والخالق كان الوقف على قوله مولاه وجبرئيل مبتدأ وصالح المؤمنين عطف عليه والملائكة عطف ايضا ظهير خبر وجاز ذلك لان فعيلا يقع على الواحد والجمع كقوله قال جماعة خلصوا لجيا فظهير كحني وقال غايهم عدولي وقد جعل مولاه بمعنى ولي وناصر جاز ان يكون الوقف على قوله وجبرئيل معطوفا على صالح المؤمنين ويبتدئ والملائكة بعد ذلك ظهير فيكون ظهيرا عايدا الى الملائكة النزول اختلف اقوال المفسرين في سبب نزول الايات فقيل ان رسول الله كان اذا صلى الغداة يدخل على ازواجه امرأة امرأة وكان قد اهديت لحفصة بنت عمر بن الخطاب عكة من عسل فكانت اذا دخل عليها رسول الله صلعم سقته منها واذا عايشة انكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية حبشية عندها اذا دخل رسول الله على حفصة فادخل عليها فانظري ما تصنع فاخبرتها الخبر وشان العسل فغارت عايشة وارسلت الى صواحبها فاخبرتهن وقالت اذا دخل عليكن رسول الله فقلن اني اجد منك ريح المغافير وهو صمغ العرفط كريه الرايحة وكان رسول الله صلعم يكره ويشق عليه ان يوجد منه ريح غير طيبة لانه يأتيه الملك قال فدخل رسول الله صلعم على سودة قالت فما اردت لي الاول ذلك لرسول الله صلعم اني فرقت من عايشة فقلت يا رسول الله ما هذه الريح التي اجد هامنك اكلت المغافير فقال لا لكن حفصة سقتني عسلا ثم دخل على امراة واحدة بعد واحدة كل يقول له ذلك فدخل على عايشة فاخذت بانفها فقال لها ما شانك قالت اجد ريح المغافير فيكلها يا رسول الله قال لا بل سقتني حفصة عسلا فقالت جرست اذا خلها العرفط فقال صلعم والله لا اطعمه ابدا فحرمه على نفسه وقيل ان التي كانت تسقي رسول الله العسل ام سلمة نعم عطار بن ابي سلم وقيل بل كانت زينب بنت جحش قالت عايشة قال رسول الله صلعم كايكلت عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطيت انا وحفصة ايتنا دخل عليها النبي فليقل اني اجد منك ريح المغافير اكلت مغافير فدخل على احديهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له فنزلت الايات وقيل ان رسول الله صلعم قسم الايام بين نسايه فلما كان يوم حفصة قالت يا رسول الله ان لي الى ابي حاجة فاذن لي ان ازوره فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلعم الى جاريته مارية القبطية وكان قد اعرضها له المقوقس فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فاتت حفصة فوجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج عند رسول الله وجهه ينطر عرقا فقالت حفصة انما اذنت لي من اجل هذا دخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما رايت لي حرمة وحقا فقال صلعم اليس هي جاريتي قد احل الله ذلك لي اسكتي فهو حرام على نفسي بذلك رضاك فلا تخبري بهذا المراة منهن وهو عندك امانة فلما خرج صلعم قامت حفصة جدار الى بيتها بين عايشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلعم قد حرم امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عايشة بما رات وكانا متصافيتين متظاهرتين على سايراز واجه فنزلت يا ايها النبي لم تحرم فطلق حفصة واعتزل نساءه تسعة وعشرين يوما قعد في مشربة ام ابراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير عن قتادة والشعبي وسيرتي وقيل ان النبي صلعم خلا في يوم لعايشة مع جاريته ام ابراهيم مارية القبطية فوقعت حفصة على ذلك فقال لها رسول الله صلعم لا تعلمي عايشة ذلك وحرم مارية على نفسه فاعلمت حفصة عايشة الخبر واستكتمتها اياه فاطلع الله نبيه

على ذلك وقوله واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا يعني حفصة عن الزجاج قال ولما حرم مارية القبطية اخبر حفصة انه يملك من بعده ابو بكر وعمر فعرفها بعض ما افشت من الخبر واعرض عن بعض ان ابا بكر وعمر يملكان بعده وقريب من ذلك ما رواه العباس بالاسناد عن عبد الله بن عطاء المكي عن ابي جعفر غير انه زاد في ذلك انه كان واجدة منها حدثت اباها بذلك عتابها في امر مارية وما انشأ عليه من ذلك واعرض عن ان يبديها في الامر الآخر المحدث يا ايها النبي لما اراد سبحانه بهذا النداء تشريف المنوه بها لعباده كيف يخاطبونه في انشائها واراتهم ويذكر بعض في خلال كلامهم لم تحرم ما احل الله لك من الملك تبتغي مرضات ازواجك اي تطلب به رضا نسائك وهن احق بطلب مرضاتك منك وليس في هذا كالة على وقوع ذنب منه صغيرا او كبيرا لان تحريم الرجل بعض نسائه او بعض الملك لسبب او لغير سبب ليس بقبيح ولا داخل في جملة الذنوب ولا يسوغ ان يكون خرج هذا القول مخرج التوجع له اذا بالغ في ارضاء ازواجه ودخل في ذلك المشقة وان انسانا ان رضي بعض نسائه بتطليق بعضهن لجاز ان يقال لحاجته فعلت ذلك وتحملت منه المشقة وان كان لم يفعل قبحها ولو قلنا انه صعب عليه ذلك لان ترك التحريم كان افضل من فعله لم يمتنع لانه عليه السلام ان يقال لتارك الفضل لم تركته وهلا عدلت عنه وكان تطيب قلوب النساء مما لا ينكره العقول وقد روي ان عبد الله ابن رواحة وكان من النقباء كانت له جارية فاتهمته زوجته ليلة فقال قولا بالتعريض فقال ان كنت لم تقربها فاقرئي القرآن واشتدت شهوته فلم الكذب بان عمدا رسول الله فوق السموات من على وان ابا الخبيث ويحيى كلامها له على في دينه بمنقبات تلك التي بالمخرج من نظر نحله ومن دانها فل عن الخير معزل فقالت زدني فاشتدت وفيتا رسول الله تتلو كتابه كالصبح مع الصبح ساطع اتى بالهدى بعد العمى فنوسنا به موقنات ان ما قال واقع ببيت بجانبي جنبه عن فراشه اذا رقدت بالكافرين المضاجع فقالت زدني فاشتدت شهدت بان وعد الله حق وان النار مثوى الكافرين وان محمدا هو الحق وان الله مولى المؤمنين فقالت اما اذا قرأت القرآن فقد صدقتك فاخبرت بذلك رسول الله صلعم فقال بعد لا تبسم خيركم خيركم لنسائه واختلف العلماء فيمن حرم امرأته على حرام فقال مالك هي ثلاث تطليقات وقال ابو حنيفة ان نوى به الظهار فهو ظهار وان نوى الايلاء فايلاء وان نوى الطلاق فهو طلاق بائن وان نوى ثلاثا كان ثلاثا وان نوى ثنتين فواحدة بائنة وان لم يكن له نية فهو يمين وقال الشافعي ان كان الطلاق كان طلاقا والظهار كان ظهارا وان لم يكن له نية فهو يمين روي عن ابن مسعود وابن عباس وعطاء انه يمين وقال اصحابنا انه لا يلزم بشيء وجوده كعدمه وهو قول مسروق والخامس وجب الله فيه الكفارة لان النبي صلعم كان حلف ان لا يقرب جاريته او لا يشرب الشراب المذكور فاوجب عليه ان يكفر عن يمينه ويعود الى استباحة ما كان حرمه وبين ان التحريم لا يحصل الا بامر الله ونهيه وانه لا يصير الشيء حراما بالتحريم من غير عوده على نفسه الا اذا حلف على تركه فصار وجوب الكفارة فيهم اذا رجعوا الى ما هو الاولى والاليق بالمتقين يرجع لهم الى التولي قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي قد قدر الله تعالى لكم ما تحللون به ايمانكم اذا فعلتموها وشرع لكم الحنث فيها لان اليمين تفعل بالحنث فسمي ذلك تحلة وقيل معناه قد بين الله لكم كفارة ايمانكم في سورة المائدة عن مقاتل قال امر انه بنبيه ان يكفر عن يمينه ويراجع وليس فيه فاعتق رقبة وعاد الى ماريته وقيل معناه فرض الله عليكم كفارة ايمانكم كما قال وان اساتم فلهن وسمى الكفارة تحلة لانها تجب عند الحنث والحالف في هذا كالتارك على انه قد حلف ولم يقتصر على قوله هي علي حرام لان هذا القول ليس بيمين والله مولاكم اي وليكم يحفظكم وينصركم وهو اولى بكم وادرى بان يتبعوا رضاه وهو العليم بمصالحكم الحكيم في اوامره ونواهيه كلكم وقبل هو العليم بما قالت حفصة لعايشة الحكيم في تدبيره واذ اسر النبي الى بعض ازواجه وهي حفصة حديثا اي كلاما امرها بالكتمان عليه فلما نبأت اي اخبرت غيرها بما اخبرها به فاشت سره واظهره الله عليه اي واطلع الله نبيه على ما جرى من افشاء سره عرف بعضه واعرض عن بعض اي عرف النبي صلعم حفصة بعض ما ذكرت واخبرها ببعض ما ذكرت واعرض عن بعض ما ذكرت او عن بعض ما جرى من الامر فلم يخبرها وكان صلعم جمع ذلك لان الامر لم يتم لما يكره بعد المعرفة كذا صلعم اخذ بمكارم الاخلاق والتغافل من خلق الكرام قال الحسن ما استقصى كريم قط واما معروف بالتخفيف فمعناه غضب عليها وجازاها بان طلقها تطليقة ثم راجعها بامر الله وقيل جازاها بان هم بطلاقها

فطلقها

فلما نبأها به اى فلما اخبر رسول الله حفصة بما اظهره الله عليه قالت حفصة من انبأك هذا اى من اخبرك هذا قال رسول الله
نبأنى العليم بجميع الامور الخبير بسرايرالصدور ثم خاطب سبحانه عايشة وحفصة فقال ان تتوبا الى الله من التعاون على النبى
بالايذاء والتظاهر عليه فقد حق عليكما التوبة ويجب عليكما الرجوع الى الحق فقد صغت قلوبكما اى مالت قلوبكما الى الاثم
عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه زاغت قلوبكما عن سبيل الاستقامة وعدلت عن الصواب الى ما يوجب الاثم وقيل تقديره
ان تتوبا الى الله تقبل توبتكما وقيل انه شرط فى معنى الامر اى توبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه وان تعاونا
على النبى ص بالايذاء فان الله هو مولاه عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله قال عايشة وحفصة
اخرجه البخارى فى الصحيح فان الله هو مولاه الذى يتولى حفظه وحياطته ونصرته وجبرئيل ايضا معين له وناصر لحفظه
وصالح المؤمنين يعنى خيار المؤمنين عن الضحاك وقيل يعنى الانبياء عن قتادة قال الزجاج صالح ههنا موحد عن الجمع كما يقال
يفعل هذا الخير من الناس تريد كل خير وقال ابو مسلم هو صالحوا المؤمنين على الجمع وسقطت الواو فى الخط لسقوطها فى
اللفظ وردت الرواية من الخاص والعام ان المراد بصالح المؤمنين امير المؤمنين على ع وهو قول مجاهد وفى كتاب شواهد
التنزيل بالاسناد عن سدير الصيرفى عن ابى جعفر ع قال لقد عرف رسول الله ص علياع اصحابه مرتين اما مرة فحيث قال من
كنت مولاه فعلى مولاه واما الثانية فحيث نزلت هذه الاية فان الله هو مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين الاية اخذ رسول الله ص
بيد على فقال ايها الناس هذا صالح المؤمنين وقالت اسماء بنت عميس سمعت النبى ص يقول وصالح المؤمنين على بن ابى طالب
والملائكة بعد ذلك اى بعد الله وجبرئيل وصالح المؤمنين من مقاتل ظهيرا اى اعوان للنبى ص وهذا من الواحد الذى يدل
معنى الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا عسى ربنا واجب من الله وربما ان طلقكن يا معاشر ازواج النبى ان يبدله ازواجا خيرا
منكن اى اصلح له منكن ثم نعت تلك الازواج اللاتى كان يبتدله بهن لو طلق نساء فقال مسلمات اى مستسلمات لما امر الله
به مؤمنات اى مصدقات لله ورسوله مستحقات للثواب بالتعظيم وقيل مصدقات فى افعالهن وانوثهن قانتات اى
مطيعات لله تعالى ولازواجهن وقيل خاضعات متذللات لامره وقيل ساكنات عن الخناء والمفضوح عن قتادة تائبات عن
الذنوب وقيل راجعات الى امر الرسول تاركات لحاب انفسهن وقيل نادمات على تقصير وقع منهن بعبادات الله تعالى بما تعبدهن
به من الفرايض والسنن عن ابن عباس وقيل متذللات لرسول الله ص بالطاعة سائحات اى صائمات فى طاعة الله تعالى وقيل
صايمات عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل مهاجرات عن ابن زيد وابنه زيد بن اسلم والجباى والمغاربل للصايم سايح لانه يمر
فى الامساك عن الطعام كما يمر السايح فى الارض ثيبات وهن الراجعات من عند الازواج بعد انقضاء اعيانهن وابكارا اى عذارى
لم يكن لهن ازواج يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ
شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا ايها
الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى
الله النبى والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير
يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة
نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين
ضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم
الظالمين ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين
سبع ايات قرأ حماد وحميد عن ابى بكر نصوحا بضم النون والباقون بفتح النون وقرأ اهل البصرة وحفص وكتبه بضم الكاف والتاء
على الجمع والباقون بكسر الكاف والتاء على الواحد الجنس قال ابو على يشبه ان يكون النصوح بالضم مصدرا وذلك ان ذا الرمة قال احبك
حبا خالطه نصاحة فالنصاحة على فعاله وما كان على فعال من المصادر فقد يكون فيه الفعول نحو الذهاب والذهوب ويكون

قد وصفوا بالمصدر فهو عدل وبنا قال ابو الحسن نخصه في معنى صدقته وقد يترضح اوصادقة والفتح كلام العرب والاعراف
الضم وجهة من قال وكتبه انرى في موضع جمع الا ترى انها قد صدقت بجميع كتب الله تعالى ومن قال وكتابه اراد الكثرة والشياع وقد
يجئ ذلك في الاسماء المضافة كما يجئ في الاسماء المفردة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها الاعراب والذين آمنوا معه مبتدأ
نورهم مبتدأ ثان ويسعى بين ايديهم في موضع الخبر والجملة خبر المبتدأ الاول وقوله امرأة نوحوا تقديره مثل امرأة نوح فحذف
المضاف وهو دليل من قوله مثلا للذين كفروا ادب سبحانه بشارا النبي صلى الله عليه وآله المؤمنين بتأديب نسائهم فقال يا ايها الذين
آمنوا قوا اي احفظوا واحرسوا انفسكم واهليكم نارا والمعنى قوا انفسكم بالانتهاء عن معاصيه وامتثال طاعته وقوا اهليكم النار بدعائهم الى الطاعة وتعليمهم الفرايض ونهيهم عن المقابيح وحثهم على اعمال الخير وقال
مقاتل بن حيان وهو ان يؤدب الرجل المسلم نفسه واهله ويعلمهم الخير وينهاهم عن الشر فذلك حق على المسلم ان يغير
بنفسه واهله وعبيده واما يؤ في تاديبهم وتعليمهم ثم وصف سبحانه النار التي حذرهم منها فقال وقودها الناس والحجارة اي
حطب تلك النار الناس والحجارة اي حطب تلك النار الناس وحجارة الكبريت وفي تزيد في قوة النار وقد مر تفسير هذا عليك
غلاظ جفاة اي غلاظ القلوب لا يرحمون اهل النار او يأتي يعني الزبانية التسعة عشر وامرهم ان لا يعصوا الله ما امرهم به
يفعلون ما يؤمرون وفي هذا دلالة على ان الملائكة الموكلين بالنار معصومون عن القبايح لانها لو وقعت منهم لما امنوا العقوبة
قال الجبائي انما عنى انهم لا يعصونه ويفعلون ما يؤمرهم به في دار الدنيا لان الاخرة ليست بدار تكليف وانما هي دار جزاء والمراد
الله بتعذيب اهل النار على وجه الثواب لهم بان جعل سرورهم ولذاتهم في تعذيب اهل النار كما جعل سرور المؤمنين ولذاتهم
في الجنة ثم حكى سبحانه ما يقال للكفار يوم القيمة فقال يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم وذلك انهم اذا عذبوا يأخذون في
الاعتذار فلا يلتفت الى معاذيرهم ويقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك انهم جزاء فعلكم وذلكم قولوا انما تجزون ما كنتم تعملون
ثم عاد سبحانه الى خطاب المؤمنين في دار التكليف فقال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله من معاصيه وارجعوا الى طاعته توبة
نصوحا اي خالصة لوجه الله وروى عكرمة عن عباس قال قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما التوبة النصوح قال ان يتوب
التايب ثم لا يرجع فيذنب كما لا يعود الدبن الى الضرع وقال ابن مسعود التوبة النصوح هي التي يكفر كل سيئ وهو في القرآن
ثم تلا هذه الآية قيل ان توبة النصوح هي التي ينا صح الانسان فيها نفسه [illegible] وقيل هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه عن الحسن وقيل هي الصادقة الناصحة عن قتادة وقيل هي
ان يستغفر باللسان وينديم بالقلب ويمسك بالبدن عن الكلبي عن قتادة وقيل هي التوبة المقبولة ولا يتوب توبا لم يكن فيها ثلاث
خوف ان لا يقبل ورجا ان يقبل وادمان الطاعة عن سعيد بن جبير وقيل هي ان يكون الذنب نصب عينيه كلما نظر اليه
وقيل هي من النصح وهو الخياطة لان العصيان تخرق الدين والتوبة ترفعه وقيل لانها اجمعت بينه وبين اولياء الله كما جمع الخياط
الثوب والخرق بعضه ببعض وقيل لانها احكمت طاعته وابعدتها كاحكم الخياط الثوب واوثقه عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يحطها عنكم ويدخلكم الجنة وعسى من الله واجب ثم قال يوم لا يخزي الله النبي والذين
آمنوا معه ان لا يعذبهم الله بدخول النار ولا يذلهم بذلك بل يعزهم بادخالهم الجنة وقيل لا يخزي الله النبي اي لا يشوه فيما يريده
من الشفاعة بل يشفعه في ذلك نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وبايمانهم مفسر في سورة الحديد وقال ابو عبد الله عليه السلام ايما
المؤمنين يوم القيمة بين ايديهم وبايمانهم حتى ينزلوهم منازلهم من الجنة يقولون ربنا وهو في موضع نصب على الحال تقديره
قائلين ربنا اتمم لنا نورنا وقيل ان قوله والذين آمنوا معه مبتدأ ونورهم يسعى خبره ويقولون اتمم لنا نورنا خبر آخر من الذين آمنوا
وحال منهم وفيه وجه آخر ذكرناه في الاعراب وقيل اتمم لنا نورنا معناه وفقنا للطاعة التي هي سبب النور واغفر لنا اي استر علينا
معاصينا لا تهلكنا بها انك على كل شئ قدير من اظهار نور المنافقين واثبات نور المؤمنين ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال يا ايها النبي جاهد
الكفار بالقتال والحرب والمنافقين بالقول الرديع عن القبيح لا بالحرب الا ان فيه بذل المجهود فذلك جهاد وروى عن ابي

عبد الله عن قراءة هذا الكفار بالمنافقين قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال منافقا فما كان يقاتل المنافقين ولغلظ عليهم اي اشد عليهم من غير محاباة وقيل اشد عليهم في اقامة الحد عليهم قال الحسن اكرمهم كان يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقين فامر الله تعالى ان يغلظ عليهم في اقامة الحدود ما وأهم اي مأوى الكفار والمنافقين جهنم وبئس المصير اي المآل والمستقر ثم ضرب الله للذين آمنوا زوجة النبي صلى الله عليه وآله حثا لهن على الطاعة وبيانا لهن ان مصاحبة الرسول مع مخالفته لا تنفعهن فقال ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا اي نبيين من انبيائنا صالحين فخانتاهما قال ابن عباس كانت امرأة نوح كافرة فتقول للناس انه مجنون واذا آمن بنوح احد اخبر بالجبابرة من قومه نوح به وكانت امرأة لوط تدل على اضيافه فكان ذلك خيانتهما لهما وما بغت امرأة نبي قط وانما كانت خيانتهما في الدين وقال السدي كانت خيانتهما انهما كانتا كافرتين وقيل كانتا منافقتين وقال الضحاك خيانتهما النميمة اذا اوحى الله اليهما افشاه الى المشركين فلم يغنيا عنهما من الله شيئا اي فلم يغن نوح ولوط مع نبوتهما عن امرأتهما من عذاب الله شيئا وقيل اي وقيل لهما يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين وقيل ان اسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط واهلة وقال مقاتل والغة ووالهة وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون وهي آسية بنت مزاحم قيل انها لما عاينت البحر من عطفة موسى وغلبة السحرة اعلمت فاظهرت لفرعون ايمانها فعذبها فاوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس ثم امر ان يلقى عليها صخرة عظيمة فلما رأت ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فرفعها الله الى الجنة وهي فيها تأكل وتشرب عن الحسن وابن كيسان وقيل انها ابصرت بيتها في الجنة من درة والتزع الله روحها فالقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح فلم تجد الماس عذاب فرعون وقيل انها كانت تعذب بالشمس واذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها من الجنة عن سلمان ونجى من فرعون وعلمه اي دينه وقيل وجاهده عن ابن عباس ونجني من القوم الظالمين من اهل مصر قالوا قطع الله تعالى بهذه الآيات طمع من ركب المعصية رجاء ان ينفعه صلاح غيره واحزان معصية الاحرار تضر من كان مطيعا وقال مقاتل يقول الله سبحانه لعائشة وحفصة لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهو قوله ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها اي منعت فرجها من ذنب المعصية فلعنت من الحرام وقيل معناه منعت فرجها من الازواج لم تبتغ زوجا ولا غيره فنفخنا فيه من روحنا اي نفخ جبرئيل في جيبها من روحنا من قتادة قال الفراء كل شق مفتوح فرج واحصنت فرجها منعت جيب درعها من جبرئيل عليه السلام فنفخ جبرئيل في فرجها وخلق الله المسيح وهو المظاهر وذلك ذكره وقال في سورة الانبياء فنفخنا فيها وعاد الضمير الى التي احصنت فرجها وقيل معناه فعلنا المسيح في جيبها ونفخنا فيه الروح حتى صار حيا فالضمير في فيه يعود الى المسيح وصدقت بكلمات ربها اي بما تكلم الله تعالى به واوحاه الى انبيائه وملائكته وقيل صدقت بوعد الله ووعيده وامره ونهيه وكتبه اي صدقت بكتب الله المنزلة على الانبياء مثل التوراة والانجيل ومن وحد فالمراد به الانجيل وكانت من القانتين اي المطيعين لله سبحانه والدائمين على طاعته ويجوز ان يكون من القنوت في الصلوة ويجوز ان يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها الذين كانت مريم منهم وكانوا اهل بيت صلاح وطاعة ولم يقل من القانتات لتغليب المذكر على المؤنث وجاءت الرواية عن معاذ بن جبل قال دخل رسول الله صلى على خديجة وهي تجود بنفسها فقال اكره ما نزل بك يا خديجة وقد جعل الله في الكره خيرا كثيرا فاذا قدمت على ضرائرك فاقرئهن مني السلام قالت يا رسول الله ومن هن قال مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكلثمة او حكيمة اخت موسى يشك الراوي فقالت بالرفاء والبنين وهن اي موسى هن النبي صلى قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع اسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد سورة الملك وتسمى المنجية لانها تنجي صاحبها من عذاب القبر وهي مكية عدد ايها احدى وثلثون اية مكي والمدني الاخير ثلثون اية في الباقين اختلفا فيها اية واحدة قدر جازانا نذير مكي والمدني الاخير فصلها ابي بن كعب عن النبي صلى قال ومن قرأ سورة تبارك فكانما احيا ليلة القدر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى قال ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلثون اية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيامة من النار وادخلته الجنة

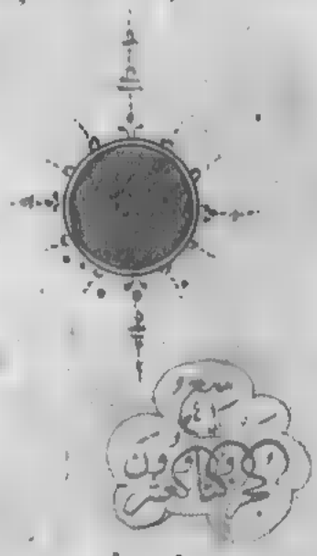

وهي سورة تبارك وعن ابن مسعود قال اذا وضع الميت في قبره وولي عن قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لانه كان يقرأ في سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك من قرأ في ليلة فقد اكثر واطاب وروى الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر ع قال سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر وهي مكتوبة في التوراة سورة الملك ومن قرأها في ليلة فقد اكثر واطاب ولم يكتب من الغافلين وانى اركع بها بعد عشاء الاخرة وانا جالس وان الذي يقرأها في حيرته في ليله اذا دخل عليه في قبره ناكر ونكير من قبل رجليه قالت رجلاه ليس لكما الى ما قبلي سبيل فذاك هذا العبد يقوم على فيقرأ سورة الملك في كل يوم وليلة فاذا اتياه من قبل جوفه قال لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل كان هذا العبد قد وعى في سورة الملك واذا اتياه من قبل لسانه قال لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل فذاك هذا العبد يقرأني في كل يوم وليلة سورة الملك ابن بكير عن ابي عبد الله ع قال من قرأ تبارك الذي بيده الملك في المكتوبة قبل ان ينام لم يزل في امان الله حتى يصبح وفي امان يوم القيمة حتى يدخل الجنة ان شاء الله تفسيرها الخاتم سبحانه تلك السورة بان الوصلة لا يفتح الا بالطاعة واصل الطاعة المعرفة والتصديق بالكمالات الالهية افتتح هذه السورة بذكر ما يدل للمعرفة وآيات الربوبية فقال بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير خمس آيات القراءة قرأ حمزة والكسائي من تفوت بتشديد الواو من غير الف وهي قراءة الاعمش والباقون تفاوت بالالف لغتان قال ابو الحسن تفاوت اجود لانهم ليقولون تفاوت الامر فكادوه يقولون تفوتك الامر قال وهي اطول لغة قال سيبويه قد يكون فاعل وفعل بمعنى خوضاعف ومضعف وقفاعل مطاوع فاعل كما ان تفعل مطاوع فعل فعلى هذا القياس تفاعل وتفعل بمعنى وتفاوت وتفوت بمعنى اللغة تبارك اصله من البرك وهو ثبوت الطير على الماء وابراك ثبوت الفيل بعينه وقوله طباقا مصدر طوبقت طباقا اى طبق بعضها فوق بعض والجمع الطباق وقيل هو جمع طبق مثل جمل وجمال والتفاوت الاختلاف والاضطراب والفطور الشقوق والصدوع من الفطر وهو الشق الحاسر الكليل البصر وقيل هو البعيد عما يريده ومنه قيل للكليل الحسير من الابل المعيي الذي لا فضل فيه للسير قال بها جيف الحسري فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب والسعير النار المستعرة واعتدنا اصله اعددنا اى هيأنا للكافرين الذين كفروا بالله ورسوله النار العذاب الذي خلق بدل من الذي بيده الملك ويجوز ان يكون جر بتقدير اعني محذوف فعلى هذا الوجه يجوز الوقف على ما قبله وعلى الوجه الاول لا يجوز وقوله ايكم احسن عملا تعليق لان التقدير ليبلوكم فيعلم ايكم احسن عملا وارتفع اى بالابتداء وانما لم يعمل فيه ما قبله لانه على اصل الاستفهام ويجوز ان ينصب على المحال اذا اردت في سموات معنى الالف واللام ان جعلتها نكرة كان بعضها صفتها وطباقا منصوب على المصدر اى رجعتين الخسء اخبر سبحانه عن عظمته وعلو شانه وكمال قدرته فقال تبارك اى تعالى وجل عما لا يجوز عليه في ذاته وافعاله وعن ابي مسلم وقيل معناه تعالى بانه الثابت الذي لم يزل ولا يزال وقيل معناه تعاظم بالحق من ثبوت الاشياء به ازلا وابطل كل شيء لانه لا يصح سوى شيء الا وهو مقدوره او مقدور مقدوره الذي هو القدرة وقيل معناه تعالى من جميع البركات منه الا ان هذا المعنى مضمن في الصفة غير مصرح به انه تعالى باستحقاق التعظيم الذي بيده الملك هو اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير ومعناه الذي هو الملك وله الملك يؤتيه من يشاء ويتصرف فيه كما يشاء وانما ذكر اليد تاكيدا وكان اكثر التصرفات والعطايا باليد وهو على كل شيء قدير من الانعام والانتقام وقيل معناه انه قادر على كل شيء يصح ان يكون مقدورا له وهو اخص من قولنا وهو بكل شيء عليم لانه لا شيء الا ويجب ان يعلمه اذ لا شيء الا ويصح ان يكون معلوما في نفسه وكل موصوف بصفة سبحانه يكون قادرا على ما لا يصح ان يكون مقدورا

في

في نفسه مثل ما تقضي وقته حالا بعد حال ثم وصف سبحانه نفسه فقال الذي خلق الموت والحيوة اي خلق الموت للتعبد بالصبر عليه والحيوة للتعبد بالشكر عليها وقيل خلق الموت للاعتبار والحيوة للتزود وانما قدم ذكر الموت على الحيوة لانه اقهر اقرب كما تقدم البنات على البنين في قوله يهب لمن يشاء اناثا الاية وقيل انما قدمه لانه اقدم فان الاشياء في الابتداء كانت في حكم الاموات كالنطفة والتراب ثم اعترضت الحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ليعاملكم معاملة المختبر بالامر والنهي فيجازي كل عامل بقدر عمله وقيل ليبلوكم ايكم اكثر للموت ذكرا واكثر له استعدادا واحسن صبرا على موته وموت غيره وايكم اكثر امتثالا للاوامر واجتنابا عن النواهي في حال حيوته قال ابو قتادة سالت النبي ﷺ عن قوله تعالى ايكم احسن عملا ما معنى ليبلوكم فقال يقول ايكم احسن عقلا ثم قال ﷺ اتمكم عقلا واشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا وان كانوا اقلكم نطوعا رواه ابن عمر عن النبي ﷺ انه تلا تبارك الذي بيده الملك الى قوله ايكم احسن عملا ثم قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وعن الحسن ايكم ازهد في الدنيا واترك لها وهو العزيز في انتقامه ممن عصاه الغفور لمن تاب اليه او لمن اراد التفضل عليه باسقاط عقابه والتكليف انما يحسن بالترغيب والترهيب لان مشاق التكليف مشقة في الامر والنهي ثم عاد سبحانه الى وصف نفسه فقال الذي خلق سبع سموات اي انشاهن واخترعهن طباقا واحدة فوق الاخرى وقيل اراد بالمطابقة المشابهة اي يشبه بعضها بعضا في الاتقان والاحكام والاتساق والانتظام ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي اختلاف وتناقض من طريق الحكمة بل ترى افعاله كلها سواء في الحكمة وان كانت متفاوتة في الصور والهيآت يعني في خلق الاشياء على العموم وفي هذا دلالة على ان الكفر والمعاصي لا يكون من خلق الله تعالى لكثرة التفاوت في ذلك وقيل معناه ما ترى يا ابن آدم في خلق السموات من عيب وانما جاء بهل هو مستفهمة مستوية كلها مع عظمها فارجع البصر اي ردد البصر فيها في خلق الله واستقص في النظر مرة بعد اخرى والتقدير انظر ثم ارجع النظر في السماء هل ترى من تفطر اي شق وفتوق عن سفيان وقيل من وهي وخلل عن ابن عباس وقتادة ثم ارجع البصر كرتين اي ثم كرر النظر مرتين لان من نظر في الشيء كرة بعد اخرى بان له ما لم يكن بانيا وقيل معناه ادم النظر اي ارجع النظرة بعد اخرى ولا يريد حقيقة المثنية لقوله وهو حسير كليل يصير حسيرا من رجع وظهره قوله لبيك وسعديك اي البا بعد الباب واسعادا بعد اسعاد يعني كلما دعوتني فانا اجابتك بعد اجابة ويأتي بمكان بعد مكان من قولهم لب بالمكان والباز اذا اثبت واقام وهو نصب على المصدرية اي اجبتك اجابة بعد اجابة ينقلب اليك البصر حاسيا اي يرجع اليك بصرك بعيدا عن نيل المراد ذليلا صاغرا عن ابن عباس كليل كالذي كد من طلب شيء فلم يجده وابعد منه وهو حسير اي كالي معيي عن قتادة والتحقيق ان بصر هذا الناظر بعد الاعياء يرجع اليه بعيدا عن طلبته خاليا في بغيته ثم اقسم سبحانه فقال ولقد زينا السماء الدنيا اي هذه اللام هي التي يتلقى بها القسم اي حسنا السماء الدنيا يعني التي هي ادنى الى الارض وهي التي يراها الناس بحسابيح وجعلناها مصابيح يعني الكواكب سماها مصابيح لاضاءتها وهي السرج وجعلناها رجوما للشياطين الذين يسترقون السمع وقيل ينفصل من الكواكب شهب يكون رجوما للشياطين فاما الكواكب انفسها فلست تزول الى ان يريد الله تعالى افناها هو الجبار واعتدنا لهم عذاب السعير يعني انا مع جعلنا الكواكب رجوما للشياطين هيأنا لهم ولاخرنا لاجلهم عذاب النار المسعرة المشعلة وفي هذا دلالة على ان الشياطين مكلفة قوله تعالى وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ست آيات القراءة قرا ابو جعفر والكسائي فسحقا بضمتين والباقون بالتخفيف لغة حق وحق مثل عنق وعنق وطنب وطنب وخوذلك وكلاهما جمع الغة الشهيق صوت تقطع النفس كالنزع اذا اشتد لهيب النار سمع منها ذلك الصوت كانها تطلب الوقود قال قتادة حشرج في الجوف صياح اذ سمع حق يقال

ناحق والشهيق تنيل الشهيق في الصدور والزفير في الحلق والفور ارتفاع الشيء بالغليان يقال فارت القدر تفور ومنها الفوارة لارتفاعها بالماء ارتفاع الغليان ومنه فار الدم من الجرح وفار الماء من الارض والسحق البعد يقال اسحقهم الله اسحاقا وسحقا اى ازالهم الله سحقا عن الخير فجاء المصدر على غير لفظه كما قال الله والله انبتكم من الارض نباتا وتقديره فانحتهم اسحاقا واما سحقة سحقا فمعناه باعدته بالتفريق هو بحال اجتماعه حتى صار كالغبار يعصف لما تقدم وعيد الشياطين الذين دعوا الى الكفر والضلال اتبعه سبحانه بذكر الكفار الضلال فقال والذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اى بئس المآل والمرجع فالنار وصف بئس وهو من صفات الذم والعقاب حسن لما فى ذلك من الضرر الذى يجب على كل عاقل ان يتقيه بغاية الجهد ولا يجوز قياسا على ذلك ان يوصف به ناعم العقاب لانه لا يقال بئس الرجل الا على وجه الذم ووجه الحكمة فى فعل العقاب ما فيه من الزجر للمتقدم للمكلف ولا يمكن ان يكون مزجورا الا به ولولاه لكان مغرى بالقبيح اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا اى اذا طرحوا فى النار سمعوا للنار صوتا فظيعا مثل صوت القدر عند غليانها فظيعا نهاية فى عظم سماع ذلك عذابهم لما يرد على قلوبهم من هول وهى تفور اى تغلى بهم كغلى المرجل بالحار تميز اى تتقطع وتتفرق من الغيظ اى شدة الغضب يعنى سعير شدة التهاب النار غيظا على الكفار لان الغيظ هو المتقطع مما يجد من الالم الباعث على الايقاع بغيره فحال جهنم كحال الغيظ كلما القى فيها اى كلما طرح فى النار فوج من الكفار سألهم خزنتها الم يأتكم نذير اى يقول لهم الملائكة الموكلون بالنار على وجه التبكيت لهم فى صيغة الاستفهام الم يجئكم مخوف من جهة الله سبحانه ينجيكم عذاب هذه النار قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ اى فجوابهم فى جوابهم بلى قد جاءنا مخوف فلم نصدقه وكذبناه ولم نقبل منه بل قلنا له ما نزل الله شيئا مما تدعونا اليه وتحذرنا منه فيقول لهم الملائكة ان انتم الا فى ضلال كبير اى لستم اليوم الا فى عذاب عظيم ويقيل معناه قلنا للرسل ما انتم الا فى ضلال اى ذهاب عن الصواب كبير فى قولكم انزل الله علينا كتابا وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وقال الزجاج لو كنا نسمع سمع من يعى ويتدبر ونعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من اهل النار وفى الحديث عن ابن عمران النبى ص قال لا يكمل الرجل ليكون من اهل الجهاد ومن اهل الصلوة والصيام حتى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد يوم القيمة الاعلى قدر عقله وعن انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند رسول الله ص فقال رسول الله ص كيف عقل الرجل قالوا يا رسول الله انه لخبير بما عن اجتهاده فى العبادة واصناف الخير وبتنا ان عن عقله فقال ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم ثم قال سبحانه واعترفوا بذنبهم فى ذلك الوقت الذى لا ينفعهم فيه الاقرار والاعتراف والاقرار مشتق من قر الشئ يقر قرارا اذا ثبت وصح ومنه اقر بكذا خوذ من المقرة والذنب مصدر لا يثنى ولا يجمع وقد جمع فلاختلاف جنسه فسحقا لاصحاب السعير هذا دعاء عليهم اى اسحقهم الله وابعدهم من النجاة سحقا واذا قيل ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم من الفضيحة فالجواب انهم قد علموا حصولهم على الفضيحة اعترفوا ام لم يعترفوا فكيس يدعوهم الى اعظم الامرين الامثل ما يدعوهم الى الآخر فى انه لا فرج فيه فاستوى الامران عليهما وترك الاعتراف والجزع وترك الجزع قوله تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير سبق انه كان قوم يقولون به الله عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ءامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هى تمور ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور عشر آيات القراء قرا ابن كثير النشور واستم وقرا ابن جعفر ونافع وابو عمرو ويعقوب بهمزة ممدودة وهو تحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية باى تجعل بين بين وقرا الباقون ءامنتم بهمزتين محققة اما الاولى فهو تحقيق الهمزة الاولى بلا جعلت واوا وهذا فى المنفصل نظير قولهم فى المتصل التوده وجوده فى جمع جؤذر فاما الهمزة الثانية فانه من قرا استم بعد تخفيف

الاولى بقلبها واوا فانه يجوز فيه التحقيق والتخفيف فان حقق كان لفظه النشور وامتم وان خفف كان القياس ان يجعل بين بين اعني بين الالف والهمزة لتحركها بالفتحة ومن قال الاصناك المرتفع فقلبها الفا كان القياس ان تقول هذا النشور وامتم بقلبها الفا محضة وسيبويه يجيز هذا القلب في الشعر وغير حال السعة وكان قياس قول ابي عمرو على ما حكاه عنه سيبويه من انه اذا اجتمع همزتان خففت الاولى منهما دون الثانية ان يقلب الاولى منهما هنا واوا كما فعله ابن كثير فلما الثانية فان شاء حققها وان شاء خففها وتخفيفها ان يجعل بين الهمزة والالف واحمل ابا عمرو ترك هذا القول في هذا الموضع فاخذ فيه بالوجه الآخر وهو تخفيف الثانية منهما اذا كانتا في كلمتين والاولى اللطف من الله الرأفة والرحمة والرفق واللطيف الرفيق بعباده يتأتى لطف به يلطف لطفا اذا رفق به والتلول من المراكب الاصعب فيه ومناكب الارض طرقها ومناكب كل شيء اعلاه واصله الجوانب ومنه منكب الرجل والريح المنكباء والنشور الحيوة بعد الموت يقال نشر الميت ينشر نشورا اذا عاش وانشره الله احياه قال الاعشى حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر واصله من النشر ضد الطي والخاصب الجارة التي يرمى بها كالحصباء وحصبه بالحصا يحصبه حصبا اذا رماه بها ويقال للمنجنيق يرمى به حاصب اي ذو حصب الاعراب بالغيب في موضع نصب على الحال الا ايعلم من خلق فيه وجوه احدها ان يكون من خلق في موضع رفع بانه فاعل يعلم والتقدير الا يعلم من خلق الخلق عما يصدر عنهم والثاني ان يكون من خلق في موضع نصب بانه مفعول به والتقدير الا يعلم احد من خلقه والثالث ان يكون من استفهاما في موضع نصب بانه مفعول خلق وفاعل خلق الضمير المستكن فيه العايد الى الله تعالى والاول اصح الوجوه وقوله ان يخسف بكم الارض في موضع نصب بانه بدل من قوله من في السماء وهو بدل الاشتمال فانها هي تمور اذا ظرف للفاجاة وهو معمول قوله تمور وهي تمور جملة في موضع نصب على الحال من يخسف بكم الارض وذو الحال الارض وان يرسل بدل ايضا مثل قوله ان يخسف وقوله فكيف نذير مبتدا وخبر والخبر مقدم والجملة معلقة بقوله فستعلمون والتقدير فستعلمون انذاري اياكم وقوله فكيف كان نكير كيف هنا خبر كان وقوله وليقبضن معطوف على صافات وانما عطف على الاسم وهو الاصل للقرآن الفعل لا يعطف الا على الفعل كما ان الاسم لا يعطف الا على الاسم لان وان كان فعلا فهو في موضع الحال اي مقدرين تقدير اسم فاعل وصافات حال فجاز ان يعطف عليه نكانه قال صافات وقابضات وقد جاء مثل هذا في الشعر قال يصيبها بعضب باتر يعدل متى اسوقها وجاز ان هذا الذي هو عندكم من هنا استفهام في موضع رفع بالابتداء دخل عليه ام المنقطعة وهذا مبتدا ثان والذي خبره وقد وصل بالمبتدا والخبر وهو قوله جندكم وينصركم صفة لجند لما المدح الوعيد بعينه بعذابه بالوعد فقال ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافونه عذابه بعد انقطاع مساءلة العمل طاعاته على معنى الاستدراك بذلك لان الخشية متى كانت بالغيب على ما ذكرنا كانت بعيدة من الرياء خالصة لوجه الله وخشية الله بالغيب ينفع بان يستحق عليها الثواب وخشيته في الظاهر بترك المعاصي لا يستحق بها الثواب فاذا الخشية بالغيب افضل لاعمالها وقيل بالغيب معناه انهم يخشونه ولم يروه فيؤمنوه برحمة من عذابه وقيل يخافون ربهم حيث لا يراهم مخلوق لانه اكثر ما يرتكب المعاصي انما يرتكب في حال الخلوة فهم يتركون المعصية لئلا يجعلوا الله سبحانه اهون الناظرين اليهم وكان من تركها في هذه الحال تركها في العلانية ايضا لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اي عظيم في الاخرة لا فناء له ثم قال سبحانه مهددا للمنحياء واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور يعني انه عالم بالخلص الخلص ونفاق المنافق فان شئتم فاظهروا القول وان شئتم فاسروه فانه عليم بضمايركم القلوب ومن علم اضمار القلب علم السر والقول قال ابن عباس كانوا يذاون النبي من رسول الله فنخبره به جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع اله محمد بنزلت الآية الا يعلم من خلق قيل في معناه وجوه احدها الا يعلم ما في الصدور من خلق الصدور وثانيها الا يعلم سر العبد من خلقه اي من خلق العبد فعلى الوجهين يكون من خلق بمعنى الخالق وثالثها ان يكون من خلق بمعنى المخلوق والمعنى الا يعلم الله مخلوقه وهو اللطيف اي العالم بالخلط ودق وقيل اللطيف بعباده من حيث يدبرهم بالطف التدبير

والطيف المدبر من يدبر تدبيرا نافذا لا يفوته عن شيء يدبره به وقيل اللطيف من كان فعله في اللطف بحيث لا يصل اليه غيره
وهو فعيل بمعنى فاعل كالمقدر والعليم وقيل هو بمعنى ملطف كالبديع بمعنى المبدع فقيل اللطيف الذي لا يكلف اليسير ويعطي الكثير
الخبير العالم بالعباد وبواطنهم ثم عدد سبحانه انواعا فمنها ما على عباده بذلك فقال هو الذي جعل لكم الارض ذلولا اي سهلة
ساكنة سخرها فتطؤونها وتستقرون فيها وتستوطنونها وقيل ذلولا لكم فيجعلها بحيث يمشي الشيء فيها بالحزونة والغلظ وقيل ذللها لكم بالوطاة لتتصرفوا
فيها وتسيروا عليها وتمكنكم ترددها فامشوا في مناكبها اي في طرقها وفجاجها عن مجاهد وقيل في جبالها عن ابن عباس وقتادة ثم ان كان هذا امرا ترغيب فالمراد فامشوا في طاعة الله وان كان للاباحة فالمباح المشي فيها لطلب المنافع
في التجارات وكلوا من رزقه اي كلوا مما انبت الله في الارض والجبال من الزروع والاشجار حلالا واليه النشور اي والحكم المرجع في
القيمة وقيل بعثه واليه الاحياء للمحاسبة فهو مالك النشور القادر عليه عن الجباي ثم هدد سبحانه الكفار زاجرا لهم عن ارتكاب
معصيته والجحود لربوبيته فقال اامنتم من في السماء اي امنتم عذاب من في السماء سلطانه وامره ونهيه وتدبيره لا بدان يكون
هذا معناه لاستحالة ان يكون الله جل جلاله في مكان او جهة وقيل يعني بقوله من في السماء الملك الموكل بعذاب السماء ان
يخسف بكم الارض يعني ان يشق الارض فيغيبكم فيها اذ عصيتموه فاذا هي تمور اي تضطرب وتتحرك والمعنى ان الله تعالى متمكن
عند الخسف بهم حتى تضطرب بهم قراهم وهم يخسفون فيها حتى يلتبهم الى اسفل المور والتردد في الذهاب والمجيء مثل الموج
ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي ريحا ذات حجارة ارسل على قوم لوط حجارة من السماء وقيل حصبا بالحصب عليكم
الحجارة فستعلمون حينئذ كيف نذير اي كيف انذاري اذا عاينتم العذاب ولقد كذب الذين من قبلهم رسلي وجحدوا حجتي
فكيف كان نكير اي عقوبتي وتغييري ما بهم من النعم وقيل كيف رأيتم انكاري عليهم باهلاكهم واستيصالهم ثم نبه سبحانه
على قدرته على الخسف وارسال الحجارة فقال اولم يروا الى الطير فوقهم صافات اي باسطات اجنحتها في الهواء وقد رأوهم
ويقبضن اجنحتهن بعد البسط وهذا لبعض الطير اذ وهو بسيط الجناح وقبضه بعد البسط اي يمددن اجنحتهن
ويضربن بها جنوبهن تارة ويقبضن اخرى فالجري للطائر كالسباح للسابح وقيل معناه ان من الطير ما يمد جناحه فيصف
ومنها ما يسك فيذف ومنه الصفيف والذفيف ما يمسكهن الا الرحمن بتوطئته الهواء لهن وادامة ذلك عليهن وفي
ذلك اعظم دلالة وادل حجة برهان بان من سخر الهواء هذا التسخير على شيء تدبيره والصف وضع الاشياء المتساوية على خط مستقيم
والقبض جمع الاشياء على حال البسط والامساك اللزوم المانع من السقوط عن علي بن عيسى انه يكل شيء بصير اي يجيء
الاشياء عليهم امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن هذا استفهام انكار اي لا جند لكم كذلك يحفظكم كحفظي ويمنعكم من
عذابي اذا نزل بكم عن ابن عباس ولفظ الجند موحد وذلك قال هذا الذي وكأنه سبحانه يقول لكفار مكة يعصمني
الكم جند يدفع عنكم عذابي بين بذلك ان الاصنام لا يقدرون على نصرتهم ان الكافرون الا في غرور اي ما الكافرون الا في غرور
من الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم وقيل معناه ما هم الا في امر لا حقيقة له من عبادة الاوثان بتوهمون بان ذلك
ينفعهم والامر بخلافه امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه اي من الذي يرزقكم ان امسك الذي هو رازقكم اسباب رزقه
عنكم وهو المطر بل لجوا في عتو وعناد اي ليسوا بمعترفين ولا ناظرين بل تمادوا واستمروا في الطغيان بجاوزة الحد في تماديهم
وغفورهم عن الحق وتباعدهم عن الايمان لما كان المشركين صوارف كثيرة عن عبادة الرحمن وهم كانوا يستحقون بذلك على
العصيان فقد لجوا في عتوهم قال الفراء فوله امن هذا الذي يرزقكم الا يتم تعريف حجة الزمها الله العباد وعرفوا ولزموا
بها ولم يردوا لها جوابا فقال الله سبحانه بل لجوا في عتو ونفور قوله [illegible]

الم قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين
تسع آيات القراءة تدعون بتدعون ساكنة الدال خفيفة وهو قراءة الحسن والضحاك وقتادة والباقون تدعون بالتشديد
وقال الكسائي فيعلمون بالياء والباقون بالتاء لقوله يدعون فالمعنى هذا الذي كنتم به تدعون كقوله تعالى سأل سائل بعذاب
واقع للكافرين وانما تدعون بالتشديد فيهما تتداعون بوقوعه قال ابن جني كانت الدعوى بوقوعه فاشية بينكم كقولهم تعالى
في معنى القوم لا تتنابزوا بالالقاب اي لا يغش هذا فيكم وليس حتى تدعون هنا من ادعاء الحق ولكنه بمعنى تتداعون بمن
طلب ادعاء الاسم المدعوى كما في قول الشاعر فلبرحت خيل تشوب وتدعي يعني تتداعى سنها بالفلان اللغة يقال كبته فاكب
وهو نادر مثل قشعت الريح السحاب فاقشعت ونزفت البئر فانزفت اذا ذهب ماؤها ونسلت ريش الطائر فانسل
والزلفة القربة وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع ومنه المزدلفة لقربه من مكة وقد تجمع الزلفة زلفا قال الهجيم ناج
طواه الاين مما وطى الليالي زلفا فزلفا وساءه الامر يسوءه سوءا اي غمه وحزنه ومنه ساءني اذا فعل ما يؤدي الى الغم
وما بعد واي خابر وصف بالمصدر به للمبالغة كما يقال هو عدل رضا وضيف والمعين قيل انه مفعول مأخوذ من العين فعلى
هذا يكون مثل مبيع من البيع وقيل انه من الامعان في الجري فعلى هذا يكون على وزنه فعيل كما انه قيل ممعن في الاسراع والظهور
الاعراب قليلا صفة مصدر محذوف اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة ونستعلمون من هو في ضلال مبين يجوز ان يكون من
استفهاما فيكون تعليقا ويجوز ان يكون اسما موصولا قال ابو علي دخلت الفاء في قوله فمن يجير وقوله فمن يأتيكم لان ارايتم بمعنى
انتبهوا الى اشبهوا فمن يجير واشبهوا فمن يأتيكم كما يقول ثم فمن يزيد ثم قال ولا يكون الفاء جواب الشرط وانما يكون جواب الشرط
مدلول ارايتم قال وان شئت كانت الفاء زايدة مثلها في قوله فذلكن الذي لمتنني فيه ويكون الاستفهام بعد واحد مفعولي ارايتم لقولهم
ارايت زيدا ما فعل وهذا من ذاك بعينه ثم ضرب سبحانه مثلا للكافر والمؤمن فقال افمن يمشي مكبا على وجهه اي ساقطا
منكسا رأسه الى الارض فهو لا يبصر الطريق ولا من يستقبله ولا ينظر امامه ولا يمينه ولا شماله وهو الكافر المقلد لا يدري اين يتجه
هو ام مبطل اهذا احرى ام من يمشي سويا اي مستويا قايما يبصر الطريق ويجمع جهاته كلها فيضع قدمه حيث لا يعثر وهو المؤمن
الذي سلك طريق الحق وعرفه واستقام عليه والمكب رفع المضار عن نفسه وجلب المنافع اليها على صراط مستقيم اي على طريق
واضح قيم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقيل ان هذا في الآخرة بحشر الله الكافر مكبا على وجهه يوم القيمة كما قال وحشرهم
يوم القيمة على وجوههم عن قتادة قل يا محمد لهؤلاء الكفار هو الذي انشأكم يا اخرجكم من العدم الى الوجود وجعل لكم السمع
تسمعون به الملهمات والابصار تبصرون بها المبصرات والافئدة يعني القلوب تعقلون بها وتميزون فاعطاكم الآلات
التفكر والتمييز والتوصل الى العلم قليلا ما تشكرون اي لتشكروه قليلا وقيل معناه قليلا شكركم فتكون ما مصدرية قل لهم
يا محمد هو الله تعالى الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون منها الى بعثوث اليه يوم القيمة فيجازيكم على اعمالكم ثم حكى سبحانه ما كان
يقوله الكفار مستبطئين عذاب الله مستهزئين بذلك فقال ويقولون متى هذا الوعد من الخسف والمحاصبة او البعث والجزاء ان
كنتم صادقين في ان ذلك يكون قل يا محمد انما العلم عند الله يعني علم الساعة وانما انا نذير اراى مخوف لكم به مبين اي مبين لكم ما انزل
الله الي من الوعد والوعيد والاحكام ثم ذكر بعض احوالهم عند نزول العذاب ومعاينته فقال فلما راوه زلفة اي عذاب يوم القيمة
قريبا يعني يوم بدر عن مجاهد وقيل معاينة عن الحسن وقيل ان اللفظ ماض والمراد به المستقبل والمعنى اذا بعثوا ورأوا القيمة
قد قامت ورأوا ما اعدلهم من العذاب وهذا قول اكثر المفسرين سيئت وجوه الذين كفروا اي اسودت وجوههم وعليها الكآبة
يعني تغيرت وجوههم بالسواد وقيل معناه ظهرت على وجوههم اثار الغم والحسرة وناهم العدو والقرى وقيل لهؤلاء الكفار اذا
شاهدوا العذاب هذا الذي كنتم به تدعون قال الفراء تدعون وتدعون واحد مثل تذخرون وتذخرون والمعنى كنتم به تستعجلون
وتدعون الله بتعجيله وهو قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية عن ابن زيد وقيل هو تدعون من الدعوى اي تدعون انها
جنة وكانا عن الحسن وروى الحاكم ابو القاسم الحكاني باسانيد الصحيحة عن شريك عن الاعمش قال لما راى اما العلي بن طالب عليه

سورة ن والقلم

عذاب الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا اى جمعت فلما رأوا مكان على من النبى سيئت وجوه الذين كفروا يعنى الذين كذبوا فضله
قل لهم يا محمد الكفار ارأيتم ان اهلكنى الله ومن معى بان يميتنا او رحمنا بأن اخرنا اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم استفتى بكونهم
وما الذى ينفعهم فى دفع العذاب عنهم وقيل ان الكفار كانوا يتمنون موت النبى صلعم وموت اصحابه فقيل له قل لهم ارأيتم ان اهلكنى
الله ومن معى وذلك بان تشفى وتميت اصحابى فما الذى ينفعكم وليومنكم من العذاب فانتم واقعتم بكم لا محالة وقيل معناه ارأيتم
ان عذبنى الله ومن معى او رحمنا اى غفر لنا فمن يجيركم اى لنا من مع ايماننا بين الخوف والرجاء فمن يجيركم مما كفركم من العذاب
وكذبتم به لكم كما للمؤمنين عن ابن عباس وابن كيسان ثم قال قل لهم لا الكفار على وجه التوبيخ لهم هو الرحمن اى ان الذى ندعوكم اليه هو الرحمن الذى عمت نعمته جميع الخلايق امنا به وعليه توكلنا اى عليه اعتمدنا وجميع امورنا اليه فوضنا فستعلمون
معاشر الكفار يوم القيمة من هو فى ضلال مبين اليوم ام انتم ومن قربالبلد فمعناه فسيعلم الكفار ذلك قل ارأيتم
ان اصبح ماؤكم غورا اى غائرا ذاهبا فى الارض والعيون فمن يأتيكم بماء معين اى ظاهر للعيون عن ابى مسلم والجبائى وقيل
بماء جار عن ابن عباس وقتادة اراد سبحانه انه للنعم بالارزاق فاشكروه واعبدوه ولا تشركوا به شيئا وذكر مقاتل انزاد
بقول لساداتكم يأتيكم بماء معين وهى بئر عادية قديمة وكان ماؤهم من هاتين البئرين والمعين الذى سأله الكفار
وترك العيون ن والقلم الخ وقيل ايضا سورة نون وهى مكية عن الحسن وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس وقتادة من
اولها الى قوله سنسمه على الخرطوم مكى وما بعده الى قوله لو كانوا يعلمون مدنى وما بعده الى قوله يكتبون مكى وما بعده مدنى وهى
اثنتان وخمسون اية بالاجماع فضلها ابى بن كعب قال قال رسول الله صلعم من قرأ سورة ن والقلم اعطاه الله ثواب الذين
حسن اخلاقهم على بن معبد عن ابى عبد الله عم قال من قرأ سورة ن والقلم فى فريضة او نافلة امنه الله ان يصيبه فى حياته
فقر ابدا واعاذه اذا مات من ضمة القبر انشاء الله تفسيرها ختم الله سبحانه سورة الملك بذكر تكذيب الكفار وعيدهم وافتتح
هذه السورة بمثل ذلك فقال بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون
وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك هو اعلم من ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد
عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم عشرة ايات اتفاق
معنى ذكر اختلف القراء فى اظهار النون واخفائها من نون فى سورة يس فاظهر عند الا عامر وقرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب
وسهل ان كاد بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام وقرأ ابن بكر عن عاصم وحمزة الان كاد بهمزتين وكراهية ذلك ان كان يخفف الهمزة
من غير استفهام بحجة قال ابو على ان كان ذا مال لا يخلو امر ان يكون العامل فيه تتلى من قولك اذا تتلى عليه اياتنا او قال من قولك
قال اساطير الاولين وايهما اى شئ ثالث فلا يجوز ان يعمل واحد منهما فيه الا ترى ان تتلى قد اضيفت اذا اليه والمضاف اليه لا يعمل
فيما قبله لا تقول العيال زيدا حين تأتى ولا يجوز ان يعمل فيه قال ايضا لان قال جواب اذا وحكم الجواب ان يكون بعد ما هو جواب
له ولا يتقدم عليه فكما لم يعمل فيه الفعل الاول فكذلك لا يعمل فيه الثانى واذا لم يعمل فيه واحد من هذين الفعلين وليس فى
الكلام غيرهما علمت انه محمول على شئ اخر مما دل باقى الكلام عليه والذى يدل عليه هذا الكلام من المعنى هو جحدا وكفرا واستكبارا
عن قبول الحق وتخوذ لك وانما جاز ان يعمل فيه المعنى وان كان متقدما عليه لشبهه بالظرف والظرف قد تعمل فيه المعانى وان
تقدم عليها ويدلك على شبهه بالظرف تقديم اللام معه وان من المخوين من يقول انه فى موضع جر كما انه لو كانت اللام
معه ظاهرة كان كذلك ومن قرأ بهمزة ممدودة فلتوبيخ بعد همزة الاستفهام مخففة اللغة السطر الكتابة يقال سطر يسطر خط
خطا مستقيما واستطر كتب والسطرة الة التسطير والمسطور المقطوع يقال منه السير نيه منا اذا قطعه والمهين الضعيف
والخلق المرور فى الفعل على عادة غالخالق الكريم الصبر على الحق وتدبير الامور على مقتضى العقل وفى ذلك لا اناة والرفق والحلم والمداراة
والمفتون المبتلى بتحميل الراى كالمجنون يقال فتن فلان بفلانة واصل الفتنة الابتلاء والاختبار والمهين الضعيف القليل

والهاوية

والمهانة الذلة والقلة والهضم الوقاع فى الناس بما ليس له ان يعيبهم به والاصل فيه الدفع بشدة اعتماد ومنه الهمزة حرف من الحروف المجهورة فهى نبرة تخرج من الصدر بشدة اعتماد والنميم التضريب بين الناس بنقل الكلام الذى يغيظ بعضهم على بعض والنميمة بمعنى ومنه النمام المشموم لانه لجدة ريحه كالمجرعن نفسه والعتل الجافى الغليظ واصله الدفع عنله يعتله اذا زعزعه بغلظة وجفاء والزنيم الدعى الملصق بالقوم وليس منهم واصله الزنمة وهى الهنية المتدلية تحت حلق المعزى ويقال للئيس له زنمتان قال الشاعر زنيم ليس يعرف من ابوه بغى الام ذو حسب لئيم وقال حسان ولست زنيم نيط من آل هاشم كما نيط خلف الراكب الفدج الفرد ويقال وسمه يسمه وسما وسمة والخرطوم مانتأمن الانف وهو الذى يقع به الشم ومنه قيل خرطوم الفيل وخرطمه اذا قطع أنفه الاعراب بايكم المفتون فيه وجوه احدها ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما يقال ليس له معقول وماله محصول قال الراعى حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا وثانيها ان يكون المفتون اسم المفتول والباء مزيدة والتقدير ايكم المفتون فيكون مبتدأ وخبرا ويكون الجملة معلقة بقوله يبصرون وثالثها ان الباء بمعنى فى والمعنى فى ايكم المفتون اى فى اى الفريقين فى فرقة الاسلام او فى فرقة الكفر المجنون وهذا قول الفراء وقال الراجز فى زيادة الباء نحن بنى جدعة اصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج اى ونرجو الفرج المعنى واختلفوا فى معناه فقيل هو اسم من اسماء السورة مثل حم وص وما اشبه ذلك وقد ذكرنا ذلك مع غيره من الاقوال فى مفتتح سورة البقرة وقيل هو اسم للحوت الذى عليه الارضون عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدى وقيل هو حرف من حروف الرحمن فى رواية اخرى عن ابن عباس وقيل هو الدواة عن الحسن وقتادة والضحاك وقيل نون لوح من نور مرفوع الى النبى ص وقيل هو نهر فى الجنة قال الله له كن مداد فكان ابيض من اللبن واحلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب فكتب القلم ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة عن ابى جعفر الباقر وقيل المراد به الحوت فى البحر وهو من آيات الله تعالى اذ خلقها فى الماء فاذا فارق الماء مات كما ان حيوان البر اذا خالط الماء مات والقلم الذى يكتب به اقسم الله به لما فيه من منافع الخلق اذ هو احد لسانى الانسان يؤدى عنه الى جماعة ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه ويحفظ احكام الدين وبه تستقيم امور العالمين وقد قيل ان البيان بيانان بيان اللسان وبيان البنان وبيان اللسان تدرسه الاعوام وبيان الاقلام باق على مر الايام وقيل ان قوام امور الدين والدنيا بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم وقد نظم بعض الشعراء واحسن فيما قال ان يخدم القلم السيف الذى خضعت لها الرقاب و دانت لعزه الامم فالموت والموت لا شئ يغالبه مازال يتبع ما يجرى به القلم كذا قضى الله للاقلام مذ بريت ان السيوف لها مذ ارهفت خدم وما يسطرون اى وما يكتبه الملائكة مما يوحى اليهم وما يكتبون من اعمال بنى آدم فكان القسم بالقلم وما يسطر بالقلم وقيل ان ما مصدرية وتقديره ن والقلم وسطرهم فيكون القسم بالكتبة وعلى القول الاول يكون القسم بالمكتوب ما انت بنعمة ربك بمجنون هو جواب القسم ومعناه لست يا محمد بمجنون بنعمة ربك كما تقول ما انت بنعمة ربك يا هذا وبجاز تقديم معمول ما بعد الباء لانها زائدة مؤكدة وتقديره انتفى عنك الجنون بنعمة ربك وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون بحمد الله وقيل معناه بما انعم عليك ربك من كمال العقل والنبوة والحكمة لست بمجنون اى لا يكون مجنونا من انعمنا عليه بهذه النعم وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة قربك كما يقال سبحانك اللهم وبحمدك اى والحمد لك وهذا تقريرا لنفى الجنون عنه وقالوا ان هذا جواب لقول المشركين يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وان لك يا محمد لاجرا اى ثوابا من الله على قيامك بالنبوة وتحملك اعباء الرسالة غير ممنون اى غير مقطوع وهو ثواب الجنة يعنى لا تبال بكلامهم معالك عند الله من الثواب الدائم والاجر العظيم وقيل غير ممنون اى لا يمن به عليك فتستكثره بالمن الذى يقطع عن لزوم الشكر فقد قيل المنة تكدر الصنيعة وقال ابن عباس ليس من نبى الا وله مثل اجر من آمن به ودخل فى دينه ثم نسخ البعض فقال وانك يا محمد لعلى خلق عظيم اى على دين عظيم وهو دين الاسلام عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل معناه انك متخلق باخلاق الاسلام وعلى طبع كريم وحقيقة الخلق ما يأخذ به الانسان نفسه من الاداب واما سمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فما ما طبع عليه من الاداب

فانه الخلق هو الطبع المكتسب والخيم الطبع الغريزي وقيل الخلق العظيم الصبر على الخلق وسعة البذل وتدبير الامور على مقتضى
العقل بالصلاح والرفق والمداراة وتحمل المكاره في الدعاء الى الله والتجاوز والعفو وبذل المجهود في نصرة المؤمنين وترك الحسد و
الحرص ونحو ذلك عن البهائي وقالت عائشة كانت خلق النبي صه ما تضمنه العشر الاول من المؤمنين ومن مدحه الله سبحانه بانه على خلق
عظيم فليس لاحد مدحه مدحة وقيل سمي خلقه عظيما لاظهاره الخلق جبلة وذاتهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق
وقيل لانه امتثل تأديب الله سبحانه اياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم
الاخلاق فيه ويعضده ما روي عنه ع انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال ادبني ربي فاحسن تاديبي وقال ص ان المؤمن ليدرك
بحسن خلقه درجة قايم الليل وصايم النهار وعن ابي الدرداء قال قال النبي ص ما شئ اثقل في الميزان من خلق حسن وعن الرضا
علي بن موسى عن ابائه ع عن النبي صلى الله عليه وآله قال عليكم بحسن الخلق فان حسن الخلق في الجنة لا محالة واياكم وسوء الخلق فانه
في النار لا محالة وعن ابي هريرة عنه ص قال احبكم الى الله احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وانبغضكم الى الله
المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات تستبصرون وبيصرون اي فسري يا محمد وبيرون يعني الذين
يرمى بالجنون بايكم المفتون اي ايكم المجنون الذي نزح بالجنون الفت ام هم وقيل بايكم الفتنة وهو الجنون يريد انهم يقولون عند
العذاب ان الجنون كان بهم حين كذبوك وتركوا دينك لا بك وقيل معناه ستعلم ويعلمون في اي الفريقين الجنون الذي فتنة الشيطان
ثم اخبر سبحانه انه عالم بالفريقين فقال ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي هو سبيل الحق وعدل عنه وجار عن السلوك فيه
وهو اعلم بالمهتدين اليه العاملين بوجهه فيجازي كلا بما يستحقه ويتوجه اخبرنا السيد ابو المجد محمد بن محمد بن نزار الحسيني القايني
رحمه الله قال حدثنا الحاكم ابو القاسم عبيد الله بن عبيد الله الحسكاني قال اخبرنا ابو عبد الله الشيرازي قال حدثنا ابن بكر الحيري قال
حدثنا ابو احمد البصري قال حدثني عمرو بن محمد بن ترك قال حدثنا محمد الفضل قال حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو بن شمر عن جابر بن صالح
عن الضحاك بن مزاحم قال لما رات قريش تقديم النبي ص عليا ع واعطاءه له قالوا لعن علي وقالوا اقترفته به فسم محمد فانزل الله
تعالى ن والقلم وما يسطرون قسم اقسم الله به ما انت يا محمد بنعمة ربك بمجنون وانك لعلى خلق عظيم يعني القرآن الى قوله بمن ضل عن
سبيله وهم النفر الذين قالوا ما قالوا وهو اعلم بالمهتدين علي بن ابي طالب عليه السلم ثم قال سبحانه للنبي ص فلا تطع المكذبين بتوحيد
الله عز وجل الجاحدين لنبوتك ولا تجبهم الى ما يلتمسون منك ولا توافقهم فيما يريدون ودوا لو تدهن فيدهنون اي ودوا هؤلاء الكفار
ان تلين لهم في دينك فتلينوا في دينهم شبه التليين في الذين بتليين الدهن عن ابن عباس وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون
عن الضحاك وعطا وابن عباس في رواية اخرى وقيل معناه ودوا لو تترك الى عبادة الاصنام فيخلون بك واكد هذا الكلام بان في ظاهر الحال
على المقاربة مع اضمار المداراة ومثل النفاق وقيل ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك عن الحسن ثم قال ولا تطع ايها الكل
حلاف اي كثير الحلف بالباطل لقلة مبالاته بالكذب مهين فعيل من المهانة وهي القلة في الرأي والتمييز وقيل ذليل عند الله
وعند الناس وقيل كذاب لا يدري عرف بالكذب كان ذليلا حقيرا عن ابن عباس وقيل يعني الوليد بن المغيرة عن مقاتل قال
عرض على النبي ص المال ليرجع عن دينه وقيل يعني الاخنس بن شريق عن عطا وقيل يعني الاسود بن عبد يغوث عن مجاهد هماز اي
وقاع في الناس مغتاب عن ابن عباس مشاء بنميم اي قتات يسعى بالنميمة فيفسد بين الناس ويضرب بعضهم على بعض مناع
للخير اي بخيل بالمال وقيل مناع عشيرته عن الاسلام بان يقول من دخل دين لا انفقه شيئا ابدا عن ابن عباس معتد اي مجاوز
للحق مشوم ظلوم عن قتادة اثيم اي فاجر فاعل ما يأثم به قيل معتد في فعله اثيم في معتقده وقيل معتد في ظلم غيره اثيم في ظلم
نفسه عتل بعد ذلك اي هو عتل مع كونه مناعا للخير معتديا اثيما وهو الفاحش السيئ الخلق ردي ذلك في جزم فرع وقيل هو
القوي في كفره وعن عكرمة وقيل الجافي الشديد الخصومة بالباطل عن الكلبي وقيل الاكول المنوع عن الخليل وقيل هو الذي يعمل
الناس فيجرهم الى حبس او عذاب ومنه قول الشاعر في اصيغة الفتيان اذ يعتلونهم بباطن الشري مثل الفنيق المسدم اي
كالبعير الملصق الى قوم ليس منهم في النسب قال الشاعر زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الاديم الاكارع وقيل هو

له علامة في الشر نحو معروف بذلك فاذا ذكر بالشر سبق القلب اليه كما ان المنكر يعرف من بين الاصنام بالزنمة في عنقه عن الشعبي وقيل هو الجهني المعروف بالشر عن سعيد بن جبير وقيل هو الذي لا اصل له عن علي رضه وقيل هو المعروف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها عن عكرمة وروى انه سئل النبي صلى الله عليه وآله عن العتل الزنيم فقال هو الشديد الخلق الضخم الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس الرحيب الجوف وعن شهر بن حوشب قال قال رسول الله صلعم لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل زنيم قلت فما الجواظ قال كل جماع ضاع قلت فما الجعظري قال الفظ الغليظ قلت فما العتل الزنيم قال كل رحيب الجوف سيئ الخلق اكول شروب ظلوم قال ابن قتيبة لا يعلم ان الله وصف احدا بلغ من ذكر عيوبه بما بلغ من ذكر عيوب الوليد بن المغيرة لانه وصفه بالحلف والمهانة والعيب للناس والمشي بالنمائم والبخل والظلم والاثم والبغاء والدعوة فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة ان كان ذا مال وبنين اي لا تطعه لان كان ذا مال وبنين يعني لماله وبنيه عن الزجاج والفراء ومن قرأ بالاستفهام فلا بد ان يكون صلة ما بعده لان الاستفهام لا يقدم عليه ما كانه في حيزه فيكون المعنى الان كان ذا مال وبنين وبنين يجحد آياتنا اي جعل مجازاة النعم التي خولها من البنين والمال الكفر بآياتنا وهو قوله اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اي احاديث الاولين التي سطرت وكتبت لا اصل لها ثم اوعده سبحانه فقال سنسمه على الخرطوم اي سنسمه يوم القيمة بسمة يشوه خلقته فيعرف من رآه انه من اهل النار وانما خص الانف لان الانسان يعرف بوجهه والانف وسط الوجه وهذا على عادة العرب فانهم يقولون شمخ فلان بانفه وارغم الله انفه وحمي فلان انفه وقيل معناه سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به اهل النار من السود الوجوه وجايز ان يفرد بسمة لما بلغته في عداوة النبي صلعم فيفضح من التشويه بما يباين به من غيره كما كانت عداوته للرسول عداوة يباين بها من غيره عن الزجاج وقال الفراء الخرطوم قد تجيء بالسمة لا نرى في مذهب الوجوه فان بعض الوجوه يوسم من الكل وقيل المعنى سنخطمه بالسيف في القتال حتى يبقى اثره فضل ذلك يوم بدر عن ابن عباس وقيل سنعلمه بشين يبقى على الابد عن قتادة وقال القتيبي العرب يقول قد وسمه ميسم سوء يريد به الصق به عارا لا يفارقه لان السمة لا تمحق ولا يعفو اثرها وقد الحق الله بمن ذكرها لا يفارقه بما وسمه به من العيوب التي هي كالوسم في الوجه وقيل ان الخرطوم الخمر فالمعنى سنسمه على شربه الخمر قال الشاعر

لها حاضر من ريقها في رحالنا ... ولها بقرقف شمطة وعرار

ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم فنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لو لا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون سبع شواذ القراءة قرأ اهل المدينة وابو عمرو ابن بدلنا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقد مر ذكره في سورة الكهف اللغة الصرام والجداد في النخل بمنزلة الحصاد والعطاف في الزرع والكرم يقال صرمت النخل وجددتها واصرم النخل واجدت حان ذلك منها والصريم الليل الاسود وانشد ابو عمرو الابكرت وعاذلتي تلوم بجهلها ... وما انكشف الصريم وقال الآخر تطاول ليلك الجون البهيم ... فما يجاب من صبح صريم اذا ما الليل انشع او تناهى ... جرت من كل ناحية غيوم ويعني النهار ايضا بما فوق من الاضداد كان الليل ينصرم عند مجيء النهار والنهار ينصرم عند مجيء الليل والصريم ايضا المصروم اي مصروم جميع ثمار ما قبل الصريم منقطع الرمل الذي لا نبات فيه قال امرؤ القيس وظل الصريم غائما ندعسها ... بالسمهري للعلب الطائف الطائف بالليل والطائف به صيح في الليل والنهار وانشد الفراء اطفت بها نهارا غير ليل ... والهوى بها حالب الخيال والاثر خيال الاثر من الاوكار والصرائم واحد دخل والحرد المنع من قولهم حاردت السنة اذا منعت قطرها وحاردت الناقة اذا منعت لبنها قال الكميت وحاردت للكد الجياد ولم يكن ... بعقبة قيد المستعيرين معقب ويروى النكد وهي النوق الغزيرات الالبان قيل ان اصل الحرد القصد قال ابن سيل جار من عند الله يحرد حردا فلزمه المفعلة اي يقصد وحرد يحرد حردا وقيل الحرد الغضب والحق

قال الاشهب بن رميلة اسود شري كانت اسود خفية نسائوا على حرد ماء الاساود المعنى ثم قال سبحانه انا بلونا هم يعني اهل مكة اى اختبرناهم بالجوع والقحط كما بلونا اصحاب الجنة اى البستان الذى فيه الثمر قال سعيد بن جبير وهذه الجنة حديقة كانت باليمن فى قرية يقال لها ضروان بينها وبين صنعاء اثنا عشر ميلا كانت لشيخ وكان يمسك منها قدر كفايته وكفاية اهله ويتصدق بالباقى فلما مات قال بنوه نحن احق بها لكثرة عيالنا ولا يسعنا ان نفعل كما فعل ابونا وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم الى ما قص الله تعالى فى كتابه هو قوله اذ اقسموا اى حلفوا فيما بينهم ليصرمنها مصبحين اى ليقطعن ثمرتها اذا دخلوا فى وقت الصباح ولا يستثنون اى فى يمينهم استثناء فى ايمانهم فلم يقولوا ان شاء الله فان قول القائل لا تفعلن كذا الا ان يشاء الله استثناء ومعناه الا ان يشاء الله منعى او تمكيس ما فى قطاف عليها طائف من ربك اى احاطت بها النار فاحترقت عن ابن عباس وقيل معناه طرقها طارق من امر الله عن قتادة وهم نائمون اى فى حال نومهم قال مقاتل بعث الله نارا بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت سودة كذلك فاصبحت كالصريم اى كالليل المظلم والصريم يجىء فى الليل والنهار لانصرام احدهما من الاخر عن ابن عباس وابى عزيز العلة وقيل الصريم المصروم ثماره اى المقطوع والمعنى انها صارت كان جمع ثمارها قطعت عن الجباى وقيل الصريم الذى صرم عنه الخير فليس فيه شىء منه عن الحسن وقيل كالصريح اى كالرملة انفرجت من معظم الرمل عن موج وقيل كالرماد الاسود بلغة خزيمة فنادوا مصبحين اى نادى بعضهم بعضا وقت الصباح واصل التنادى من الندى بالقصر لان الندا الذى يجاب يندى الصوت الذى يمتد على طريقة يا فلان لان الصوت انما يمتد للانسان بندى حلقه ان اغدوا على حرثكم اى تنادوا بان اغدوا بمعناه قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم والحرث الزرع والاعناب ان كنتم صارمين اى قاطعين الثمر فانطلقوا الى قصرهم فخرجوا بحانقين بينا بعضهم الى بعض واصل من خفت فلان يخفت اذا اخفى نفسه ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين هذا ما كانوا يحانقون به وغدوا على حرد اى على قصد منع الفقراء قادرين هذا قصدهم وفى اعتقادهم على منعهم حاجزا ما فى جنتهم وقيل على حرد اى على جد وجهد من امرهم عن مجاهد وقتادة وابى العالية وقيل على جد فى المنع عن ابن عباس وقيل على حنق وغضب من الفقراء عن سفيان وقيل قادرين متقدرين مواظبتهم للجنة فى الوقت الذى قدروه وهو وقت الصرم والتقدير قصدوا للجنة للوقت الذى قدروا امرها فيه عن ابى مسلم فلما راوها قال الذين راوا الجنة على تلك الصفة قالوا انا لضالون اضللنا الطريق فليس هذا بستاننا عن قتادة وقيل معناه انا لضالون عن الحق فى امرنا فذلك عوقبنا بمنع جناننا ثم استدركوا فقالوا بل نحن محرومون المعنى ان هذه جنتنا ولكن حرمنا انفعها وخيرها المعنى وحرق المساكين حين كنا الاستثناء قال اوسطهم اى اعدلهم فى كلامهم ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه افضلهم واعقلهم وقيل اوسطهم فى السن لم اقل لكم لو لا تسبحون كان كان عندهم بين دعائهم فقال لو لا تستثنون عن مجاهد لان فى الاستثناء التوكل على الله والتعظيم لله والاقرار بانه لا يقدر احد على فعل شىء الا بمشيئة الله فلذلك سماه تسبيحا وقيل معناه هلا يعظمون الله بعبادته واتباع امره وقيل معناه هلا ينزهونه الله تعالى عن الظلم واعترفتم بانه لا يظلم ولا يرضى منكم بالظلم وقيل معناه هلا تذكرون نعم الله عليكم فتؤدون شكرها بان يخرجوا حق الفقراء من اموالكم وقيل معناه لم لا تصلون ثم حكى عنهم انهم قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فى عزمنا على حرمان المساكين من حصتهم هذا الصرام فحرمنا قطعها والانتفاع بها والمعنى انزهه تنزيها عن الظلم فلم يفعل بنا ما فعلنا ظلما وانما الظلم وقع منا حيث منعنا الحق فاقبل بعضهم على بعض يلوم بعضهم بعضا على ما فرط منهم قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين تدغلونا فى الظلم وتجاوزنا الحد فيه والويل غلظ الكفر وقيل الشقاء على النفس والويس والعذاب والويح كلها قال عمرو بن عبيد يجوز ان يكون ذلك منهم توبة ويجوز ان يكون على حد ما يقول الكافر اذا وقع فى شدة عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها اى لما تابوا ورجعوا الى الله قالوا لعل الله يخلف علينا ويولينا خيرا من الجنة التى هلكت انا الى ربنا راغبون اى نرغب الى الله ونسأله ذلك ونتوب اليه مما فعلناه وقرئ يبدلنا بالتشديد والتخفيف ومعناهما واحد كذلك العذاب فى الدنيا للعاصين ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون لو كانوا يعلمون ان الكبرى هو الذى يصير معتدا غيره بالاضافة اليه وهو

عن عبد الله بن مسعود انه قال بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله تعالى منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الميمان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا وقال ابو خالد اليماني رايت ذلك العنقود وراية كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم

قوله تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم اجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون املي لهم ان كيدي متين اشاعشر آية النعمة الزعيم والكفيل والضمين والقبيل نظائر والساق للانسان وساق الشجرة ما تقوم عليه وكل بنت له ساق يقوى صيفا وشتاء فهو شجرة قال طرفة للفتى عقل يعيش به حيث تهدى ساقه قدمه ويقول العرب قامت الحرب على ساق وكشفت عن ساق بريدة شدتها وقال جندب طرفة كشفت لكم عن ساقها وباس الشر المراح وقال آخر قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا القوس فيها وتر عرد الاعراب كيف في محل النصب على الحال تقديره اجاهليين تحكمون ام عادليين ويجوز ان يكون في محل المصدر وتقديره اي حكم تحكمون وتحكمون في موضع النصب على الحال من معنى الفعل في قوله لكم لان معنى قوله مالكم اي شيء ثبت لكم دام في جميع ذلك منقطعة ان لكم فيه لما تخيرون كسرت ان لمكان اللام في لما ولولاها لوجب فتحها لانه مفعول تدرسون وهو كقوله والله يعلم انك لرسوله وقولهم ان لكم لما تحكمون مشدد ان شئت قلت انما كسرت ان لان ما قبله يمين وهي تكسر في جواب القسم وقوله يوم يكشف عن ساق العامل في الظرف قوله فليأتوا وخاشعة ابصارهم حال ومن يكذب يجوز ان يكون منصوبا معه ويجوز ان يكون عطفا على ضمير المتكلم من ذرني المعنى اذكر يا محمد ما اعده في الآخرة للكافرين عقبه بذكر ما اعده للمتقين فقال ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم منعمون فيها ليتباينوا فيها على جناد الدنيا التي يحتاج صاحبها الى المشقة والعناء ثم استفهم سبحانه على وجه الانكار فقال اتجعل المسلمين كالمجرمين اي لا نجعل المسلمين كالمشركين في الجزاء والثواب وذلك انهم كانوا يقولون ان كان بعث وجزاء كما يقوله محمد فان حالنا تكون افضل في الآخرة كما في الدنيا فاخبر سبحانه ان ذلك لا يكون ابدا ما لكم كيف تحكمون هذا تجهيل لهم وتوبيخ ومعنا اي عقل يحملكم على تفضيل المكذبين حتى صار قبيحا الامر بكم على الكفر كما ليس في الحكمة التسوية بين الاولياء والاعداء في دار الجزاء ام لكم كتاب فيه تدرسون معناه بل الكم كتاب تدرسون فيه ذلك فانتم تمسكون به لا يلتفتون الى خلافه فاذا قد عدتم الثقة بما انتم عليه وفي الكتاب الذي هو القرآن عليكم اكبر الحجة لانه الدلالة القائمة الى وقت قيام الساعة من المعجزة الشاهدة بصدق من ظهرت على يده ان لكم فيه ما تخيرون فيه وجهان احدهما ان تقديره ام لكم كتاب فيه تدرسون بان لكم فيه ما تخيرون الا انه حذف الباء وكسرت ان لدخول اللام في الخبر والثاني ان معناه ان لكم ما تخيرونه عند انفسكم والامر بخلاف ذلك فكأنه يجوز ان يكون ذلك على سبيل الخبر المطلق ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة اي بل الكم عهود ومواثيق علينا عاهدناكم بها فلكم ينقطع ذلك الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون لانفسكم به من الخير والكرامة عند الله تعالى وقيل بالغة معناها موكدة وكل شيء متناه في الجودة والصحة فهو بالغ ثم قال سلهم يا محمد اينبئه صرسلهم بذلك زعيم يعني ايهم بذلك كفيل لهم بان لهم في الآخرة ما للمسلمين ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين معناه ام لهم شركاء في العبادة مع الله وهي الاصنام فليأتوا بهؤلاء الشركاء ان كانوا صادقين في انها شركاء الله وقيل معناه ام لهم شهداء يشهدون لهم بالصدق فيقوم به الحجة فليأتوا بهم يوم القيمة حتى يشهدوا لهم على صحة دعواهم ان كانوا صادقين في دعواهم يوم يكشف عن ساق اي فليأتوا بهم في ذلك اليوم تظهر فيه الامور الشداد يقال معناه يوم تبدو امور الامر الشديد الفظيع عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير قال عكرمة سئل ابن عباس عن قوله يوم يكشف عن ساق فقال اذا اخفى عليكم شيء في القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر وقامت الحرب بنا على ساق هو يوم كريهة وشدة قال الفتيبي اصل هذا ان الرجل اذا وقع في امر عظيم

يحتاج الساجد فيه ان يشمر عن ساقه فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة وافشد للدريدين الصمة كميش الازار خارج نصف ساقه بعيد من الافات طلاع الثنايا متى يرى الامر يشتد يوما يحتاج الى ان يكشف عن ساق ويدعون الى السجود اى يقال لهم على وجه التوبيخ اسجدوا فلا يستطيعون قيل معناه ان شدة الامر وصعوبة حال ذلك اليوم تمنعهم السجود وان كانوا الاينتفعون به ليس انهم يؤمرون به وهذا كما يفزع الانسان الى السجود اذا اصابه هول من اهوال الدنيا خاشعة ابصارهم اى ذليلة ابصارهم لا يرفعون نظرهم عن الارض ذلة ومهانة ترهقهم ذلة اى تغشاهم ذلة الندامة والخسرة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون اى اصحاء يمكنهم السجود فلا يسجدون يعني انهم كانوا يؤمرون بالصلوة في الدنيا فلم يفعلوا قال سعيد بن جبير كانوا لا يصلون حتى على الفلاح فلا يجيبونه وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وروى عن الربيع بن خثيم انه عرض له الفالج فكان يهادى بين رجلين الى المسجد فقيل يا ابا يزيد لو جلست فانك رخصة فقال من سمع حي على الفلاح فليجب ولو حبوا وروى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا في هذه الآية الم تر الى القوم ودخلتهم الهيبة ونخشعت الابصار وبلغت القلوب الحناجر اذلهم الله من الذلة والمزي والخلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون اى يستطيعون الاخذ بالمراد به والترك لما نهوا عنه والذلك ابتلوا وقال مجاهد وقتادة يؤذن للمؤمنون يوم القيمة فيسجد المؤمن وتصلب ظهور المنافقين فتصير سجود المسلمين حسرة على المنافقين وندامة وفي الخبر انه يصير ظهور المنافقين كالسفافيد ثم قال ومن يكذب بهذا الحديث هذا تهديد معناه فذرني والمكذبين اى كلهم الى ومن يكذب بهذا القول الفاسد دعني واياه يقول خل بيني وبين من يكذب بهذا القرآن وكلني فانا كفيتك امره سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اى سنأخذهم الى العقاب حالا بعد حال وقد مر تفسيره في سورة الاعراف ومر ذكر املاء لهم انه قال ان الحديث الصحيح نبه فيه على الاستغفار فقال الاستدراج والملى لهم ان يكيدني مثلين اى وطيل لهم لعلهم يرجعون عما هم عليه ولا يبادرون الى عذابهم مبادرة من يخشى الفوات فانما يعجل من يخاف الفوات ان عذابي شديد قوله تعالى أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين ست آيات بالقرآن تم الجزء السابع والعشرون ولله الحمد ليزلقونك بفتح الياء والباقون بضم الياء يقال زلقه يزلقه اذا نحاه من زاء بفتح الياء جعله من زلق وزلقه اذا مثل حزه وحزنه وشترت عينه وشترتها قال ابو علي والخليل يذهب في ذلك الى ان المعنى جعلت فيه شترا وجعلت فيه حزنا كما انك اذا قلت كحلته وعصبته اردت جعلت ذلك فيه ومن زاء ازلقته نقل الفعل بالهمزة ومعنى يزلقونك بأبصارهم ينظرون اليك نظر البغضاء كما ينظر الاعداء ومثله قول الشاعر يتقارضونه اذا التقوا في مجلس نظرا يزيل مواقع الاقدام اللقة للمغرم ما يلزم من الدين الذي يلح في اقتضائه واصله اللزوم يقال لحاح ومنه قوله ان عذابها كان غراما اى كان ملحا قال الشاعر يوم الجفار وكان فيهم النضار كان عذابا وكانا غراما والمثقل المحمل الثقل الذي شقل بالدين ومثقل بالعيال ومثقل بما عليه من الحقوق اللازمة والامور الواجبة والمكظوم المحبوس عن التصرف في الامور ومنه كظمت على الغيرة اذا شددت وكظم غيظه اذا حبسه بقطعه عما يريده والمهيع كظم خصمه اذا لجابه بالسكت والعراء الارض الخالية من النبات قال قيس بن جسرة رفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي ثم خاطب بهذا النبي صلعم فقال على وجه التوبيخ لكفار امم نسألهم اجرا فهذا عطف على قوله ام لكم كتاب فيه تدرسون ذكر بعد جميع ما يحتج به فقال ام تسألهم على ابلاغ الرسالة اجرا فهم من مغرم اى هم من لزوم ذلك مثقلون اى محملون الاثقال ام عندهم الغيب فهم يكتبون اى اهل عندهم علم يصحة ما يدعونه اختصوا به لا يعلمه غيرهم فهم يكتبونه ويتوارثونه فينبغي ان يبرزوه ثم قال فاصبر لحكم ربك في ابلاغ الرسالة وترك مقابلتهم بالقبيح وقيل اللام بمعنى الى والمعنى اصبر الى ان يحكم الله بنصرتك واظهار دينك وقيل معناه فاصبر لحكم ربك في القضية بين الظالم والمظلوم حتى يبلغ الكتاب اجله ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه

اى لا تكن مثله فى استعجال عقاب قومه فاهلكهم ولا تخرج من بين قومك قبل ان يأذن الله كما خرج هو اذ نادى وهو مكظوم
اى دعا ربه فى جوف الحوت وهو محبوس عن التصرف فى الامور والذى نادى به قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين
وقيل مكظوم اى محتنق بالغم اذ لم يجد لغيظه شفاء لولا ان تداركه نعمة من ربه اى لولا ان ادركته رحمة من ربه باجابة دعائه و
تخليصه من بطن الحوت وتبقيته فيه حيا واخراجه منه حيا لنبذ لطرح بالعراء اى بالفضاء وهو مذموم ملوم سليم قد اتى بما
يلام عليه ولكن الله تعالى تداركه بنعمة من عنده فطرح بالعراء وهو غير مذموم فاجتباه ربه اى اختاره الله نبيا فجعله من
الصالحين من جملة المطيعين وان الله تعالى ان كاد الكافرين ليزلقونك بابصارهم اى ليزهقونك اى يقتلونك ويهلكونك عن ابن عباس وكان يقرأها كذلك ويقول ايعرقونك
من الكعلى وقيل يصيبونك باعينهم من السدى والكل يرجع فى المعنى الى الاصابة بالعين والمفسرون كلهم على ان المراد فى الآية
وانكر الجبائى ذلك وقال اصابة العين لا تصح قال على بن عيسى الرمانى وهذا الذى ذكره غير صحيح لانه غير ممتنع ان يكون الله تعالى
اجرى العادة بصحة ذلك لضرب من المصلحة وعليه اجماع المفسرين وجوزه العقلاء فلا مانع منه ويجاء فى الخبر ان اسماء
بنت عميس قالت يا رسول الله ان بنى جعفر تصيبهم العين افاسترقى لهم قال نعم فلو كان شئ يسبق القدر لسبقة العين وقيل
ان الرجل منهم كان اذا اراد ان يصيب صاحبه بالعين يجوع ثلثة ايام ثم كان يصفه فيصرعه بذلك وذلك بارادة يفعلها
الذى يريد ان يصيبه بالعين لا اذى كالبوم ابدا اذا شاء وما اراد كابل اراها اليوم فقال للنبى ع كما كانوا يقولون لما يريدون
ان يصيبوه بالعين عن الفراء والزجاج وقيل معناه انهم ينظرون اليك عند تلاوة القرآن والدعاء الى التوحيد نظر عداوة
وبغض وانكار لما يسمعون ويعجب منه ثم يعرضون بجملة نظرهم ويزيلونك عن موضعك وهذا مستعمل فى الكلام
تقول نظر فلان الى نظر اكاد يصرعنى ونظر اكاد بأكلنى فيه وتأويله كله انه نظر الى نظرا لو امكنه صرعه اكلنى او ان يصرعنى
لفعل عن الزجاج وقوله لما سمعوا الذكر يعنى القرآن ويقولون مع ذلك انه لمجنون اى مغلوب على عقله مع علمهم بنوازه
ووفور عقله تكذيبا عليه ومعاندة له وما هو اى وما القرآن الا ذكر اى شرف للعالمين الى ان يقوم الساعة وقيل معناه وما محمد
الا شرف للخلق حيث هداهم الى الرشد وانقذهم من الضلالة لما نسبوه الى المجنون وصفه بما ينفى ذلك عنه وقيل المراد
بالذكر انه يذكرهم امر آخرتهم والثواب والعقاب والوحد والوعيد قال الحسن دعاء اصابة العين ان يقراء الانسان هذه الآية
سورة الحاقة مكية عدد آيها احدى وخمسون آية بصري شامي وآيتان فى الباقين اختلفوا فى آيتان الحاقة الاولى
كوفى كتابه بشماله جهازى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا
يسيرا ومر على الصراط بنور جابر الجعفى عن ابى جعفر ع قال اكثروا من قراءة الحاقة فانه من قرأها فى الفرايض والنوافل من الايام بالله
ورسوله ولم يسلب قلبه ايمانه حتى يلقى الله تفسيرها لما ذكر فى آخر سورة القلم حديث القيمة ويوم يكشف الكفار اقتتح هذه
السورة بذكر القيمة ايضا واحوال اهل النار فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة وما
ادريك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها
عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء
فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم
فى الجارية عشر آيات بقرأة قرأ اهل البصرة والكسائى ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء والباقون ومن قبله بفتح القاف
وسكون الباء الحاقة قال سيبويه قيل لها ولى الشئ يقول ذهبت قبل السوق ولى قبلك حق اى فيما يليك واشبه فيه حق صار بمنزلة
قبل عليك حق وحجة من قرأه انهم زعموا ان فى قراءة ابى جعار فرعون ومن معه فهذه يتوفى ومن قبله لان قبل لما ولى الشئ مما
يتخلف عنه فهو بقعده ويخلف به وحجة من قال ومن قبله ان معناه ومن قبله من الامم التى كفرت كما كفر هو للعنة قال ابن
الانبارى الحاقة الواجبة حق اى وجب يحق حقا وحقوقا فهو حاق وقال الفراء يقول العرب لما عرفت الحق منى هربت والحقه

خمس
عشر

والحاقة بمعنى وقيل سميت القيامة الحاقة لانها تحق الكفار من قولهم حاقته خفضته مثل خاصته فخصمته وسميت القارعة لانها تقرع قلوب العباد بالخافقة الى ان يصير الى مستقر الامن وحديث الشيء دربة ودراية علته وادديته العلة والطاغية الطغيان مصدر مثل العافية والصرصر الريح الشديدة الصوت والمحسوم المتوالية مأخوذ من حسم الداء متابعة الكي عليه فكانه تتابع الشر عليهم حتى استأصلهم وقيل هو من الحسوم وهو القطع فكانها حسمتهم حسوما اى اذهبتهم وافنتهم وقطعت دابرهم والخاوية الخالية التي لا شيء في اجوافها والاعراب العامل في الحاقة احد شيئين اما الابتداء والخبر الحاقة كما تقول زيد ما زيد واما ان يكون خبر مبتدا محذوف اى هذه الحاقة ثم قيل اى شيء الحاقة تفخيما لشانها وسخرها نصب على المصدر الموضع موضع الصفة لثمانية اى خسخهم حسوما ويجوز ان يكون جمع حاسم فيكون مثل راقد ورقود وشاهد وشهود وعلى هذا فيكون منصوبا على انه صفة لثمانية ايضا وحسوما نصب على الحال وقوله كانهم اعجاز نخل خاوية جملة في موضع الحال من صرعى اى صرعى اى مشابهين اعجاز نخل خاوية ومن مزيدة في قوله من باقية للتنصيص الحاقة اسم من اسماء القيمة في قول جميع المفسرين وسميت بذلك لانها ذات الحواقع من الامور وهي الصادقة الواجبة الصدق لان جميع احكام القيمة واجبة الوقوع صادقة الوجود والحاقة استفهام معناه التفخيم لحالها والتعظيم لشانها ثم زاد سبحانه في التهويل فقال وما ادريك ما الحاقة اى كانك لست تعلمها لانك لم تر ما فيها من الاهوال قال الفرزدق يقال للمعلوم ما ادريك وما ليس بمعلوم ما يدريك في جميع القرآن وانما قال لمن يعلمها ما ادريك لانه انما يعلمها بالصفة ثم اخبر سبحانه عن المكذبين فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بيوم القيمة وانما حسن ان توضع القارعة موضع الكتابة لتذكير هذه الصفة لها بالة بعد ذكرها بانها الحاقة والا فقد كان يكفي ان يقول كذبت ثمود وعاد بها ثم اخبر سبحانه عن كيفية اهلاكهم فقال فاما ثمود وهم قوم صالح فاهلكوا بالطاغية اى اهلكوا بطغيانهم وكفرهم من ابن عباس ومجاهد وقيل معناه اهلكوا بالصيحة الطاغية وهي التي جاوزت المقدار في شدتها اهلكتهم عن قتادة والضحاك وابي مسلم وقال الزجاج اهلكوا بالرجفة الطاغية وقيل بالخصلة المجاوزة للحال غيرها في الشدة التي اهلك الله بها اهل الفساد واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اى باردة عن ابن عباس وقتادة كانه تصطك الاسنان بما يسمع من صوتها لشدة بردها وقيل الصرصر المشدية العصوف المتجاوزة لحدها المعروف عاتية عتت على خزانها في شدة العصوف وهو المروي عن قبيصة بن ذويب انه قال ما يخرج من الريح شيء الا عليها خزان يعلمون زنة قدرها وعددها وكيلها حتى كانت التي اهلكت على عاد فاندفق منها فهم لا يعلمون قدره غضب الله فلذلك سميت عاتية تعزها عليهم اى سلطها الله وارسلها عليهم سبع ليال وثمانية ايام قال وهب وهي التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد وريح شديد وانما سميت هذه الايام ايام العجوز لانه دخلت سريا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب في اليوم الثامن وقيل سميت ايام العجوز لانها عجوز الشتاء وانما اسامي شهور قالوا اليوم الاول صن والثاني صنبر والثالث وبر والرابع مطفئ الجمر والخامس يكفي الظعن وقيل السادس الآمر والسابع المؤتمر والثامن المعلل وقال في ذلك شاعرهم كمل الشتاء بسبعة غبر ايام شهلتنا مع الشهر فبآمر وباخيه مؤتمر ومعلل وبمطفئ الجمر فاذا انقضت ايام شهلتنا بالصن والصنبر والوبر ذهب الشتاء وولى هاربا وانتك واترة من البحر حسوما اى ولاء متتابعة ليست لها فترة عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة كانه تتابع عليهم الشر حتى استأصلهم وقيل دائمة عن الكلبي وبقاتل وقيل قاطعة فقطعتهم قطعا الحق اهلكتهم من الدليل وقيل مشائيم نكدا قليلة الخير حسمت الخير عن اهلها عن عطية فترى القوم فيها اى في تلك الايام والليالي صرعى اى موتى وهلكى كانهم اعجاز نخل خاوية اى اصول نخل بالية نخرة عن قتادة وقيل خاوية فارغة خالية الاجواف من السدى وقيل ساقطة مثل قوله اعجاز نخل منقعر فهل ترى لهم من باقية اى من نفس باقية وقيل من بقاء والباقية بمعنى البقاء مثل العافية والطاغية والمعنى هل ترى لهم من بقية اى لم يبق منهم احد وجاء فرعون ومن قبله ومن معه والمؤتفكات اى وجاء اهل القرى المؤتفكات اى المنقلبات باهلها عن قتادة وهي قرى قوم لوط يريد الامم والجماعات الذين ايتفكوا بالخاطئة اى

٣٧٤

جزء عشر

خطيتهم التي هي الشرك والكفر فالخاطئة مصدر كالخطار والخطيئة وقيل معناه بالاثقال الخاطئة وبالنفس الخاطئة وعصوا
رسول ربهم فيما امرهم به وقيل ان المراد بالرسول الرسالة كما في قول الشاعر لقد كذب الواشون ما بثت عندهم بسرا وما ارسلتهم
برسول اي برسالة عن ابي مسلم والاول اظهر فاخذهم الله بالعقوبة اخذة رابية اي زائدة في الشدة عن ابن عباس وقيل نامية زائدة
على عذاب الامم وقيل عالية مذكورة خارجة عن العادة قوله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة و
تعيها اذن واعية فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة يومئذ وقعت الواقعة وانشقت
السماء فهي يومئذ واهية على الملائكة على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فاما من
اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية
كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية اربع عشرية القراءة قال ابن كثير في رواية القواس وقيها بسكون العين مختلسا وهو
بين الكسر والسكون والباقون بكسر العين وقرأ حمزة والكسائي بالياء والباقون بالتاء لتحقق في سكون العين من تيها الزجعل
حرف المضارعة ما بعده بمنزلة فخذ فاسكن لان حروف المضارعة لا يتصل من الفعل فصار كقولك نهوك فهي والياء والتاء في قول
الخليل حرف للفعلة الجارية السفينة التي من شأنها ان تجري على الماء والجارية المرأة الشابة لانه يجري فيها ما الشاب يقال وعيت
العلم وعيا واوعيت المتاع جعلته في الوعاء قال اذا لم يكن حافظا واعيا فجميع الكتب لا ينفع واذا كان البسط ومنه الادكان وادرك
سنام البعير اذا انفرش على ظهور والارجاء النواحي واحدها رجا تصور والتثنية رجوان وهاؤم امر للجماعة بمنزلة هاكم يقول
للواحد هاء يا رجل وللاثنين هاؤما يا رجلان وللجماعة هاؤم يا رجال وللمرأة هاء يا امرأة بكسر الهمزة وليس بعدها ياء وللمرأتين هاؤما
يا رجلان وللجماعة هاؤم يا رجالي وللمرأة والنساء هاؤن هذه لغة اهل الحجاز وتميم وقيس يقولون هاء يا رجل مثل اهل الحجاز وللاثنين
هاآ وللمسئلة هاؤا وللمرأة هائي وللنساء هأن وبعض العرب يجعل مكان الهمزة كافا فيقول هاك هاكما هاكم هاكن
بمعناه خذ وتناول وقرئ بها ولا ينهى وقف الكسائي على هاؤم وابتدأ اقرؤا كتابيه اعلاما منه انه لا ينصب الى اعمال الفعل
الاول وانما العمل للثاني والماضية المرضية فاعلة بمعنى مفعول لانها في معنى ذات رضى كما قيل لابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر قال
النابغة كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب يعني ذي نصب فكان العيشة لصاحبها حتى رضيت لانها بمنزلة
الطالبة كما ان الشهوة بمنزلة الطالبة للشيء وقيل هو مثل ليل نائم ونهار صائم ومارد اتى على وجه المبالغة في الصفة من غير التفات
في المعنى والقطوف جمع قطف وهو ما يقطف من الثمر والقطف بالفتح المصدر الاعراب كتابي مفعول اقرؤا الاية بليه قطوفها
دانية جملة مجرورة الموضع لانها صفة جنة المعنى ثم بين سبحانه قصة نوح فقال انا لما طغى الماء اي جاوز الحد المعروف حتى غرقت الارض
بمن عليها الا من شاء الله بحملناكم في الجارية اي حملنا آباءكم في السفينة عن ابن عباس وابن زيد لنجعلها لكم تذكرة اي لتجعل تلك
الفعلة التي فعلناها بمن اغرقنا قوم نوح وحدها من جملة عبرة لكم وموعظة يتذكر وبها انعم الله تعالى ويتذكر وبها عليها ويفكروا
فيها فيعرفوا كمال قدرته وحكمته وتحيها اذن واعية اي ويحفظها اذن حافظة لما يجب ان يحفظ عن ابن عباس وقيل سامعة قابلة
ما سمعت عن قتادة وقال الفراء لتحفظها كل اذن فيكون عظة لمن يأتي بعده وروى الطبري باسناده عن مكحول انما نزلت هذه
الاية قال النبي صلى الله عليه وآله اللهم اجعلها اذنك يا علي قال علي فما سمعت شيئا من رسول الله فنسيته وروى باسناده عن عكرمة عن بريدة
الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي يا علي ان الله تعالى امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وتعي وحق
على الله ان تعي فنزلت وتعيها اذن واعية اخبرني فيما كتب الي فخطه المفيد ابو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله عن ابي علي الرازي قال حدثنا
الشيخ السعيد ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي قال ابو الفتوح ابو الحسن بن علي بن عمر الكاتب والشيخ ابو عبد الله الحسين بن
احمد بن عبيد الفارسي قالا حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن المهتدي الجرجاني قال سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن الخطاب المعروف
بابن الدنيا الاشج قال سمعت علي بن ابي طالب عليه السلام يقول لما نزلت وتعيها اذن واعية قال رسول الله صلى الله عليه وآله سألت الله عز وجل ان
يجعلها اذنك يا علي فما نسيت شيئا بعد وهي النفخة الاولى من عطاء والنفخة الاخيرة من مقاتل والكلبي وعلت الاصوات

والجبال اى رفعت من اماكنها فدكتا دكة واحدة اى كسرتا كسرة واحدة لا يبقى حتى يستوى ما عليها من شئ مثل الاديم الممدد وقيل ضرب بعضها ببعض حتى تفتت الجبال وسفتها الرياح وبقيت الارض شيئا واحدا لا جبل بها ولا رابية بل يكون قطعة مستوية وانما قال دكتا لانه جعل الارض جملة واحدة والجبال جملة واحدة فيرتد ومعنى الواقعة اى قامت القيمة وانشقت السماء اى انفرج بعضها من بعض يومئذ واهية اى شديدة الضعف بالنسبة الى ما قبل هو ان السماء تنشق بعد صلابتها فتصير بمنزلة الصوف فى الوهى والتصدع والملك على ارجائها اى على اطرافها وما يجاورها من الحسن وقتادة والملك اسم يقع على الواحد والجمع والسماء مكان الملائكة فاذا وهت صارت فى نواحيها وقيل ان الملائكة يومئذ على جوانب السماء تنتظر ما يؤمر به فى اهل النار من السوق اليها وفى اهل الجنة من التحية والتكرمة فيها ويحمل عرش ربك فوقهم يعنى فوق الخلائق يومئذ يعنى يوم القيمة ثمانية من الملائكة عن ابن زيد وروى ذلك عن النبى صلى الله عليه وآله انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم بار بعة اخرى فيكونون ثمانية وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى عن ابن عباس يومئذ تعرضون يعنى يوم القيمة تعرضون على الكلبون لا تخفى منكم خافية اى نفس خافية او فعلة خافية وقيل الخافية مصدر اى خافية احد وروى فى الخبر عن ابن مسعود وقتادة ان الخلق يعرضون ثلاث عرضات فثنتان فيهما معاذير وجدال والثالثة تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وليس يعرض الله الخلق ليعلم من حالهم ما لم يعلمه فانه عز اسمه العالم لذاته يعلم جميع ما كان منهم وكل لفظ ذكر الخلق ثم قسم سبحانه حال المكلفين فى ذلك اليوم فقال فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول لاهل القيمة هاؤم اى تعالوا اقرؤا كتابيه وانما يقوله سرورا به لعلمه بانه ليس فيه الا الطاعات فلا يستحى ان ينظر فيه غيره واهل اللغة يقولون ان معنى هاؤم خذوا ان ظننت اى علمت وايقنت فى الدنيا انى ملاق حسابيه والعامل بمظنون يعد من الاكياس وهى هاء الاستراحة والمعنى انى كنت مستيقنا فى دار الدنيا بانا القى حسابى يوم القيمة عاملا بما فى لجازى على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب فكنت اعمل بما اصل به الى هذه المنزلة فهو فى عيشة اى حالة من العيش راضية مرضاة لصاحبها لان لقى الثواب وآمن العقاب فى جنة عالية اى رفيعة القدر والمكان قطوفها دانية اى ثمارها قريبة ممن يتناولها قال البراء عذاب يتناول الرجل من الثمرة وهو نائم وقد روى الخبر عطاء بن يسار عن سلمان قال قال رسول الله صلعم لا يدخل الجنة احد كم الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الرحيم لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية وقيل معناه لا يرد ايديهم عن ثمرها احد ولا تشوك عن قتاده كلوا اى يقال لهم كلوا واشربوا فى الجنة هنيئا بما اسلفتم اى قدمتم من اعمالكم الصالحة فى الايام الخالية الماضية يعنى ايام الدنيا ويعنى بقوله هنيئا اى انه ليس فيها ما يرد فيحتاج فيها الى اخراج فضل الغائط او البول قوله تعالى واما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون ثلث عشر آيه الفاضية القاضية بالامانة يقال قضى فلان اذا مات واصله فصل الامر ومنه قضية الحاكم ومنه قضاء الله وهو الاخبار بما يكون على القطع والتصلية الزام النار ومنه الاصطلاء وهو التعرض لحر النار للدفاء والجحيم النار العظيمة والسلسلة حلق منتظمة كل واحدة منها فى الاخرى ويقال سلسل كلامه اذا عقد شيئا منه بشئ وتسلسل الشئ اذا استمر على الولاء شيئا قبل شئ وذرع الشئ يذرعه ذرعا اخذ من الذراع والغسلين الصديد الذى يغسل بسيلانه من ابدان اهل النار ووزنه فعلين من الغسل الاعراب قوله كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه قال الزجاج الوجه ان يوقف على هذه الهاآت ولا توصل لانها دخلت للوقف وقد حذفها قوم فى الوصل ولا احب مخالفة المصحف وان اثبتت الهاآت فى الوصل وحذفه رفعت آيات فالوجه ان يوقف عندها وكذلك قوله ماهيه فليس لها فى اليوم هاهنا حميم الحار والجريد خبر ليس لبعيد قوله ولا طعام اى لا طعام ولا يكون الغسلين هنا الا المتقيح بعينه ولا طعام ههنا الا من غسلين وقد اجاز جايز ان يكون طعام غير غسلين ولا يكون الغسلين اليوم لان جهنم جملة وظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجملة ثم ذكر سبحانه حال

٣٢٨

اخر القارعة فقال رأيتها مثل كتاب اطحى كتابها الذى هو صحيفة اعماله بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه اى يتمنى انه لم يوت
كتابه فيه من مقابح اعماله التى تسود لها وجهه ولم ادر ما حسابيه اى واى ادراى شئ حسابى لانه لا حاصل لعلمى فى ذلك الحساب وانما هو
كله عليه يا ليتها كانت القاضية الهادية ليتها كناية عن المال الذى هم فيها وقيل هو كناية عن الموتة الاولى والقاضية القاطعة
للحيوة اى ليت الموتة الاولى التى متنالم تحى بعدها عن الفزع تحق دوام الموت عاد لم يبعث للحساب وعقابه تمنى يومئذ الموت ولم
يكن فى الدنيا شئ عنده اكره من الموت ما اغنى عنى ماليه اى ما دفع عنى مالى من عذاب الله شيئا وقيل معناه انى تصرفت حمقى على
تحصيل المال ليكتسب الكرامة عنى فما نفعنى اليوم هلك عنى سلطانيه اى حجتى عن ابن عباس ومجاهد اى ضل عنى ما كنت اعتقده
حجة وقيل معناه هلك عنى تسلطى وامرى وهى فى دار الدنيا على ما كنت مسلطا عليه فلا امر لى ولا نهى ثم اخبر بحاله انه يقول
للملائكة خذوه فغلوه اى اوثقوه بالغل وهو ان تشد احدى يديه او رجليه الى عنقه بجامعة ثم تجعل صلوه اى ثم ادخلوه النار
العظيمة والزموه اياها فى سلسلة ذرعها الطول الذى سبعون ذراعا فاسلكوه اى اجعلوه فيها الا ترى خذ عنقه فيها ثم خبرها
قال الضحاك انها تدخل فى فيه وتخرج من دبره فعلى هذا يكون انفها ثم اسلكوا السلسلة فيه فغلب كما يقال ادخلت القلنسوة
فى راسى وكقول الاعشى اذا ما السراب اتردى بالاكم وانما ارتدى الاكم بالسراب ولكنه قلب وقال نوف البكالى كل ذراع سبعون
باعا الباع ابعد مما بينك وبين مكة وكان فى رعية الكوفة وقال الحسن الله اعلم باى ذراع هو وقال سويد بن نجيح ان جميع
اهل النار فى تلك السلسلة ولولد حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرها ثم قال صدقنا انه كان لا يؤمن بالله العظيم
شانه اى لم يكن يوحد الله فى دار التكليف ولا يصدق بوحدانيته لا يحض على طعام المسكين وهو الحتاج الفقير والمعنى انه كان يمنع
الزكوة والحقوق الواجبة فليس له اليوم ههنا حميم اى صديق ينفعه ولا طعام اى ولا له اليوم طعام الا من غسلين وهو صديد
اهل النار وما يجرى منهم فالطعام هو ما فى الاكل واذلك لا يسمى الشراب طعاما للانسان فما فى الصيد لا كل اهل النار كذلك
طعامهم وقيل ان اهل النار طبقات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الضريع لانه قال فى موضع اخر ليس لهم طعام الا من
ضريع وقيل يجوز ان يكون الضريع هو الغسلين فعبر عنه بعبارتين عن قطرب وقيل يجوز ان يكون المراد ليس لهم طعام الان
ضريع والاشارة الا من غسلين كما قال الشاعر على لاحب لا يهتدى بمناره اى لا يهتدى الا باحد هذا الغسلين الا الخاطيون وهم الجايرون
من طريق الحق عامدين والفرق بين الخاطى والمخطى ان المخطى قد يكون من غير تعمد والخاطى المذنب المتعمد الجايز عن الصراط
المستقيم قال امرؤ القيس يا لعمر هند اذ خطين كاهلا القاتلين الملك الحلحلا قوله فمثل ما قد رأت غداة البين منك لى كما
لا يبصرون ولا يعلمون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة
للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم خمس آيات القراءة
قرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب وسهل بالغيب ويذكرون بالياء كناية عن الكفار والباقون بالتاء خطابا لهم وكلاهما حسن
اللفقة الوتين عرق القلب واذا انقطع مات الانسان قال الشماخ بن ضرار اذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين
الاعراب قليلا فى الموضعين صفة مصدر محذوف وما مزيدة تقديره ايمانا قليلا تؤمنون وتذكرا قليلا تتذكرون ويجوز ان
يكون صفة لظرف محذوف اى وقتا قليلا تؤمنون وقتا قليلا تتذكرون ويجوز ان يكون ما مصدرية ويكون التقدير قليلا ايمانكم
وقليلا تذكركم يكونان فى موضع رفع بقليل وقليلا من احد فى موضع رفع لانه اسم ما ومن مزيدة لتاكيد النفى تقديره فما منكم
احد والاصل فما احد منكم فمنكم فى موضع رفع بكونه صفة على الموضع او فى موضع جر على اللفظ فلما تقدم الموصوف صار فى
موضع النصب على الحال وحاجزين منصوب بانه خبر ما ولم يبطل عمل ما منكم على ما وان فصل بينهما الا ظرف والفصل بالظرف
فى هذا الباب كالفصل قال ابو على انه جعلت منكم مستقرا كان حاجزين صفة احد وان جعلت منكم غير مستقر كان حاجزين
خبرا وعلى الوجهين فقوله حاجزين محمول على المعنى واقول فى بيانه ان كان فى منكم ضمير لاحد ويكون خبرا لمبتدا محذوف تقديره فما هو عليه فيكون

الغسلين ومنهم من طعامه م

عشر
خمس
عشرة

حاجزين صفة لاحد وتقديره ما منكم قوم حاجزون عنه ويكون ما غير عامله هنا على لغة الحجاز ايضا ويكون حاجزين مجرورا حملا على اللفظ ويكون غير مستقر هو ان يكون على ما ذكرناه قبل المصنف ثم اكد بجمعا نهما قالوا قسم بما تبصرون وما لا تبصرون قيل فيه وجهان احدهما ان يكون قوله لا رد الكلام المشركين فكانه قال ليس الامر كما يقول المشركون اقسم بالاشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر ويدخل فيها جميع المكونات انه لقول رسول كريم يعني محمدا صلعم عن القرآن قتادة وثانيهما ان لا مزيدة مؤكدة والتقدير فاقسم بما تبصرون وبما لا تبصرون وثالثها انه نفي للقسم ومعناه لا احتاج الى القسم ليوضح الامر في انه قول رسول كريم فانما اظهر من ان يحتاج في اثباته الى القسم عن ابي مسلم ورابعها انه كقول القائل لا والله لا افعل ذاك ولا والله لا افعلن ذاك وقال الجبائي انما اراد انه لا يقسم الا بالاشياء المخلوقات ما يرى وما لا يرى ولما يقسم بربها الا القسم لا يجوز الا بالله انه لقول رسول كريم قال انه قول الله على الحقيقة وانما الملك وجبرئيل والرسول يحكون ذلك وانما اسنده اليهم من حيث ان ما يسمع منهم كلامهم فلما كان حكاية كلام الله قيل هو كلام الله على الحقيقة في العرف قال الجبائي والرسول الكريم جبرئيل والكريم الجامع لخصال الخير وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون قول الشاعر ما الفية بوزنه ومعناه معنى وله معنى قول الكاهن السجع وهو كلام متكلف يضم الى معنى بيت كلام طويل وانه سبحانه من الشعر والكهانة نزه نبيه عنهما وانما سفه سبحانه من الشعر ينزهه عنه لان الغالب من حال الشعر انه يدعو الى الهوى ويبعث على الشهوة والنبي صلعم انما يأتي بالحكم التي يدعو اليها العقل الصالحة الى العمل عليها والانزجار عنها وايضا فانه سبحانه سفه من قول الشعر والكهانة من يعصمه عنهما وانما سفه سبحانه من الشعر ينزهه عنه لان الغالب من حال الشعر انه يدعو الى الهوى ويبعث على الشهوة والنبي صلعم انما يأتي بالحكم التي يدعو اليها العقل الصالحة الى العمل عليها والانزجار عنها وايضا فانه سبحانه سفه من قول الشعر لا لتزعم ان القرآن ليس بصفة الكلام المتعارف بين الناس وانه ليس بشعر بل هو صنف من الكلام خارج عن الانواع المتعارفة واذا بعد عما جرت به العادة في تاليف الكلام فذلك ادل على اعجازه قليلا ما تؤمنون معناه لا تصدقون بان القرآن من عند الله تعالى ويريد بالقليل نفي ايمانهم اصلا كما تقول لمن لا يزورك قل ما تأتينا وانت تريد لا تأتينا اصلا فالمعنى انهم لا يؤمنون به ولا يتذكرون ولا يتفكرون فيعلموا انه ليس بشعر ويميزوا بينه وبين الشعر والكهانة تنزيل من رب العالمين بين انه منزل من عنده على لسان جبرئيل حق لا مين فيهم انه كلام جبرئيل وانه تقول علينا محمد بعض الاقاويل معناه لو كذب علينا واختلق علينا بعض الاقاويل كما تقوله اي لو تكلف القول واتى به من عند نفسه لاخذنا منه باليمين اي لاخذنا بيده التي هي اليمين على وجه الاذلال كما يفعل السلطان باعظم خدمه اذا خلافه فانه يعاقبه عن ابن جرير وقيل معناه لقطعنا يده اليمنى عن الحسن وابي مسلم وعلى هذا يكون الباء مزيدة اي لاخذنا منه اليمين وقيل معناه لاخذنا منه بالقوة والقدرة اي لاخذنا منه وهو قادر ومتمكن عليه ما لكون له عن الفراء والمبرد والزجاج وانما اقام اليمين مقام القوة والقدرة لان قوة كل شئ في ميامنه عن علي فيه ثم لقطعنا منه الوتين اي ولكنا نقطع وتينه ونهلكه قال ابن عباس وقتاده وهو عرق في القلب متصل بالظهر وهو حبل القلب فما منكم من احد يحجزنا عنه والمعنى انه لا يتكلف الكذب لاجلكم مع علمه انه لو تكلف ذلك لعاقبناه ثم لم يقدر احد منكم على دفع عقوبتنا عنه ثم ذكر سبحانه ان القرآن ما هو فقال وانه لتذكرة للمتقين اي وانه لعظة لمن اتقى عقاب الله بطاعته ولما علم ان منكم مكذبين بالقرآن اي علمنا ان بعضكم تكذبون اشار سبحانه الى ان منهم من يصدق فمنهم من يكذب وانه لحسرة على الكافرين اي ان هذا القرآن حسرة عليهم يوم القيمة حيث لم يعملوا به في الدنيا وانه لحق اليقين ومعناه وان القرآن لليقين حق اليقين والحق هو اليقين وانما اضافه الى نفسه كما يقال مسجد الجامع ودار الآخرة وبابه الاول ويوم الخميس وما اشبه ذلك فيضاف الشئ الى نفسه اذا اختلف لفظه وقيل ان الحق هو الذي معتقده على ما هو به والمبين هو الذي لا شبهة فيه فسبح باسم ربك العظيم الخطاب للنبي صلعم والمراد به جميع المكلفين ومعناه نزه الله سبحانه عما لا يجوز عليه من الصفات والعظيم هو الجليل الذي يصغر شان غيره في شانه وبعضهم الكل شئ لعظمته وسلطانه

[illegible] مكية قال الحسن الا قوله والذين في اموالهم حق معلوم عدد آيها اربع واربعون آية غير الشامي ثلاث شامي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة سال سائل العطاء الواقع للذين هم لامانا تهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون وعن جابر عن ابي جعفر عليه

حسن عشر

قال من اراد من قراءة سائل سأل بالهمز فانه يسأله الله يوم القيمة عن ذنب عمله واسكنه جنته مع محمد وآله تفسيرها الماخوذ بسجانه سورة سألت بوحيد الكفار افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما عشر آيات القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر غير هرون والباقون بالهمزة وقرأ الكسائي يعرج بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن كثير في رواية البزي وعاصم في رواية ابو بكر عن ابي بكر كالسأل بضم الياء والباقون لا يسأل بفتح الياء لغتان قال ابو علي من قرأ سأل جعل الالف منقلبة عن الواو التي هي بمعنى قال وخالف وحكى ابو عثمان عن ابي زيد انه سمع من يقول هما بتسا والان نفس قال سال كان على هذه اللغة ومن قرأ سأل فجعل الهمزة عين الفعل قال حقق قال سال وان خفف جعلها بين الالف والهمزة فاما قول الشاعر سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت فيمكن فيه الوجهان ولكل القراء على هذين سايل لانه لا يخلو اما ان يكون من بنات الواو او من اللغة الاخرى فان كان من الاول لم يكن فيه الا الهمز كما يكون في قايل وخايف لان العين اذا اعتلت في الفعل اعتلت في اسم الفاعل واعتلالها لا يكون بالحذف فلما لم تحذف لما ذكرنا قلبت الى الهمزة وان كانت في لغة من يقول خاف فلان يخاف فلا يكون فيه الا الهمز كما يكون في ثاب لانك ان شئت خففت الهمز فجعلتها بين بين وكذلك في الوجه الآخر يعني يعرج ويعرج فالياء والتاء فيه حسنان ومن قال سال يسال فالمعنى والله اعلم لا يسال حميم عن حميمه لتعرف شدة كما يعرف خبر الصديق من جهة صديقه والقريب من قريبه فاذا كان كذلك فالكلام اذا بنيت الفعل للفاعل قلت سالت زيدا عن عمرو فاذا بنيت الفعل للمفعول به قلت سئل زيد عن عمرو وقد يحذف الجار فيصل الفعل الى الاسم الذي كان مجرورا فاذا حذف الجار فيتنصب لانه مفعول الاسم الذي اسند اليه الفعل الذي للمفعول به وعلى هذا انتصاب قوله حميما ويدل على هذا المعنى قوله يبصرونهم اي يبصر الحميم الحميم يقول بصرت به فاذا اضعفت عين الفعل صار الفعل منقولا فتقول يبصرني زيد بكذا فاذا حذفت الجار قلت بصرني زيد كذا فاذا بنيت الفعل للمفعول به وقد حذفت الجار وقلت بصرت زيدا فعلى هذا قوله يبصرونهم فاذا يبصرونهم لم يصح الا على ما تعرف شان الحميم من حميمه وانما جمع فقيل يبصرونهم لان الحميم وان كان مفردا في اللفظ فالمراد به الكثرة والجمع يدل على ذلك قوله قالت من شانهن كما لا صديق جميم ومن قرا لا يسال جميم حميما فالمعنى لا يسال الحميم عن حميمه في ذلك اليوم لانه يشغل عنه بشانه كما قال يوم يفر المرء من اخيه الى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه المعارج مصاعد الملائكة وهي السموات مرتبة بعضها فوق بعض ومنه المعراج لارتفاع احدى رجليه على الاخرى قال الزجاج المهل دردي الزيت وقيل هو الجاري بغليانه وحكى عن بعض اهل اللغة امهال والمهل الصوف المنفوش والمهم القريب المصاحب والصلة من القرب قال الحسن ذلك من لدن اهبط ادم الى الارض الا ترى ان الشهر الهلال الاعراب بعذاب البار يتعلق بسال لان معناه دعا داع بعذاب وقيل الباء بمعنى عن وتقديره عن عذاب قال دع المعرا لسال بصرعه وسال بمعقله الكرى ما فحطا بريد من مصرعه ومن معقله واللام من قوله للكافرين بمعنى على ويتعلق بواقع اي واقع على الكافرين وقيل انه يتعلق بمحذوف فيكون صفة لسايل تقديره سال سايل كائن للكافرين اي منهم للمعنى سال سايل بعذاب واقع قيل انه هذا السايل هو الذي قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وهو النضر بن الحرث بن كلدة فيكون المعنى دعا داع على نفسه بعذاب واقع مستحق له وهو واقع بهم لا محالة حين جاهدوه وقيل سال المشركون فقالوا لمن هذا العذاب الذي تذكر يا محمد فقال جوابا لهم للكافرين ليس له دافع عن الحسن وقيل معناه دعا داع بعذاب على الكافرين وذلك الداعي هو النبي صلعم على الجباي ويكون الباء في بعذاب مزيدة على التوكيد كما قوله وهزي اليك بجذع النخلة والتقدير سال سايل عذابا واقعا وقيل هي بمعنى عن وعليه تاويل قول الحسن كانهم سالوا عن العذاب لمن هو وقيل الباء للتعدي اي جاء سايل بعذاب وعليه تاويل من قال ان معنى سال سايل على قراءة من قرا بالالف من سال يسيل سيله والتقدير سال سيل سايل بعذاب واقع وقيل سايل اسم واد في جهنم سمي بذلك لانه يسيل بالعذاب

معارج

عن ابن زيد واخبرنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال اخبرنا ابو عبد الله الشيرازي قال اخبرنا ابو بكر الجرجاني قال
قال حدثنا الحاكم ابو احمد البصري قال حدثنا محمد بن سهل قال حدثنا زيد بن اسمعيل مولى الانصار قال حدثنا محمد بن ايوب الواسطي قال
حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام قال لما نصب رسول الله صلعم علياً يوم غدير خم وقال
من كنت مولاه فعلي مولاه طار ذلك في البلاد فقدم على النبي النعمان بن الحرث الفهري فقال امرتنا عن الله ان نشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله وامرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلوة والزكوة فقبلنا منك ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه
فعلي مولاه فهذا شيء منك او امر من عند الله فقال والله الذي لا اله الا هو ان هذا من الله فولى النعمان الحرث فهو يقول اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فما بلغ راحلته حتى رماه الله بحجر على رأسه فقتله فانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع
وقوله ليس لدافع من الله ذي المعارج اي ليس لعذاب الله دافع من الله وقيل معناه بعذاب الكافرين واقع من الله لا دافع عنه
من الله ذو المعارج صفة الله سبحانه وقيل فيه وجهان احدهما معناه ذي الفواضل العالية والدرجات التي يعطيها الانبياء والاولياء
في الجنة اذا استحقوها المنازل الرفيعة والدرجات العالية وهو معنى قول قتادة والضحاك وثانيهما انها معارج السماء التي هي مواضع
عروج الملائكة عن ابن عباس ومجاهد قال الكلبي معناه ذي السموات لان الملائكة تعرج فيها وقال الفراء معناه ذي الملائكة
اي مالك الملائكة التي تعرج الى السماء ومنه ليلة المعراج لانه يعرج فيها الى السماء فيها تعرج الملائكة والروح اي تصعد
الملائكة وتصعد الروح ايضا معهم وهو جبرئيل خصه بالذكر من بين الملائكة تشريفا اليه اي الى الموضع الذي لا يجري لاحد
سواه فيه حكم جميل سبحانه عروجهم الى ذلك الموضع عروجا اليه كقول ابرهيم اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع الذي وعدني ربي
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة اختلف في معناه فقيل تعرج الملائكة الى الموضع الذي يأمرهم الله به في يوم كان
مقداره من عروج غيرهم خمسين الف سنة وذلك من اسفل الارضين الى فوق السموات السبع وقوله في سورة السجدة في يوم
كان مقداره الف سنة عما تعدون من السماء الدنيا والارض في الصعود والنزول خمسمائة سنة في الصعود وخمسمائة سنة في النزول
عن مجاهد والمراد ان الادميين لو احتاجوا الى قطع هذا القدر الذي قطعته الملائكة في يوم واحد لقطعوه في هذه المدة وقيل
انه يعني يوم القيمة وانما فعل فيه ما فعل وقضى فيه من الامور والاحكام بين العباد وما فعل في الدنيا لكان مقداره خمسين
الف سنة هو الجزاء فهو معنى قول قتادة وذكرته وروى ابو سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله ما اطول هذا اليوم فقال
والذي نفس محمد بيده انه ليخفف على المؤمن حتى تكون اخف عليه من صلوة مكتوبة تصليها في الدنيا وروى عن ابي عبد الله عليه السلام
انه قال لو ولي الحساب غير الله لكان فيه خمسين الف سنة من قبل ان يفرغوا والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة وعنه
ايضا قال لا تصف ذلك اليوم حتى تعلم اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وقيل معناه ان اول نزول الملائكة في الدنيا
باخره وتهيد وقضاياه بين الخلايق الى اخر عروجهم الى السماء وهو القيمة هذه المدة فيكون معناه الدنيا خمسين الف سنة
لا يدري كم مضى وكم بقي وانما يعلمها الله عز وجل وقال الزجاج يجوز ان يكون قوله في يوم من صلة واقع فيكون المعنى سأل سائل
بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وذلك العذاب يقع يوم القيمة فاصبر يا محمد على تكذيبهم اياك صبرا جميلا
لا جزع فيه ولا شكوى على ما يقاسيه انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا اخبر سبحانه انه يعلم متى يوم القيمة وطول العقاب بالكفار
قريبا وانه لكائن بعيد الانعم لا يعتقدون صحته وكل ما هو آت فهو قريب وادنى القريبة الاولى يعني الطول والتأنية يعني
العلم ثم اخبر سبحانه عن متى تقع العذاب يوم فقال يوم تكون السماء كالمهل اي كدردي الزيت عن ابن عباس وقيل كمكر
الحار ان عن عطاء وقيل مثل الفضة اذا اذيبت عن الحسن وقيل مثل الصفر المذاب عن ابي مسلم وتكون الجبال كالعهن اي
كالصوف المصبوغ وقيل كالصوف المنفوش من مقاتل وقيل كالصوف الاحمر عن الحسن بمعنى انها تلين بعد الشدة وتهون
بعد الاجتماع قال الحسن انها تصير رملا كثيبا مهيلا ثم تصير هباء منثورا ولا يسأل حميم حميما ان يحمل عنه
من اوزاره لما به من ذلك وقد روي عن الحسن وقال الاخفش الحميم من يحميه الرجل اي يدافع عنه وشفقة من قرب الرحم وبعيد

والخاصة الخاصة ويقيل معناه انه لا يحتاج الى سؤال لانه يكون لكل علامة تعرف بها فعلامة الكافر سواد الوجه زرقة العين
وعلامة المؤمن نضارة اللون وبياض الوجه ببصرهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولى
وجمع فاوعى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم
دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان
عذاب ربهم غير مأمون انهم مستوفون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم
بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون خمس وعشرون آية القراءة قرأ حفص نزاعة
بالنصب والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير لاماناتهم بغير الف بعد الميم والباقي لاماناتهم بالجمع وقرأ حفص ويعقوب وسهل
بشهاداتهم على الجمع والباقون بشهادتهم وكلهم قرأ على صلاتهم على التوحيد الحجة قال ابو علي من قرأ انها لظى نزاعة للشوى
فرفع نزاعة جاز في رفعه ما جاز في قولك هذا زيد منطلق وهذا يعلى شخص ومن نصب فعلى وجهين احدهما ان يكون حالا والآخر
ان يجعل على فعل مضمر على الحال بعد لا نه ليس في الكلام ما يعمل في الحال فان قلت فان في قوله لظى من المنطلق والتلهب فان
ذلك لا يستقيم لان لظى معرفة لا ينتصب عنها الا ما يستحيل استعمال الاسماء من اسم فاعل او مصدر لم يعمل هذا
الفن من حيث جرى مجرى الاسماء فان لا يعمل العلم المعرفة علما وذلك على تعرف هذا الاسم وكونه علما الا ترى ان الشوى لم يلحقه
فان كان كذلك لم ينتصب الحال عنه فان جعلتها مع تغريبها قد صارت معرفة بشدة التلظي جاز ان ينتصب بهذا
المعنى الحادث في العلم وعلى هذا قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض علمت الظرف بما دل عليه الاسم من التدبير
والاطلاق فان جعلت الحال بالمعنى الحادث في العلم كما جعلت الظرف بما دل عليه الاسم من التدبير والاطلاق لم يمتنع
لان الحال كالظرف في تعلقها بالمعنى كتعلق الظرف بري كان وجهان كان علمت نزاعة بفعل مضمر لخوا عنها انها نزاعة
للشوى لم يمتنع ايضا وما قوله لاماناتهم على الافراد فان كان مضافا الى جماعة والكل واحد منهم اماناته فانه مصدر يقع على جميع
الجنس ويتناوله ومن جمع فلاختلاف الامانات وكثرة ضروبها فاشبهت بذلك الاسماء التي ليست الجنس والقول في الشهادة
والشهادات مثل القول في الامانة والامانات اللغة المروءة مشتركة بين المتنبي وبين الجبة تقال وددت الشيء اي تمنيته
وودودته اي اجبته اودفيها جيبا والادم افتداء الضرب عن الشيء ببدل منه والفصيلة الطائفة المنفصلة عن جملة القبيلة
يرجع بها الى ابوة خاصة من ابوة عامة والظى اسم من اسماء جهنم ماخوذ من التوقد والنزاعة الكثيرة النزع وهو انتزاع عن
شدة ضم والانتزاع اخذ بشدة استعلاء والشوى جلدة الرأس واحدتها شواة قال الاعشى قالت سبيلة مالذي جللت شيبا
شواتة والشوى الاكارع والاطراف والشوى ما عدا المقاتل من كل حيوان تقول رمى فاشواه اي اصاب غير مقتل ورمى فاصمى
اي اصابك للقتل والشوى ايضا القسيس من المال والجلوح الشديد الحرص الشديد الجزع والاشفاق رقة القلب عن فعل
ما يخاف من الامور فاذا قسا قلب الانسان بطل الاشفاق والعادي الخارج عن الحق يقال عدا فلان اذا اعتدى وعدا في
مشيه اذا اسرع وهو الاصل والعادي الظالم بالاسراع الى المظلم الاعراب نصب لظى على ان يكون العامل في الظرف من قوله نزاعة
الشوى كالعامل في قوله يوم تكون السماء كالمهل فان قلت فقوله يود المجرم يجوز ان يكون استيناف كلام فما وجه نصب لظى
على الحال والجواب ان يكون في فعل الجزء الذي تكون السماء
كالمهل عامل ومن عامل جزء عامل منصوبة على الحال والتقدير خلق هلوعا حين مسه الشر منوعا اذا مسه الخير والمصلين
منصوب على الاستثناء وقوله الا على ازواجهم قيل ان على هنا بمعنى عن والمعنى والتقدير فانهم يلامون على غير ازواجهم من بذل عليه
قوله فانهم غير ملومين عن الزجاج وقيل تقديره الا من ازواجهم فيكون على بمعنى من والمعنى الا من يجوز الفقيه وغيره ابو الحسين
لا يسأل عما اشغله بفتنه قال يعرفهم اي يعرف الكفار بعضهم بعضا صاعقا يتنادون وغير بعضهم من بعض من بان

عباس وقتادة وقيل يريد بهم المعنى عن جماعة اى يسعى الى من اعداء على حالهم من العذاب فيشمت بهم ويسر وقيل يعرفون اتباع
الضلال رؤساءهم وقيل ان الضمير يعود الى الملائكة وقد تقدم ذكرهم اى تعرفهم الملائكة ويجعلون بصرائرهم فيسوقونهم فريقا
الى الجنة وفريقا الى النار يود المجرم اى يتمنى العاصى لو يفتدى من عذاب يوم يسوء بنيه يتمنى سلامتهم من العذاب النازل به
باسلام كل من عليه من اولاده الذين هم اعز الناس عليه وصاحبته اى زوجته التى كانت سكنا له وربيبا اشياعها على ابويه واخيه
الذى كان ناصرا له ومعينا وفصيلته اى عشيرته التى تؤويه فى الشدايد وتضمه ويأوى اليها فى النسب ومن فى الارض جميعا
اى وجميع الخلائق بقول لو يفتدى بجميع هذه الشدايد ثم ينجيه فى ذلك الفداء كلا لا ينجيه ذلك قال الزجاج كلا ردع وتنبيه
اى لا يرجع احد من هؤلاء فيما تدعى انها لظى يعنى انار جهنم او للقصة لظى نزاعة للشوى وصحت لظى لانها تلظى اى تشتعل
ويتلهب على اعلاها وقيل لظى اسم من اسماء جهنم وقيل هى الدركة الثانية منها هى نزاعة للشوى تنزع الاطراف فلا تبقى لحما ولا
جلدا الا احرقته عن مقاتل وقيل تنزع الجلد وام الراس عن ابن عباس وقيل تنزع الجلد واللحم عن العظم عن الضحاك وقال
الكلبى يعنى اكل الدماغ كلما نضج عاد كما كان وقال ابو صالح الشوى يوم القيامة وقال سعيد بن جبير المنكب والعقب وقال
ابو العالية عصب الوجه تدعو اى تهلك من ادبر وتولى يعنى النار تدعو الى نفسها من ادبر عن الايمان وتولى عن طاعة الله ورسوله عن
قتادة والمعنى انها تدعو هذه النار كل كافر فكانها تدعوه فيجيبها كدعائها وقيل ان الله تعالى ينطق هذه النار حتى تدعو غيرها وقيل
معناه تدعوا زبانية النار من ادبر وتولى عن الحق فيفعل ذلك بهم عند دعائها وقيل تدعو النار عن الجبار وقيل تدعو الى تعذيب رعاة البرد
عن الخليل قال يقال دعاك الله اى عذبك وجمع المال فاوعى اى اكثر منه فكنزه فى الوعاء ولم ينفقه فى طاعة الله فلم يؤد زكوته ولم يصل
رحما وقيل جمعه من باطل ومنعه عن الحق ان الانسان خلق هلوعا ثم فسر الهلوع بما هو مذموم منه فقال اذا مسه الخير منوعا يعنى اذا اصابه الفقر كليا يتعتب ولا يصبر واذا اصابه الغنى منعه
من البر ثم استثنى جماعة الموحدين المطيعين فقال الا المصلين الذين هم على صلاتهم دايمون مستمرون على ادايها لا يخلون بها
ولا يتركونها وروى عن ابى جعفر ع ان هذا فى النوافل بقوله والذين هم على صلاتهم يحافظون فى الفرايض والواجبات وقيل هم الذين
لا يزايلون وجوهم عن سمت القبلة عن عقبة بن عامر والزجاج والذين فى اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم يعنى الزكوة المفروضة
والسايل الذى يسأل والمحروم الفقير الذى يتعفف ولا يسأل وقد سبق تفسير هذا وروى عن ابى عبد الله ع انه قال الحق المعلوم ليس بالمكان
وهو الشئ الذى يخرجه من ماله ان شئت كل جمعة وان شئت كل يوم وكل ذى فضل مضطر وروى عنه ايضا انه قال هو الرجل
تصل القرابة وتعطى من حرمك وتصدق على عادك والذين يصدقون بيوم الدين اى يؤمنون بان يوم الجزاء والحساب حق
لا يشكون فى ذلك والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اى خايفون ان عذاب ربهم غير مأمون اى كما لا يأمن حلول عذابه وهم
العصاة وقيل معناه خايفون ان لا يقبل حسناتهم ويعذبون بسيأتهم وقال غيره يأمنون لان المكلف لا يدرى هل ادى الواجب كما
امر به وهل انتهى عن المنهى عنه والمقدر انه اذا ادى ما يعلم ذلك من نفسه لكان آمنا والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم يعنى الذين يحفظون فروجهم عن الحرام على كل وجه وسبب الا على الازواج او ملك اليمين
من الاماء فانهم غير ملومين على ترك حفظ الفروج عنهم فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون اى فمن طلب وراء المباح
له من الفروج فاولئك هم الذين تعدوا حدود الله وخرجوا عما اباحه لهم ومعنى وراء ذلك ما خرج عن حدود اى من اى جهة
كان والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون اى حافظون والامانة ما يؤتمن المرء عليه مثل الوصايا والودايع والمكتوبات
ونحوها وقيل الامانة الايمان والعهد الله على عباده من التصديق بما اوجبه عليهم والعمل بما اوجب عليهم العمل بهما والذين هم
بشهاداتهم قايمون اى يقيمون الشهادات التى يلزمهم اقامتها والشهادة الاخبار بالشئ انه على ما شاهده وذلك انه قد
يكون هو شاهد الحق به وقد يكون هو شاهد ما يدعى له والذين هم على صلاتهم يحافظون اى يصلونها لاوقاتها
واركانها فيؤدونها تامة ولا يضيعون شيأ منها وروى محمد بن الفضل عن ابى الحسن ع انه قال اولئك اصحاب الخمس صلاة

من شيعته او دون زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال هذه الفريضة من صلاها لوقتها ادرك ما ادركت ومن صلاها لغير وقتها او ترك فيها غيرها كتب الله له بصلاته لا يعذبه ومن صلاها لغير وقتها او ترك فيها غيرها فان ذلك اليه ان شاء غفر له وان شاء عذبه اولئك الذين وصفوا بهذه الصفات في جنات اي بساتين فجنة الشيء يكون مغطى مجلل بما يفعل بهم من الثواب فما لهم قال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون تسع آيات القرآن قرأ ابن عامر وحفص وسهل الى نصب بضمتين والباقون الى نصب بفتح النون وسكون الصاد المعجمة قال ابو علي يجوز ان يكون نصب جمع نصب مثل سقف وسقف ورهن ورهن مثل فقال نصب كان بمنزلة اسد ويجوز ان يكون النصب والنصب لغتين كالضعف والضعف وما اشبه ذلك ويكون النشيل كالشغل وشغل وطنب وطنب اللحنة قال الزجاج المهطع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله وذلك من نظر العدو وابو عبيدة الاهطاع الاسراع وعزين جماعات في تفرقة واحدتهم عزة وانما جمع بالواو والنون لانه عوض من قولك سنة وسنون واصل عزة عزوة من عزاه يعزوه اذا اضافه الى غيره فكل جماعة من هذه الجماعات مضافة الى الاخرى قال الراعي اخليفة الرحمن ان عشيرتي امسى سوامهم عزين فلولا قال عنترة وقد قد تركت لدى مكر عليه الطير كالعصب العزينا وقيل ان المحذوف من عزة هاء والاصل عزهة وهو من العزاهة وهو المنفض عن النار وعن اللهبي معهن قال الاصمعي اذا كنت عزاهة عن اللهبي العيسي فكن جرا من يابس الشجر جلدا وعن ابي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم حلق حلق متفرقون فقال مالي اراكم عزين والاجداث القبور واحدها جدث ويجمع بمعناه والاناضي الاسراع والنصب الصنم الذي كانوا يعبدونه قال الاعشى ذا النصب المنصوب لا يتسكنه لعاجة والله ربك فاعبد الاعراب فمال الذين كفروا ما رفع بالابتداء واللام جزمه وفيه ضميره وقبلك في موضع الحال من كفروا او من الجرور على تقدير مثالهم ثابتين قبلك ومهطعين حال من الضمير في قبلك ويجوز في قبلك ان يكون ظرفا للام وان يكون ظرفا لمهطعين ويجوز ذلك يكون مهطعين حالا بعد حال وعن اليمين يتعلق به وعزين حال بعد حال ويجوز ان يتعلق عن اليمين بعزين ومعناه مجتمعين عن اليمين وعن الشمال كانهم الى نصب يوفضون جملة منصوبة الموضع على الحال من قوله سراعا خاشعة ابصارهم حال من الضمير في يوفضون للنصب ثم قال سبحانه على وجه الانكار على الكفار فمال الذين كفروا يعني اي شيء للذين كفروا بتي حيداته اي ما بالهم وما حملهم على ما فعلوا قبلك اي عندك ما حد مهطعين مسرعين اليك عن ابي عبيدة وقيل مطلعين عن الحسن وقيل مقبلين عليك بوجوههم لا يلتفتون عنك اي ناظرين اليك بالعداوة والرأي الذين كفروا هنا المنافقون عن اليمين وعن الشمال اي عن يمينك وعن شمالك عزين اي جماعات متفرقين عصبة عصبة وجماعة جماعة أيطمع كل امرئ منهم اي من هؤلاء المنافقين ان يدخل جنة النعيم كما يدخل اولياؤك المخصوصون بمثل هذا انما قال هذا لانهم كانوا يقولون ان كان الامر على ما قال محمد فانا في الآخرة عند الله افضل منا فلنؤتين مثل ما اوتي المؤمنون كما اعطانا في الدنيا افضل مما اعطاهم كلا اي لا يكون ذلك ولا بد خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة فمن اين يدخل الحسن اي من كان اصله من هذا المهين فكيف يستوجب الجنة باصله وفضله وانما يستوجبها بالاعمال الصالحة ثبه سبحانه بهذا على ان الناس كلهم من اصل واحد وانما يتفاضلون بالايمان والطاعة وتحقيقه انا خلقناهم من المقادير والاجناس فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل النار ومنهم من يصدق ومنهم من يكذب وقيل معناه خلقناهم من الجنس الذين يعلمون او من الخلق الذين يعلمون ويفقهون ويلزمهم الحجة ولم يخلقهم من الجنس الذي لا يفقه كالبهائم والطير وقيل معناه خلقناهم من اجل ما يعلمون من الثواب والعقاب والتكليف والطاعات فيريد للثواب كما يقول القائل غضبت عليك مما تعلم اي من اجل ما تعلم قال الاعشى او مست من آل ليلى ابتكارا شطت على ذي هوى بان تزارا اي من اجل آل ليلى وقوله وشطت على ذي هوى انما يزعم من عذرهم وانما ان يمع من اجلهم للصبر

بهم فلا اقسم هو مضمر في سورة المعارج برب المشارق والمغارب يعني مشارق الشمس ومغاربها فان لها ثلثمائة وستين مشرقا وكل يوم مطلع لا تعود اليه الى قابل عن ابن عباس انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم هذا جواب القسم يعني انا نقدر على ان نهلكهم وناتي بدلهم بقوم آخرين خيرا منهم وما نحن بمسبوقين هذا عطف على جواب القسم اى وان هؤلاء الكفار لا يفوتون ان نقدر على ما نريد بهم بسبق الفوت وما نحن بمسبوقين بمفوتين عما نريد من تعذيبهم وانتقامنا منهم لو سبقوا اعتابنا لسبقوا وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عن الى مسلم مذرهم عن خوضهم في باطلهم ويلعبوا فان ذلك عادتهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيمة يوم يخرجون من الاجداث اى القبور سراعا مسرعين لشدة السوق كانهم الى نصب يوفضون اى كانهم يسعون ويسرعون الى علم نصب لهم عن الضحاك وابي مسلم وقيل كانهم الى اوثانهم يسعون للتقرب اليها هو ابن عباس وقتادة خاشعة ابصارهم اى ذليلة خاضعة لا يستطيعون النظر من هول ذلك اليوم ترهقهم ذلة اى تغشاهم وتلزمهم ذلك اليوم الذي وصفه اليوم الذي كانوا يوعدونه في دار التكليف فلا بد صدقوا به وبوجوده ونحن شاهدون في ذلك الحال سورة نوح عليه السلام مكية عدد آيها ثمان وعشرون آية كوفي تسع بصري ثمان شامي تلثون وفي الباقين اختلفا اربع آيات سلما وادخلوا نارا كلاها خيرا لكوفي وبصري والمدني الاخير اصلا اكيرا مكي والمدني الاول فضلها ابي بن كعب عن النبي صلعم قال ومن قرأ سورة نوح عم كان من المؤمنين الذين يدركهم دعوة نوح ابن عبد الله ع قال من كان نوحي باهله وبيراثه بزداد يدع ان يقرأ سورة انا ارسلنا نوحا فاي عبد قرأها احتسابا صابرا في فريضة او نافلة اسكنه الله مساكن الابرار واعطاه ثلاث حسنات مع جنة كرامة من الله لروزبه ماني هروي واربعة الف ملك ان شاء الله تفسيرها لما اختم الله بحمائر تلك السورة بوعيد اهل التكذيب افتتح هذه السورة بذكر قصة نوح وقومه وما نالهم بالتكذيب تسلية للنبي صلعم فقال بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا اربع عشرة آية اللغة الاستغشاء طلب المغشى والاصرار الاقامة على الامر والوجه عليه والمدرار الكثير الدرور بالغيث والمطر والامداد المحاق الباقي بالاول على النظام حالا بعد حال تقول امده كذا وبعد النهر نهرا خر والاموال جمع المال وهو عند العرب النعم واصل الوقار الثبوت ما يه يكون الشيء عظيما من الحلم الذي يمنع معه الخرق والرجاء بمعنى الخوف قال ابو ذويب ان السعادة لم ترج لسعد ها فيها في ست نوب حوامل الاعراب ان انذر قومك في موضع نصب بارسلنا لان الاصل بان انذر قومك فلما سقطت الباء افضى الفعل وقيل ان موضعه جر وان سقطت الباء وقد تقدم بيانه ويجوز ان يكون ان هي المفسرة بمعنى اي وتجيء بمعنى المصدر فتضع موضع الحال اى دعوتهم مجاهرا لهم بالدعاء الى التوحيد وقوله مدرارا نصب على الحال وقوله لا يرجون لله وقارا جملة في موضع الحال ايضا والعامل في الحال ما في لكم من معنى الفعل وقارا منصوب بانه مفعول به على المعنى اخبر سبحانه عن نفسه فقال انا ارسلنا اى نصرنا ونجا رسولا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم معناه ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا قال الحسن امره ان ينذرهم عذاب الدنيا قبل عذاب الاخرة ثم حكى ان نوحا امتثل ما امره به فقال يا قوم اضافهم الى نفسه فكانه قال انتم عشيرتي فسوقي ما يسوءكم اني لكم نذير مبين اى مخوف بين وجوه الادلة في التوحيد وبيان الدين والتوحيد ان اعبدوا الله واتقوه اى اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتقوا معاصيه واطيعون فيما امركم به لان طاعتي مقرونة بطاعة الله وطاعة الله واجبة عليكم لمكان انعمه السابغة التي لا توازيها نعمة منعم يغفر لكم من ذنوبكم اى وان كرهتم فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ومن مزيدة وقيل ان من هنا للتبعيض والمعنى يغفر لكم ذنوبكم السالفة وهي بعض الذنوب

التى تضاف اليكم ولما كانت ذنوبهم التى مستأنفوها لا يجوز الوعد بغفرانها على الاطلاق لما يكون فى ذلك من الاغراء بالقبيح قيد مجاشع هذا التقييد ويؤخركم الى اجل مسمى وفى هذا دلالة على ثبوت اجلين لانه شرط فى الوعد بالاجل المسمى عبادة الله والتقوى فلما لم يقع ذلك منهم انقطعوا بعذاب الاستيصال بنزول الاجل الاقصى بالاجل الادنى ثم قال ان اجل الله يعنى الاقصى اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون صحة ذلك وانه موعود به وقال الحسن يعنى ما اجل الله يوم القيامة جعله اجلا للبعث وجوز ان يكون هذا حكاية عن قول نوح لقومه ويجوز ان يكون اخبارا منه جهة عن نفسه قال نوح رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الى عبادتك وخلع الانداد من دونك والى الاقرار بتوحيدك فلم يزدهم دعائى الا فرارا اى لم تزدادوا بدعائى اياهم الا فرارا من قبوله ونفارا منه وادبارا عنه وانما سمى كفرهم عند دعائه زيادة فى الكفر لانهم كانوا على كفر وضلال فلما دعاهم نوح الى الاقلاع عن ذلك والاقرار بربوبية الله تعالى فكفروا بذلك كان ذلك زيادة فى الكفر لان الزيادة هى اضافة الشئ الى مثله قد كان حاصلا او حاصلا جميعا فى وقت واحد لم يكن احدهما زيادة على الاخر وانى كلما دعوتهم الى اخلاص عبادتك ليغفر لهم سيأتهم جعلوا اصابعهم فى اذانهم ليلا يسمعوا كلامى ودعائى واستغشوا ثيابهم اى غطوا بها رؤسهم ليلا يروني واصروا على كفرهم واستكبروا استكبارا اى تكبروا وامتنعوا عن قبول الحق من قولهم اصر على الامر بالغ فى عقده عليه فلما كانوا هازمين على الكفر كانوا مصرين وقيل ان الرجل منهم كان يذهب باسر الى نوح فيقول له احذر هذا لا يغوينك فانى قد ذهب ابى الى هذا فلم يزدنى مثل ما حذرتنى عن قتاده ثم انى دعوتهم جهارا اى باعلى صوتى عن ابن عباس وقيل مجاهرة يرى بعضهم بعضا اى ظاهرا غير خفى ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم سرارا اى دعوتهم فى العلانية وفى السر وقيل معناه انى اعلنت جماعة بالدعوة واسررت جماعة ثم اعلنت للذين اسررت لهم واسررت للذين اعلنت لهم ومعناه انى سلكت لهم فى الدعوة كل مذهب ولطفت لهم فى ذلك غاية التلطف فلم يجيبوا فقلت استغفروا ربكم اى اطلبوا منه المغفرة على كفركم بدعائى اياكم ان كان غفارا لكل من طلب منه المغفرة فمهما رجعتم عن كفركم واطعتمونى يرسل السماء عليكم مدرارا اى كثيرة الدرور بالغيث وقيل انهم قد كانوا اخطأوا واسنتوا وهلكت اموالهم واولادهم فلذلك رغبهم فى رفع ذلك الاستغفار مع الايمان والرجوع الى الله قال الشعبى قحط المطر على عهد عمر بن الخطاب فصعد المنبر فاستسقى فلم يذكر الا الاستغفار ثم نزل فقيل له ما سمعناك استسقيت قال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر ثم قرأ هذه الآية وقد كم باموال وبنين اى كثر اموالكم واولادكم المذكور من عطاء وجعل لكم جنات اى بساتين فى الدنيا وجعل لكم انهارا تستقون بها جناتكم قال قتاده علم نبى الله نوح انهم كانوا اهل حرص على الدنيا فقال عليكم بالطاعة الله فان فيها درك الدنيا والآخرة وذكر الربيع بن صبيح ان رجلا اتى الحسن فشكا اليه الجدب فقال له الحسن استغفر الله واتاه آخر فشكا اليه الفقر فقال له استغفر الله واتاه اخر فقال ادع الله ان يرزقنى ابنا فقال له استغفر الله فقلنا اتاك رجال يسألون ابوابا وبنين فلم تأمرهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت ذلك من ذات نفسى انما اعتبرت فى قول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح انه قال لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا الى آخره وروى على بن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن ابيه قال سأل رجل ابا جعفر يعنى وانا عنده فقال له جعلت فداك اى كثر المال ولى ولد فهل لى حيلة قال نعم استغفر ربك سبعين سنة فى اخر الليل مائة مرة فان صنعت ذلك بالليل فاقصر بالنهار فانك تقول استغفروا ربكم الى آخره ثم قال نوح عليه السلام على وجه التبكيت مالكم معاشر الكفار لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون الله عظمه والوقار العظمة اسم من الموصوف هو التعظيم والرجاء المخوف هنا والمعنى لا يعظمون الله حق عظمته فلو جحدوه وعبدوا غيره عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه مالكم لا ترجون له عاقبة عن قتاده اى لا يطمعون فى عاقبة لعظمة الله وقيل معناه مالكم لا ترجون عاقبة الايمان ويجحدون الله عن الزجاج وقيل معناه لا تعتقدون لله اثرا وقيل معناه لا تخافون لله عقابا ولا ترجون فيه ثوابا فى رواية اخرى عن ابن عباس عن ابى مسلم وقد خلقكم اطوارا اى خلقكم طورا نطفة ثم طورا علقة ثم مضغة ثم عظاما كسى العظم لحما ثم انشأه خلقا آخر اثبت له الشعر وكمل له الصورة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل اطوارا

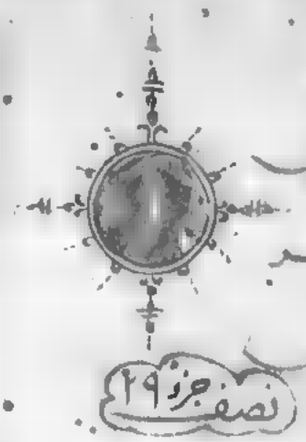

اطوارا حالا بعد حال وقيل معناه صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وقيل خلقكم مختلفين في الصفات اغنياء وفقراء ودمى واضعاء و
طوالا وقصارا والآية محتملة للجميع ثم قرر قدرته بقوله ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل
الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا فيها
سبلا فجاجا قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن
الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما خطيآتهم
اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم
يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين
الا تبارا اربع عشرة آية القراءة قرأ اهل المدينة وودا بالضم والباقون بالفتح وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم والباقون مما خطيآتهم بالمد
واللغات والهمز وقد ذكرنا الاختلاف في ودا وفي سورة مريم الحجة قال ابو عبيدة زعموا ان ودا صنم كان لهذيل الحي من كلب وحكاه بالفتح
قال ويجوز قول الشاعر فحياك ودا من هداك لفتنة وحرص ما علي ذي فضله بعد وقال ابو الحسن صنم اهل المدينة الواو
وعسى ان يكون لغة في اسم الصنم وسمعت هذا البيت حياك ودا الا جعل لنا لهو النساء وان البريق هو الولي مقتوس
خطاياهم جمع التكسير وخطيات جمع التصحيح وما زايدة كالتي في قوله فبما رحمة من الله وقوله مما خطيآتهم سيناقهم اللغة
الفجاج الطرق الواسعة المتفرقة واحدها فج وقيل الفج المسلك بين جبلين والسراج هنا صنم وفي غيره الساعة من الليل ومثله
السمواء والكبار الكبير جدا يقال كبير ثم كبار ثم كبار ومثله عجيب وعجاب وعجاب وحسن وحسان وحسان ويروى ان
اعرابيا سمع النبي صلى بقراءة ومكروا مكرا كبارا فقال ما اقبح ربك يا محمد وهذا من سفاه الاعراب لان الله سبحانه لا يوصف بالقبح
وديارا فيعال من الدور اي وذوي القيام والاصل قيوام وديوار فقلبت الواو ياء وادغمت احداهما في الاخرى قال الزجاج يقال
بالمدار ديار اي ما بها احد يعني في الارض قال الشاعر وما بالي اذا ما كنت حارسنا ان لا يجاورنا الا كرام اي الا لكي يجعل
المتصل موضع المنفصل ضرورة الاعراب طباقا منصوب على احد وجهين ان يكون على تقدير خلقهن طباقا وان يكون نعتا
لسبع اي سبع سموات ذات طباق بناتا مصدر منل بحذف تقديره فنبتكم فنبتم بناتا وقال الزجاج هو محمول على المعنى لان معنى
انبتكم جعلكم تنبتون بناتا وما من قوله مما خطياتهم مزيدة لتاكيد الكلام المعنى ثم خاطب سبحانه المكلفين بمنها لهم على
توحيده فقال المعنى وكيف خلق الله سبع سموات طباقا اي واحدة فوق الاخرى كالقباب وجعل القمر فيهن نورا قيل فيه وجوه
احدها ان المعنى وجعل القمر نورا في السماوات والارض من ابن عباس قال يعني ظهر لما يليهن من السموات ويعني وجهه لاهل
الارض ولذلك الشمس وما يليها الوجه فيهن معهن اي وجعل القمر معهن اي مع خلق السموات نورا لاهل الارض وقيل معنى
فيهن في جوهن وان كان في واحدة فيها كما يقولان في هذه الدور كسرا وان كانت في واحدة منها لان كان في احديهن
كان منهن وكما يقول العرب بنو تميم وانما اتيت بعضهم وجعل الشمس سراجا اي مصباحا يعني لاهل الارض كما كانت الشمس جعل
فيها الضوء لما استضاء به كانت سراجا فهي سراج العالم كما ان المصباح سراج الانسان والله انبتكم من الارض نباتا يعني ابتدا
خلق آدم وآدم خلق من الارض والناس والده وهذا كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقيل معناه انشاكم جميع الخلق واحدا
واحدا بانشاء الارض وسميت بها وقيل معناه انبتكم في الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر ثم يعيدكم اي في الارض احياء
ويخرجكم منها عند البعث احياء اخراجا وانما ذكر المصدر تاكيدا والله جعل لكم الارض بساطا اي مبسوطة لتمكنكم الشي عليها
والاستقرار فيها ثم بين انه انما جعلها لذلك لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة وقيل طرقا مختلفة عن ابن عباس وقيل
سبلة في الصحاري وفجاجا في الجبال وانما عدد هذه الضروب من النعم امتنانا على خلقه ودعاهم الى معرفة الله سبحانه
خالصة من كل شرك ودلالة لهم على انه عالم بمصالحهم ومدبر لهم على ما تقتضيه الحكمة فيجب ان لا تقابلوا هذه النعم الجليلة بالكفر
والجحود ثم عاد سبحانه الى ذكر نوح عليه فقال نوح على سبيل الدعاء رب انهم عصوني فيما امرتهم به ونهيتهم عنه يعني قومه

والبنون ومن لم يزده ماله وولده الا خسارا اى واتبعوا الاخسار قومهم واغرارا بما اتاهم الله من المال والولد فقالوا لو كان هذا رسولا لكان له ثروة وغنى وقرئ ولده بالضم والفتح والوُلد الجماعة من الاولاد والولد الواحد وقيل هما سواء والخسار الهلاك يذهاب رأس المال وقيل معناه اتبع الفقراء والسفلة الرؤساء الذين لم يزدهم كثرة المال والاولاد الا هلاكا فى الدنيا وعقوبة فى الآخرة ومكروا فى دين الله مكرا كبارا اى كبيرا عظيما عن الحسن وقيل معناه قالوا قولا عظيما عن ابن عباس وقيل اجتهدوا على الله وكذبوا رسله عن الضحاك وقيل مكرهم تحريشهم سفلتهم على قتل نوح وقالوا لهم لا تذرن آلهتكم اى لا تتركوا عبادة اصنامكم ثم خصوا اصناما لهم معروفة بعبادتها فى الجاهلية الاولى تعظيما لها فقالوا لا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وهذه اسماء اصنام كانوا يعبدونها ثم عبدتها العرب فيما بعد عن ابن عباس وقتادة وقيل ان هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فنشأ قوم بعدهم يأخذون اخذهم فى العبادة فقال لهم ابليس انهم الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فبدأ عبادة الاوثان كان ذلك الوقت عن محمد بن كعب وقيل كان نوح لحزن حسدائم على جبل يا لهذ ويحول بينه وبين الكفار بلاء ظوفوا بقبره فقال لهم ابليس ان هؤلاء تحزنون عليكم وتزعمون انهم بنو آدم دونكم وانما هو حسد وانا اصور لكم مثله يطيفون به فنحت خمسة اصنام وصنع على هيآتها وهى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فلما كان ايام الغرق ودفن الطوفان تلك الاصنام وطمها الرتاب فلم تزل مدفونة حتى خرجها الشيطان لمشركى العرب واخذت قضاعة ود فعبدته بدومة الجندل ثم توارثها سواع الاكابر فالاكابر حتى صارت الى الكلب فجاء الاسلام وهو عندهم واخذ يطنان من طئ يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا ثم ان بنى ما حى ارادوا ان ينزعوه منهم فقر وا به الى بنى الحرث بن كعب وهما يعوق فكان لكهلان ثم توارثوه الاكبر فالاكبر حتى صار الى همدان واما نسر فكان لحمير بعبدونه واما سواع فكان لآل ذى الكلاع يعبدونه وعن ابن عباس وقتل الدماوان بدم نوح صارت الى العرب فكان ود بدومة الجندل وسواع برهاط لهذيل وكان يغوث لبنى عطيف من مراد وكان يعوق لبنى عطيف من مراد كان يعوث لهمدان وكان نسر لآل ذى الكلاع من حمير وكان اللات لثقيف والعزى لسليم وبعظمان وجشم ونضر بسعد بن بكر واما مناة فكانت لهذيل واما اساف ونائلة وهبل فلاهل مكة فكان اساف حيال لحجر الاسود وكانت نائلة حيال الركن اليمانى وكان هبل فى جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعا من عطاء وقتاده والضحاك وقتال الواحدى كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير وقد اضلوا كثيرا اى اضل بعادتها وسببها كثيرين من الناس فنظير رب انهن اضللن كثيرا من الناس وقيل معناه وقد اضل كبراؤهم كثيرا من الناس عن مقاتل والى مسلم وعلى هذا فان الضمير فى اضلوا يعود الى اكابر قوم نوح والاول اظهر ولا تزد الظالمين الا ضلالا اى هلاكا كما فى قولهم ان المجرمين فى ضلال وسعر وقيل الا عبنا بالمال والولد وقيل الا ذهابا عن الجنة والثواب قال البلخى كانت زيادتهم الا استمرارهم على الطاعات عقوبة لهم على كفرهم فانهم اذا ضلوا استحقوا منع الالطاف التى يتفضل بالمؤمنين فيطيعونه عندها ويسلمون امر الله ولا يجوز ان يفعل بهم الضلال عن الحق والايمان لان ذلك لا يجوز فى صفة الحكيم تعالى الله عن ذلك علما خطايا هم اغرقوا اى من خطاياهم وما مزيدة والتقدير من اجل ما ارتكبوه من الخطايا والكبائر اغرقوا على وجه العقوبة فادخلوا نارا بعد ذلك ليعاقبوا فيها فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اى لم يجدوا احدا يمنعهم من عذاب الله وانما اتى بمن كالغالط المخطئ على معنى الاستقبال لصدق الوعد وقال الضحاك اغرقوا فادخلوا نارا فى الدنيا فى ساعة واحدة كانوا تعرفونه من جانب وتجتمع فى النار من جانب وانشد ابن الانبارى لخلق مجتمع طوارد مفترق والحادثات فنون ذات اطوار لا تقتضى الاضداد اذا اجتمعت فانه يجمع بين الماء والنار وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اى نازل ولا تدع منهم احدا الا اهلكته قال قتادة دعا بهذا عليهم الا بعد ان اوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فعند ذلك قال انك ان تذرهم يضلوا عبادك ان تركتهم ولم تهلكهم فتضلوا عبادك عن الدين بالاغواء والدعاء الى خلافه ولا يلدوا الا فاجرا كفارا والا فلم يعلم نوح الغيب وانما قال ذلك بعد ان اعلمه الله اياه والمعنى لا يلدوا الا من يكون عند بلوغه كافرا لان الله لا يدع على الكفر ثم يقع منه فعل الكفر

وقال مقاتل والربيع وعطاء انما قال ذلك نوح ع لان الله تعالى اخرج من اصلابهم كل من يكون مؤمنا واعقم ارحام نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة واخبر الله تعالى نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعاءه فاهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب ثم دعا لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فقال رب اغفر لي ولوالدي واسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه سمحاء بنت انوش وكانا مؤمنين وقيل يريد آدم وحواء ولمن دخل بيتي مؤمنا اي دخل داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي وقيل يريد بيت محمد صلعم وللمؤمنين والمؤمنات عامة وقيل من امة محمد عن الكلبي ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا ودمارا قال اهل التحقيق دعا نوح ع دعوتين دعوة على الكافرين ودعوة للمؤمنين فاستجاب الله دعوته على الكافرين فاهلك من كان منهم على وجه الارض ونرجو ان يستجيب ايضا دعوته للمؤمنين فيغفر لهم

سورة الجن مكية ثمان وعشرون آية فضلها ابي بن كعب عن النبي صلعم قال من قرا سورة الجن اعطي بعدد كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة حنان بن سدير عن ابي عبد الله ع قال من اكثر قراءة قل اوحي لم يصبه في حيوة الدنيا شيء من اعين الجن ولا من نفثهم ولا من كيدهم وكان مع محمد واله فيقول يا رب لا اريد بهم بدلا ولا اريد عنهم حولا تفسيرها لما ختم في سورة نوح اتباع قومه اكابرهم افتتح سبحانه في هذه السورة اتباع الجن منشاء ليعلم الفرق بين من ربحت صفقته ومن خسرت بيعته فقال

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا عشر آيات

خمس عشر

القراءة قرا ابو جعفر قل احي الي انه استمع بفتح الالف ولم يختلفوا فيه وقرا في الآية الثالثة وانه تعالى بالفتح وفي الرابعة انه كان يقول بالفتح وفي السادسة وانه كان رجال بالفتح ويقرا ما سواها بالكسر الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فلم يقرا هذه الثلثة بالفتح وقال الزجاج عنده ما كان مردودا على الوحي فهو ان بالفتح وما كان من قول الجن فهو بالكسر وهذا قول غير مستقيم على ما يمكن ان يكون فيقع خلل في روايته وقرا ابن عامر واهل الكوفة غير ابي بكر بالفتح من قوله وانه تعالى الى قوله وانا منا المسلمون وقرا الباقون كله بالكسر الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد فانهما بالفتح لم يختلفوا فيهما وقرا نافع وعاصم برواية ابي بكر وانه لما قام بالكسر والباقون بالفتح وقرا يعقوب ان لن تقول بتشديد الواو وفتحها وفتح القاف وروي ذلك عن الجحدري والحسن والباقون لن تقول بالتخفيف وفي الشواذ قراءة جوية بن عائذ قال احي الي على وزن فعل الحجة قال ابو علي اما قوله ان لو استقاموا فانه يجوز فيه امران احدهما ان يكون المخففة من الثقيلة فيكون محمولا على الوحي كانه اوحي الي ان لو استقاموا وفصل لو بينها وبين الفعل كفصل السين ولا في قوله افلا يرون ان لا يرجع وعلم ان سيكون والاخر ان يكون بمنزلة اللام في قوله لئن لم ينته المنافقون الى قوله لنغرينك بهم وقوله لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فلحق مرة وسقط اخرى لان لو بمنزلة فعل الشرط فكما لحقت اللام زايدة قبل ان الداخلة على الشرط كذلك لحقت ان هذه قبل لو ومعنى ان لو استقاموا على الطريقة وقد قيل فيه قولان احدهما لو استقاموا على طريقة الهدى والاخر لو استقاموا على طريقة الكفر ويستدل على القول الاول بقوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ويستدل على القول الاخر بقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة واما قوله وان المساجد فزعم سيبويه ان المفسرين حملوه على اوحي كانه قال اوحي الي ان المساجد لله ومذهب الخليل انه على قوله ولان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا قوله وان هذه امتكم على قوله ولان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون ومثله قول الخليل لايلاف قريش كانه قال لهذا فليعبدوا وقال سيبويه ولو قرى وان المساجد

بالكسر

بالكسر لكان بعيدا فاما قوله وانه لما قام عبد الله فانه على اوجه الى ان يكون معناه لما قام عبد الله وبيانه بما يجوز ان يقع به القطع من اوجه في قولهم والله لجهد من عذا الحمل ولئن اذى من قوله وانه لما قام عبد الله ومن قوله كاد زيد يقتل فانه الحمل على اوجه يجوز ان يكون على غيره كما حمل النحويون قول الله عز وجل على ما ذكرناه عنهم فاما ما جاء من ذلك بعد قولك ما كاد يفعل كقول الله تعالى لقد كادوا يفتنونك عن الذي اوحينا اليك ولقد كادوا ليستفزونك من الارض وقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فانه يخالف ما ذكرنا من ذلك من وجهين احدهما ان ما جاء من ذلك بعد قولك ما كاد يفعل انما هو على الاستقبال وما جاء بعد قولك كاد يفعل انما هو على الماضي والوجه الآخر ان ما جاء بعد قولك ما كاد يفعل انما هو على الاخبار عن نفي مقاربة الفعل بعد وجوده وما جاء بعد قولك كاد يفعل انما هو على الاخبار عن مقاربة الفعل قبل وجوده فاما قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فانه يخالف ما ذكرنا من وجهين احدهما ان ما جاء من ذلك بعد قولك ما كاد يفعل انما هو على الاستقبال وما جاء بعد قولك كاد يفعل انما هو على الماضي والوجه الآخر ان ما جاء بعد قولك ما كاد يفعل انما هو على الاخبار عن نفي مقاربة الفعل بعد وجوده وما جاء بعد قولك كاد يفعل انما هو على الاخبار عن مقاربة الفعل قبل وجوده فاما قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فانه يخالف ما ذكرنا من وجهين احدهما ان ما جاء من ذلك بعد قولك ما كاد يفعل انما هو على الاستقبال وما جاء بعد قولك كاد يفعل انما هو على الماضي والوجه الآخر ان ما جاء بعد قولك ما كاد يفعل انما هو على الاخبار عن نفي مقاربة الفعل بعد وجوده وما جاء بعد قولك كاد يفعل انما هو على الاخبار عن مقاربة الفعل قبل وجوده

الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا
الى قومهم وقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي
انه استمع نفر من الجن وهذا البخاري ومسلم ايضا في الصحيح وعن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود من كان منكم
مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال ما كان معه منا احد فقدناه وذات ليلة ونحن بمكة فقلنا اغتيل او استطير او اغتيل
فطلبناه في الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء فقلنا يا رسول الله اين كنت لقد استفقنا عليك وقلنا له بتنا الليلة شر
ليلة بات قوم حين فقدناك فقال اتاني داعي الجن فذهبت اقرئهم القرآن فذهب بنا فارانا آثارهم ونيرانهم
وسألوه ان يكون حمله منا احد فلم نحمله وعن ابي رزين قال هم تسعة نفر من الجن وقال ابو حمزة الثمالي جاءنا النفر من جن
نصيبين وهم اكرم الجن جدا وهم عامة جنود ابليس وقيل كانوا سبعة نفر من جن نصيبين رآهم النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من الطائف
الى سائر الجن وانه تعالى جد ربنا اما الجد فالحظ والغنى والمعنى الاختيار كما سيأتي لا نزهن قول الجن لقومهم وهو معطوف على قوله
قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا اي وقالوا ان تعالى جد ربنا وقال الفراء من فتح فمعناه وآمنا بانه تعالى جد ربنا وكذلك
ما كان بعده فمعناه ان نوحد الايمان عليه والمعنى تعالى جلال ربنا وعظمته عن اتخاذ الصاحبة والولد عن الحسن ومجاهد
وقيل معناه تعالت صفات ربنا التي هي له خصوصا وهي الصفات العالية التي ليست للمخلوقين عن ابي مسلم وقيل معناه
جل ربنا في صفاته فلا يجوز عليه صفات الاجسام والاعراض عن الجبائي وقيل تعالى قدره وبنا عن ابن عباس وقيل تعالى
ذكره عن مجاهد وقيل فعله وامره عن الضحاك وقيل علا ملكه وبنا عن الاخفش وقيل تعالى آلاؤه ونعمه على الخلق عن الفراء
والجميع يرجع الى معنى واحد وهو العظمة والجلال على ما تقدم ذكرهما ومنه قول انس بن مالك كان الرجل اذا قرأ البقرة
جد في اعيننا اي عظم وقال الربيع بن انس انما قال الجن ذلك لان الله تعالى جد وانما قاله الجن جهلا منهم فحكاه سبحانه كما قالت وروي
ذلك عن ابي جعفر الباقر وابي عبد الله الصادق رضي الله عنهما وانما كان يقول سفيهنا على ما حكانا على الله شططا اراد واسمهم ابليس عن
مجاهد وقتادة والشطط السرف في ظلم النفس والخروج عن الحق فاعترفوا بان ابليس كان يخرج عن الحد في افتراء الخلق وادعائهم
الى الضلال وقيل شططا اي قولا بعيدا من الحق وهو الكذب في التوحيد والعدل وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
اعترفوا بانهم ظنوا ان لن تقول المعربون الانس والجن كذبا على الله في اتخاذ الشريك معه والصاحبة والولد اي حسبنا ان ما
تعاونوه من ذلك صدق وانا على حق حتى سمعنا القرآن وسمنا الحق بر وفي هذا دلالة على انهم كانوا مقلدة حتى سمعوا الحجة و
انكشف لهم الحق فرجعوا عما كانوا عليه وفيه اشارة الى بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن اي يعتصمون ويستجيرون وكان الرجل من العرب اذا نزل الوادي في سفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من
شر سفهاء قومه عن الحسن ومجاهد وقتادة وكان هذا منهم على حسب اعتقادهم ان الجن تحفظهم قال مقاتل والاول اولى من تعوذ بالجن
قوم من اليمن ثم من حنيفة ثم فشا في العرب وقيل معناه انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من اجل الجن ومن معه الجن من
البلق قال لان الرجال لا يكون الا في الناس وقال الاولون في الجن رجال مثل ما في الناس فزادوهم رهقا اي فزاد الجن الانس اثما الى
اثمهم الذي كانوا عليه من الكفر والمعاصي عن ابن عباس وقتادة وقيل رهقا الى طغيانا عن مجاهد وقيل فزادوهم خوفا عن الربيع وابن زيد
وقيل شرا عن الحسن وقيل زادوهم ذلة وضعفا قال الزجاج لجواز ان يكون الانس والذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا الجن رهقا
وذلك ان الجن كانوا ان زادوهم طغيانا في قولهم هذا التصور فيقولون سدنا الجن والانس ويجوز ان يكون الجن زادوا الانس رهقا
وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا فقيل معناه قال مؤمنو الجن لكفارهم ان كفارا الانس يعوذون برجال من الجن في الجاهلية
حسبوا كما حسبتم يا معشر الجن ان لن يبعث الله رسولا بعد موسى او عيسى وروي هذا ان الجن لما سمعوا القرآن
آمنوا واهتدوا بعد فانتم معاشر العرب اولى بالتفكر والتدبر لما تشاهدون وتسمعون ان الرسول من جنسكم ولسانه لسانكم وقيل ان هذه الآية
مع ما قبلها اعتراض من اخبار الله تعالى يقول ان الجن ظنوا كما ظننتم معاشر الانس ان الله لا يبعث احدا يوم القيامة وكما حسبتم

حشر
عشر ١١

عذاب عذابا مطلقا كما مر والصعد الشاق الصعب وهو المصعد في العظم ومنه تنفس الصعداء والصعود الجبل الوعر والشاق المصعب قال مجاهد في غمار الجاهلية عن الحق الذين آمنوا عند سماع القرآن وأما نحن المصلحون وهم الذين على الصلاة المخلصون بها وذلك اي وقت الصالحين في الرتبة عن ابن عباس وقتادة ومجاهد كنا طرائق قددا اي فرقا شتى على مذاهب مختلفة واهواء متفرقة من مسلم وكافر وصالح ودون الصالح عن ابن عباس ومجاهد وقيل قدد الملل واشتى مختلفين من سعيد بن جبير والحسن وقيل فرقا متباينة كل فرقة بتباين صاحبتها كما يجيء الحقد عند بعضهم من بعض قال السدي لعل اشاكلكم فيهم قدرية ورجئة وروافضه وشيعة وانا ظننا اي علمنا وتيقنا ان لن نعجز الله في الارض اي لن نفوته ان اراد بنا امرا وليس نعجزه هربا اي انا ندرك كنا وانا لما سمعنا الهدى اشارة الى القرآن او الى ما سمعوا القرآن الذي فيه الهدى صدقنا به قالوا ولن نؤمن بربنا اي نصدق توحيد ربنا ونعزم على صيانة فلا يخاف بخسا اي نقصانا فيما يجازى به ولا رهقا ولا كثيرا اذ ذاك اذ اجرم مؤثر على الغير ما يمكن فيه وقيل بخسا فلا يخاف نقصان حسناته ورهقا زيادة في سيئاته عن ابن عباس وقتادة والحسن وابن زيد قالوا الا ان الجنس القصاص والرهق العدوان وهذا حكاية عن قوة ايمان الجن وصحة اسلامهم ثم قالوا واما منا المسلمون الذين استسلموا لامر الله سبحانه بالانقياد وذلك دين القاسطون اي الجائرون عن طريق الحق فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي توخوا الرشد في امورهم تحريا والقسط الصواب والعدل وتعمدوا الصائبة لحق وليسوا كالمشركين الذين الفوا ما يدعوهم اليه الهوى وزلفوا عن طريق الهدى واما القاسطون العادلون عن طريق الحق والذين وكانوا في علم الله وحكمه جهنم حطبا تلقوف فيها فيحترقون فيها كما يحترق الحطب ليكون معناه فسيكونون لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد النار بالحطب وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا هذا ابتداء حكم من الله تعالى اي لو استقام الجن والانس على طريقة الايمان عن ابن عباس والسدي وقيل اراد به مشركي مكة اي لو آمنوا واستقاموا على الهدى لاسقيناهم ماء كثيرا من السماء وقت ذلك بعد ما رفع المطر عنهم بسبع سنين عن مقاتل وقيل لو ثبتوا واستقاموا لوسعنا عليهم في الدنيا وخرب الدار التفرق مثلا لاصابة الخير كله والرزق يكون في المطر وهذا كقوله ولو انهم اقاموا التوراة الى قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقيل معناه لو استقاموا على طريق الكفر وكانوا كفارا كلهم لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم تغليظا للمحنة في التكليف وذلك قال لنفتنهم فيه اي لنختبرهم بذلك عن الفراء وهو قول الربيع والكلبي والثمالي وابن مسلم وابن عمر وعبيد بن عمير فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم الآية وقيل لنفتنهم معناه لنعاملهم معاملة المختبر في شدة التعبد بتكليف الانصراف عما تدعوهم اليه وفي ذلك المحنة الشديدة وهي المعاقبة والمثوبة على تدبر المشتقة في الصعود عما تدعو اليه الشهوة وروي عن عمر بن الخطاب انه قال في هذه الآية اما كان الماء كان المال واما كان المال كانت الفتنة وقيل معناه لنختبرهم كيف يكون شكرهم الضحاك عن سعيد بن المسيب وقتادة ومقاتل والحسن والاولى ان يكون الاستقامة على الطريقة محمولة على الاستقامة في الدين والايمان لانها لا يطلق الا على ذلك ولانها في موضع التلطف في الاستدعاء الى الايمان فالحث على الطاعة وفي تفسير اهل البيت روضه عن ابي بصير قال قلت لابي جعفر يصف قول اصحاب الدين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هو والله ما انتم عليه ولو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ومن بريد العجلي عن ابي عبد الله عليه السلام قال معناه لاذقناهم عدلا كثيرا يتعلق درس الائمة ثم قال سبحانه على وجه التهديد والوعيد ومن يعرض عن ذكر ربه اي ومن يعدل عن الفكر فيما يؤديه الى معرفة الله وتوحيده والاخلاص في عبادته وقيل عن شكر الله على طاعته نسلكه عذابا صعدا اي يدخله عذابا شاقا شديدا استصعدا في العظم وانما قال يسلكه كما تقدم ذكر الطريقة وقيل معناه عذابا صعدا اي زاهقة قال الله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اقتدوه وكان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وقتادة وابن زيد وروى ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام قال المساجد مواضع السجود من الانسان وهي الجبهة والكفان واطراف الركبتين وابهامي الرجلين وثبت الركب وهي سبعة اعضاء اذا وضعها ساجدا فقد

المشركون

عشر

اشد وطأ لخشوع وطأ اى موافقة وسلامة ومنه ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا والحق ان مواطئة الليل وعلى ناشئة الليل من اعلى السمع القلب فيها اكثر مما تعلى فى ساعات النهار كلا ان الليل للفراغ اكثر مما تشتغل بالنهار وعن وطأ فلعنى انه اشق على الانسان من القيام بالنهار لان الليل كثيرا ما يشتغل بالنهار وعن قتادة معناه اثقل على الانسان لما يحدث السكون ويجلب فى الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر واقوم قيلا اى اشد استقامة وعصم الفراغ البالى وانقطاع ما يشغله قال ابن عباس وقع بكل قرآن موضع مستقيم والمناشئة ما حدث فى ساعات الليل والرفع فى حسب الشرف يجعل امرئ احدها انه قال واذكر اسم ربك فقطعه من الاول فقال هو رب المشرق فيكون خبر مبتدا محذوف والاظهر ان يكون مبتدا وخبره الجار التى هى لا اله الا هو وعز نصلى لجماعة قوله اسم ربك واما قوله المزمل بتخفيف الزاى فعلى حذف المفعول به اى المزمل نفسه والمدثر نفسه وحذف المفعول كثير قال الخطيب منه نصلى اليك منها كصوتك ان راشر جبى اى يصوب حديثا وخزنه كتجلى الشفرى كان لها فى الارض شيئا نقصه على اصحابه اى تكلم سئلت وعن قراءة الليل بضم فيكون ان يكون منه للاتباع اللغة المزمل المتزمل فى ثيابه ادغم التاء فى الزاى لان الزاى قريبة المخرج من التاء هى الذى فى السوح من الثياب وكل شئ لففت فيه فقد تزمل قال امرؤ القيس كان ثيابى فى سراة حمارة وبله كبير فى اناس فى بحاد مزمل والنصف احد قسمى الشئ المساوى للاخر فى المقدار كان الثلث جزء من ثلاثة والربع جزء من اربعة وهذه من صفات الاجسام واذا نعتت التاليفات عنها بقيت اجراء لا توصف بان لها نصفا او ثلثا او ربعا والعرض لا يوصف بالنصف والجزء والقديم لا يوصف ايضا بذلك لانه جزء عبارات من موقفات على وجوه فان قيل فاذا وجب ان لا يكون وصف القديم جائزا بانه واحد مدحا فالجواب ان معنى قولنا انه واحد اختصاصه بصفات لا يشتركها غيره وهى كونه قادرا عالما لذاته قديما وكذلك واذا قيل انه لا يجرى لم يمدح الا ان يقال انه حى لا يجرى بخلاف غيره من الاحياء والمزمل ترتيب الحروف على حدها فى تلاوة وتناسب فيها والمد هو الاسراع فيها وكلاهما حسن الا ان المرتل هنا هو المرغب فيه والاقلال مثل السابقة تقول العيت على فلان مسئلة والاقوم الاخلص استقامة والسبح القلب ومنه السابح فى الماء لتقلبه فيه وقرأ بعضهم بعد والضحاك بعد اطويلا بالخاء معناه والتهيؤ لعبه يقال بخت الفطن اذا وسمته للذبح ومنه قول النبى صلعم لعايشة وقد جعلها مذبوحا على سارق لا تبخى عنه بدعائك عليه اى لا تخفى ويقال لقطع القطن اذا ضفف سابح قال الاخطل بصف الغاضى والكلاب فارسلوهن تعدو المراب كالذرى سابح قطن نوفا وقار وقال ثعلب السبح التردد والاضطراب والسبح السكون ومنه قول النبى صلعم الحى من سبح جعفر نسبحها بالماء اى اسكبوها والتبتل الانقطاع الى الله عز وجل واخلاص العبادة له قال امرؤ القيس تضئ الظلام بالعشى كانه منارة ممسى راهب متبتل فاصله من سلت الشئ قطعته وصدقة بتلة اى بائنة منقطعة من صاحبها الا سبيل له عليها وفيها البتول لانقطاعها الى عبادة الله عز وجل الاعراب الليل نصب على الظرف الا قليلا نصب على الاستثناء تقديره الا شيئا قليلا منه لا تقم فيه ثم بين المقدر فقال نصفه قال الزجاج ان نصفه بدل من الليل كما تقول ضربت زيدا راسه فانما ذكرت زيدا لتؤكد الكلام وهو اكد من قولك ضربت راس زيد فالمعنى قم نصف الليل الا قليلا او انقص من النصف او زد على النصف وذكر او انقص منه قليلا يعنى الا قليلا واكسر ذكر مع الزيادة فالمعنى قم نصف الليل او انقص من نصف الليل او زد على نصف الليل المعنى يا ايها المزمل معناه يا ايها المتزمل بثيابه المتلفف بها عن قتادة وقيل يا ايها المتزمل بحب النبوة اى المحمل اثقالها عن عكرمة وقيل معناه يا ايها النائم وكان قد نزل عليه النوم عن السدى وقيل كان يتزمل بالثياب فى اول ما جاءه جبرئيل عليه خوفا حتى انس به فناداه خوطب بهذا فى بدء الوحى ولم يكن قد بلغ شيئا ثم خوطب بعد ذلك بالنبى والرسول قم الليل للصلوة الا قليلا والمعنى صل بالليل قليلا من الليل قال القيام بالليل عبارة عن الصلوة بالليل نصفه هو بدل من الليل فيكون بيانا للمستثنى منه اى قم نصف الليل ومعناه حصل من الليل النصف الا قليلا وهو قوله او انقص منه قليلا اى من النصف او زد عليه على النصف

وقال المفسرون او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد على النصف الى الثلثين وقيل ان نصفه بدل من القليل لكون
بيانا للمستثنى والمعنى قم اكثر الليل وهو معنى قول الصادق ره عن الصادق ره قال القليل النصف او انقص من القليل قليلا
او زد على القليل قليلا وقيل معناه قم نصف الليل الا قليلا من الليالي وهي الليالي المعذر كالمرض وغلبة العدو وخوفها
او انقص من النصف قليلا على التخيير وعليه ذكره الامام عليه السلام الطيبي رحمه الله خير الله سبحانه نبيه في هذه الساعات القيام
بالليل وجعله موكولا الى رايه وكان النبي صلعم وطايفة من المؤمنين معه يقومون على هذه المقادير وشق ذلك عليهم وكان
الرجل فهم لا يدري كم صلى وكم بقي من الليل وكان يقوم الليل كله فانزل الله التخفيف الواجب حتى خفف الله عنهم باخر
هذه السورة وعن قتادة عن زرارة بن اوفى عن سعد بن هشام قال قلت لعايشة انبيني عن قيام رسول الله صلعم فقالت
بلى انا صم واجعا يحول الله خاتمها اثني عشر شهرا في السما حتى انزل الله في اخر هذه السورة التخفيف فصار
قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقيل كان بين اول السورة واخرها الذي نزل فيه التخفيف عشرين عن سعيد بن
جبير وقيل كان هذا بمكة قبل فرض الصلوات الخمس ثم نسخ بالخمس عن ابن ليسار ومقاتل وقيل لما نزل اول المزمل كانوا يقومون
نحو اسوة قيامهم في شهر رمضان فكان بين اولها واخرها سنة عن ابن عباس وقيل ان الآية الاخيرة نسخت الاولى عن الحسن
وعكرمة وليس في ظاهر الايات ما يقتضي النسخ لاحتمال ان يكون الكلام على ظاهره فيكون القيام بالليل سنة مؤكدة غير فريضة
وليس بفرض ودليل القرآن ترتيلا دعا نبيه عليه السلام وامره بها وخصه بالذكر من بين الانبيا وخصه من عباس قال الزجاج والبيان
لا يتم بان يعجل في القراءة اعتام بان سيبويه جميع الحروف وتوفي حقها من الاشباع قال ابو حمزة قلت لابن عباس اني رجل
قارئ وفي كلامي عجلة فقال لابن عباس كان اقرأ البقرة او ثلثها اعجب الي من ان اقرأ القرآن كله وقيل معناه رسل فيه ترسلا
عن مجاهد وقيل بينه تبيينا عن قتادة وروي عن امير المؤمنين رضي الله عنه انه قال بينه تبيانا كما تهذه هذا الشعر
ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرع به القلوب القاسية ولا تكونن هم احدكم آخر السورة وعن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا مررت بآية
فيها ذكر الجنة فسل الله الجنة واذا مررت بآية فيها ذكر النار فتعوذ بالله من النار وقيل الترتيل هو ان يقرأ على تؤدة وتمكث
بلا تغبير ولا تعط ولا تقدم حرفا وهو ما عنوه من ترتيل الاسنان اذا استوت وحسن انطاقها وشرل اذا كانت اسنانه
مستوية لا تفاوت فيها وقيل رتل معناه ضعف والرتل اللين من قطربه قال والمراد به تدبر القرآن اي اقرأه لتفهم معانيه
وبعضده ما رواه ابو بصير عن ابي عبد الله ع في هذا قال هو ان تمكث فيه وتحسن به صوتك وروي عن ام سلمة انها قالت
كان رسول الله صلعم يقطع قرآءته آية آية ثم يقف قال كان عبد حمزة يداري عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلعم يقال
لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر آية تقرأها انا سنلقي عليك قولا ثقيلا اي سنوحي
اليك قولا عظيما عليك وعلى امتك اما ثقله عليه فلما فيه من تبليغ الرسالة وما يلحقه من الاذى فيه وما يلزمه من القيام
الليل ومجاهدة النفس وترك الراحة والدعة واما ثقله على امته فلما فيه من الامر والنهي والحدود وهذا معنى قول قتادة
ومعناه ثقيل على الكافرين قال ابن زيد هو كقوله تعالى وكانوا يقولون في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة وقيل ثقيلا لا تحمله الا قلب
موجب التوفيق ونفس مؤيدة بالتوحيد وقيل ثقيلا ليس بالشعر الخفيف لانه كلام ربنا جلت عظمته عن الشعر وقيل لما
كان عظيم الشان كما يقال هذا كلام رصين وهذا كلام له وزن اذا كان واقعا موقعه وقيل ثقيلا تزعله فان صليم
كان صغير حال ربما زعله وربما ترق واذا كان راكبا تبرك راحلته ولا يستطيع المشي وسأل الحرث بن هشام رسول الله صلعم
فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي فيفصم عني وقد وعيت
ما قال واحيانا يتمثل الملك رجلا فاعي ما يقول قالت عايشة انا نزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا فقيل ثقيلا على الكافرين لما فيه من
الكشف عن جهلهم وضلالهم وسفه احلامهم وفتح فضايحهم ان ناشية الليل هي اشد وطأ معنا ان ساعات الليل

نصف الحزب خمس

لا يسيغها كلما يقال غص بريقه فيغص غصصا وفي قلبه غصة من كذا وهي كالمدغة لا يسوغ معها الطعام والشراب
قال الحسن بن يزيد اي بغير الماء حلق شرق كتشرق كالغصان بالماء اعتصابي والمنيب الرجل المجتمع الكثير وهلت الرمل
اهيله هيلا نهوى سهيلي اذا جرى اسفله فسال اعلاه ومنه الحديث كيلوا ولا تهيلوا وكل شيء ارسلته من يدك فقد هلته
اي ستوخ لا يستر المتعلم ومنه الويل والويل هو المطر العظيم القطر ومنه الويال وهو ما يغلظ على المنتن والويل
ايضا الخليط من الطعن والطرد وقد ورد كهات ذات حنف حلا لم عقيله شيخ كالوبل بلبد المحنف ثم قال سبحانه
مهددا للكفار تحذرني يا محمد والمكذبين الذين يكذبونك فيما تدعوهم اليه من التوحيد والعبادة وفي البعث والجزاء
هذا كما يقول القائل وهو اياك اذا اراد ان يهدده وهو يخيف على انه مفعول معه اولي النعمة يعني المنعمين ذوي الثروة
في الدنيا المتكل جزاهم الى ولا تشغل قلبك بهم وانعمهم قليلة وهذا ايضا يهددهم ولم يكن الا يسيرا حتى كانت
وقعة بدر والمعنى والزمهم في المدة قليلا قال مقاتل نزلت في المطعمين ببدر منهم عشرة وكرامهم في الانفال وقيل نزلت
في مصاديد قريش والمستهزئين ان لدينا انكالا اي عندنا في الاخرة قيودا عظاما لا انفك ابدا عن جهنم قتادة وقيل
اغلالا بلغة حمير وهو اسم من اسماء جهنم وقيل نعمي ونار عظيمة ولا يعني القليل بدا وطعاما ذا غصة اي ذا شوك يأخذ الحلق
فلا يدخل ولا يخرج عن ابن عباس وقيل طعاما ذا خدش الحلقوم لخشونته وشدة مكروهه وقيل يعني الرقوم والضريع
وروي عن عمران بن ابي ليلى عن عبد الله بن ابي مليكة مع قاريا يقرأ هذا فصعق وعذابا اليما اي مقيما وموجعا مؤلما
ثم بين سبحانه متى تكون ذلك فقال اليوم ترجف الارض اي تتحرك باضطراب شديد والجبال اي تتزعزع الجبال بعدها
ايضا تضطرب من عليها وكانت الجبال كثيبا مهيلا اي اصلا سايلا مارا عن ابن عباس وقيل الكثيب الذي اذا
وطيء اقدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهار اعلاه عن الضحاك والمعنى ان الجبال تتلاع من اصولها فتصير
بعد صلابتها كالرمل السايل ثم اكد سبحانه الحجة على اهل مكة فقال انا ارسلنا اليكم رسولا يعني محمدا شاهدا عليكم كي
يشهد عليكم في الآخرة ما يكون منكم في الدنيا كما ارسلنا الى فرعون مصر رسولا يعني موسى بن عمران عم فعصى فرعون الرسول
ولم يقبل منه ما دعاه اليه فاخذناه بالعذاب اخذا وبيلا اي شديدا ثقيلا مع كثرة جنوده وسعة ملكه يعني الغرق وهذا
سبحانه ان سألهم مثل ما سأل فرعون وقومه فكيف يتقون ان كفرتم يا امة محمد في الدنيا اي ان جحدتم نبوته يوما اي عقاب يوم يجعل
الولدان شيبا وهو جمع اشيب وهذا وصف لذلك اليوم وشدته كما يقال هذا امر يشيب منه الوليد وتشيب منه
النواصي اذا كان عظيما شديدا والمعنى ما اي شيء تحصنون من عذاب ذلك اليوم ان كفرتم وكيف تدفعون عنكم ذلك
قال النابغة سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد اي دفعتنا ثم زاد سبحانه تخويفا ووصف شدة ذلك
اليوم فقال السماء منفطر به اي به تعود الى اليوم وهذا كما يقال نادى بالكوفة اي هو فيها والمعنى ان السماء تنفطر
وتشقق في ذلك اليوم من هوله وقيل لسبب ذلك اليوم وهوله وشدته وقيل بأمره وقدرته ولم يقل منفطرة لان
لفظة السماء مذكر فيجوز ان تذكر وتؤنث فمن ذكر اراد السقف وقيل معناه ذات انفطار كما يقال امرأة مطفل اي
ذات اطفال وموضع ذات رضاع فيكون على طريق النسبة كان وعده مفعولا اي كائنا لا خلف فيه ولا تبديل ان
هذه الصفة التي ذكرناها وسمناها تذكرة اي عظة لمن انصف من نفسه والتذكرة الموعظة التي تذكر بها ما يجهل
عليه فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شاء من المكلفين اتخذ الى ثواب ربه سبيلا لانه قادر على الطاعة التي لو فعلها
وصل الى الثواب وتقدير به الله تعالى فيه وهو ما لو فعله اليه وبعث رسولا يدعو اليه فمن لم يصل اليه فعسرا
احصاره اخر هذه قوله تعالى إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ
مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ
وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

عشر (١٢)

الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان
الله غفور رحيم ١٢ آية واحدة القرآن قرأ ابن كثير واهل الكوفة ونصفه وثلثه بالنصب والباقون بالجر بالكسرة قاله ابو علي
فالنصب حمل على ادنى ما ذكر في موضع نصب قال ابو عبيدة انك ان ذهبت تذكر ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم
نصفه وثلثه ومن هو قائم معك على الجار قال ابن الحسن وليس المعنى عليه فيما ذهبا اليه لان المعنى يكون على ادنى من نصفه واوفى من ثلثه
قال والذي اختاره من الثلثة والله اعلم قوله تعالى ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه على ان يكون المعنى انكم لم تروا ما فرض عليكم
الا دون ما ذكرنا من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ثم خاطب جماعتهم فقال ان ربك يا محمد يعلم انك تقوم
ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه اي اقرب من ثلثي الليل ونصفه وثلثه اي واقل من نصفه وثلثه وانما يقوم ادنى من ثلثي الليل اذا نصف الليل
وثلث الليل والمعنى انك تقوم في بعض الليالي قريبا من الثلثين وفي بعضها قريبا من نصف الليل وقريبا من ثلثه ويقال ان
الله تعالى قد علم انك تقوم في بعض الليالي قريبا من الثلثين وبعضها قريبا من نصف الليل وقريبا من ثلثه ويقال ان
من عالمين سيطيقون على الابعاد وروى حاكم ابو القاسم ابراهيم السكاني باسناده عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله
وطائفة من الذين معك قال هذا فعل اصحابه ثم قال والله يقدر الليل والنهار اي يقدر اوقاتهما المعلوم فيهما على ما ذكر به وقيل
سنا لما يتعذر عليكم من عد آي القرآن والمراد انه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي يقوم من الليل علم
ان لن تحصوه قال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من القيام فقال سبحانه علم ان لن
تحصوه اي ان تطيقوا معرفة ذلك وقال الحسين تاب الله عليهم حتى انتخت اقدامهم فقال سبحانه انا لا يطيقون احصاء ذلك الحقيقة
وقيل معناه لن تطيقوا المداومة على قيام الليل ونسخ عنكم التقصير فيه فتاب عليكم بان جعله تطوعا ولم يجعله فرضا
عن الجبائي وقيل معناه لم يأمركم اثما كما لا يلزم العاجز اي رفع التبعة فيه لرفع التبعة عن التائب وقيل فتاب عليكم
اي خفف عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن الآن وهي في صلاة الليل عن اكثر المفسرين وراجعوا ايضا على ان المراد بالقيام
المتقدم في قوله قم الليل هو القيام الى الصلاة لا ايما سلم وانه قال اراد بالقيام لقراءة القرآن لا غير وقيل معناه فصلوا
ما تيسر من الصلاة وعبر عن الصلاة بالقرآن لانها تتضمنه وهو قال المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة فهو محمول على الاستحباب
عند الاكثرين دون الوجوب كما لو وجبت القراءة لوجب الحفظ وقال بعضهم هو محمول على الوجوب لان القارئ
كالشاهد على اعجاز القرآن وما فيه من دلايل التوحيد وارسال الرسل ولا يلزم حفظ القرآن كما لا من القريب المتعبد المرغب
فيها ثم اختلفوا في القدر الذي تخفيفه هذا لا نرى من القراء فقال سعيد بن جبير خمسون آية وقال ابن عباس مائة آية
وعن الحسن قال من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقال كعب من قرأ مائتي آية في ليلة كتب من القانتين وقال
السدي مائتا آية وقال حوشب ثلث القرآن لان الله فرض على عباده والظاهر ان معنى ما تيسر مقدار ما اردتم واجبيم
علم ان سيكون منكم مرضى وذلك يقتضي التخفيف عنكم وآخرون اي ومنكم قوم آخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل
الله اي يسافرون للتجارة وطلب الارباح عن ابن عباس وآخرون اي ومنكم قوم آخرون يقاتلون في سبيل الله فكل ذلك
يقتضي التخفيف عنكم فاقرؤا ما تيسر منه وروى عن الرضا بن ابيه عن جده قال ما تيسر منه لكم فيه خوف القلب
وصفاء السر واقيموا الصلوة المفروضة التي اوجبها الله عليكم واتوا الزكوة المفروضة واقرضوا الله قرضا حسنا اي
وانفقوا في سبيل الله والجهات التي امركم الله وندبكم الى النفقة فيها وقد مر معنى القرض فيما تقدم وما تقدموا لانفسكم
من خير اي طاعة تجدوه اي تجدوا ثوابه عند الله هو خيرا لكم من الشح والتقصير واعظم اجرا اي افضل ثوابا وهو هنا
نعم فصل عند البصريين وهما واعند الكوفيين ويجوز ان يكون هو صفة للهاء في تجدوه واستغفروا الله اي اطلبوا
مغفرة الله غفور رحيم اي ستار لذنوبكم صفوح عنكم رحيم بكم نعم عليكم وقال عبد الله بن مسعود ايما رجل جلب
شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه سعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ وآخرون يضربون

في الارض للآية قال ابن عز ما خلق الله سوقا اسوقها بعد الصلاة في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شقي رحلي اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وقيل لما نزلت هذه الآية صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وقال يا صباحاه فاجتمع اليه الناس من كل جانب فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فقالوا ما لك يا محمد فقال ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب وهي مكية وهي خمس آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة واحد وعشرون حرفا في العدد الاول وخمس وثمانون في الثاني ومائة واحد وعشرون في الاخير وهي مكية بالاتفاق وليست من السبع المثاني ولا المئين ولا المفصل وهي من غير الرباعي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المدثر اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مجنون ومجنونة وكان له بكل حرف قرأه عشر حسنات وبكل آية قرأها عشر حسنات وبكل سورة قرأها عشر حسنات وبعث يوم القيامة وليس بينه وبين الانبياء الا انه لا يوحى اليه وقال علي من قرأ في الفريضة سورة المدثر كان حقا على الله ان يجعله مع محمد في درجته ولا يدركه في جنته الدنيا شغل ابدا تفسير هذا الامر سيأتي بيانه في آخر الفريضة وغيرها في مقنع هذه السورة بالاذان فكانه امره ان يبدأ بنفسه ثم بالدنيا من فقال يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة

قوله يا ايها المدثر قرأ ابو جعفر والمفضل وابن عامر بتشديد الثاء وكسرها وقرأ الباقون بتخفيف الثاء وكسرها وقرأ الحسن المدثر بالجزم والمدثر بالرفع والمزمل بالرفع والجزم قرأ ابو جعفر والمفضل وابن عامر بالضم والباقون بكسر الزاي وقرأ الحسن تستكثر بالجزم والاعمش مستكثر بالنصب والقراءة بالرفع الجزم قراءة الحسن وابن اسحق وفيها وجهان ذكرهما وقال قتادة هما صفتان للنبي صلى الله عليه وسلم والمدثر من كسر فهو العذاب والمعنى ذات العذاب والمذاب ظاهر لان عباد الله يعذبون على المعاصي ويجوز ذلك يكون الرجز والرجز لغتين كالذكر والذكر وقال ابن جني الضم في تستكثر يحتمل امرين احدهما ان يكون بدلا من تمنن فكانه قال لا تستكثر فان قيل فغير البدل ان يعطي الاقامة الثانية مقام الاول وان طلب تستكثر لا يدل على النهي عن الاستكثار وانما المعنى لا تمنن من مستكثر قيل قد يكون البدل على حذف الاول وقد يكون على سنة شاعر وذلك كقولك زيد مررت به ابي محمد فتبدل اباه من به الثاني ولو قلت زيد مررت باي محمد كان قبيحا فقوله ولا تمنن تستكثر من هذا القبيل ويكون ايضا الجزم على البدل والاخر ان يكون اراد تستكثر فاسكن الراء لتوالي الحركات كما حكى ابو زيد من قولهم بلي ورسلنا فاسكان اللام واما مستكثر بالنصب فاد مضمره وذلك ان يكون بدلا من قوله فلا تمنن في المعنى الا ترى ان معناه لا يكن منك من فاستكثار فكانه قال لا يكن منك من ان تستكثر فيضمر ان لتكون مع الفعل المنصوب بها بدلا من اللفظ والمعنى الذي دلا عليه الفعل وما وقع فيه الفعل موقع المصدر قوله نفا لواما السباد فضلب الحي الى الاصباح آثر ذي اثير اراد فتعلت اللهو موضع الهي من اللغة المدثر المتدثر بثيابه النائم لان النائم اذا نعمت في الدثار والمتدثر في الثياب والمتغطي بالسابب حفظ النوم والمكثر وصف الاكثر على اعتقاده ومعناه فتكبير المكبر في الصلاة تعظيم الله اكبر والتكبير تعظيم التصغير والكبير الشان هو المختص باتساع المقدور والمعلوم والطهارة النظافة ضد النجاسة لان النظافة قد تكون باسقاط الوسخ من غير نجاسة وقد يكون باستعمال النجاسة والطهارة في الآية هو القسم الاخير والمراد ذكر النعمة عما كدرها ويقطع حق الشكر بها يقال من بعطايه يحسن اذا فعل ذلك فاما المن على الاسير فهو اطلاقه فيقطع اسباب الاعتقال عليه والاستكثار طلب الكثرة وههنا طلب ذكر الاستكثار للعقلية والناقور فاعول من النقر كما صنوم من الهضم وعاطوم من العظم وهو الذي من شانه ان ينقر فيه للتصويت به والسير القليل الكلف ومنه اليسار وهو كثرة المال لقلة الكلفة به في الانفاق ضد عسير الامر ليسوءلة الاعراب وربك فكبر تقديره قم فكبر ربك ولذلك ما بعده وفائدة تقديم المفعول ههنا التخصيص لانك اذا قلت وكبر ربك لم يدل ذلك على انه لا يجوز تكبير غير الرب واذا قلت ربك فكبر دل على انه لا يجوز تكبير غيره ويستكثر في موضع نصب على الحال فذلك مستدا ويوم عسير خبره ويومئذ يجوز ان يكون رفعا ويجوز ان يكون نصبا فاذا كان رفعا فانما سمي على الفعل لانه اضافه الى اذا كان اذا غير ممكنة واذا كان نصبا فعلى الظرف وتقديره فذلك يوم عسير في يوم ينقر في الصور قاله الزجاج وقال ابو علي في بعض كتبه لا يجوز ان ينتصب يومئذ على عسير لان الصفة لا يعمل فيما قبل الموصوف كما لما انتصب يوم ينقر بما تضمنه قوله فذلك لان ذلك كناية عن المصدر فكانه قال فذلك النقر يومئذ وعلى هذا فيكون التقدير فذلك النقر في ذلك الوقت

قرآنا فيه نعت النبي ﷺ لاستماعه لقراءة الآية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقال قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فكان مقال الوليد يجانب قريش فقال لهم ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال له مالي اراك حزينا يا ابن اخي قال هذه قريش يجمعون لك كبر سنك وزين عوزه انك زينت كلام محمد فتكلم مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال اتزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتم عليه شيأ من ذلك قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شيئا من الشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا فكان يسمى الصادق الامين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال ما هو الا ساحر مارايتموه تفرق بين الرجل واهله وولده وعشيرته فهي ساحر وما يقول ساحر يعني القرآن ثم قال سحبانا لنبيه على وجه التهديد للكافر الذي وصفه ذرني ومن خلقت وحيدا اي دعني واياه فانى كافل له في عقابه كما يقول القائل دعني واياه ومعناه دعني ومن خلقته متوحدا بلا شريك لي في خلقه وان جئت على صفة المخلوقين فمعناه دعني ومن خلقته في بطن امه وحده لا مال له ولا ولد يعني الوليد بن المغيرة قال مقاتل معناه خل بيني وبينه فانا انفرد بهلكته وقال ابن عباس كان الوليد يسمى الوحيد في قومه ذكره النيسابوري باسناده عن زرارة بن اعين ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله رضي الله عنهما ان الوحيد هو الذي ذكره الله في هذه السورة ذكره ابو بصير عن احدهما وفي هشام انه قال في خطبته انا الوليد الوحيد فقال ويله لو علم ما الوحيد ما فخر بها فقلنا له وما هو قال من لا يعرف له اب ثم ذكر بعد ذلك ان الوليد قال وجعلت له مالا ممدودا ما بين مكة الى الطايف من الابل الحولية والخيل المسومة والنعم المرجلة والمسخلات البلاقع لا ينقطع علته عنه سنة حتى تدرك عليه سنة اخرى فهو ممدود على الايام وكان له بستان بالطايف لا ينقطع خيره في شتاء ولا صيف وعشرة بنين وماية الف دينار عين سفين وبسين شهودا حضورا معه بمكة لا يغيب عنه لغناهم عن ركوب السفر للتجارة قال سعيد بن جبير كانوا ثلثة عشر وقال مقاتل كانوا سبعة الوليد وخالد وعماره وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعماره قالوا فما زال الوليد بعد هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك وهيئت له تمهيدا اي بسطت له في العيش بسطا حتى صار يكفي المؤنة من كل وجه حتى صارت احواله مشابهة بحال الحسن وقيل سهلت له التصرف في الامور تسهيلا ثم يطمع ان ازيد اي لم يشكر على هذه النعم بل كفر نعماي وهو مع ذلك يطمع اني ازيد في امداده ثم قال على وجه الردع والزجر كلا اي لا يكون كما ظن ولا ازيده مع كفره وقيل كلا ستناه انزجر وارتدع فليس الامر على ما تتوهمه بين سحانه كفره فقال انه كان لآياتنا عنيدا اي المعاند انعمل بذلك لانه كان يجحد آياتنا سماها ذكرها مع معرفته بها قيل عنيدا جهودا عن ابن عباس وقتادة سارهقه صعودا اي ساكلفه مشقة من العذاب لا راحة فيه وقيل صعود جبل في جهنم من نار يصعد فيه سبعين خريفا اذا وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت ولذلك رجله في ضرم فروع وقيل هو جبل من صخر ملساء في النار كلف ان يصعدها حتى اذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم كلف ايضا ان يصعدها ذلك دابه ابدا لعذب بها سلاسل الحديد واغرب من خلقه لقاسم الحديد فصعدها في اربعين سنة عن الكلبي انه فكر وقدر ماذا يقول في القرآن وقدر القول في نفسه وانما فكر لمحال به الباطل لانه فكر على وجه طلب الرشاد كان محمودا وقد قال ان قلنا شاعر كذبنا العرب بما تعرف من اشعارها ما هي بواحد قلنا كاهن لم يصدق قولنا ان كلامه لا يشبه كلام الكهان نقول ساحر يأثر ما اتى به عن غيره من السحر فقيل اي اعن وعذب قتل لعن بما يجري مجرى القتل وقيل استحق العذاب عن الجباي كيف قدر قال صاحب النظم معناه لعن على اي حال قدر ما قدر ثم الكلام كالحال في الكلام لاعرابه كيف صنع اي على اي حال كان منه ثم قيل كيف قدر هذا تكرير للتاكيد وقيل معناه كيف قدر في آياتنا ما قدر مع وضوح الحجة لعن وعوقب بعقاب آخر كيف قدر في ابطال الحق تقديرا آخر وقيل معناه عوقب

الآخرة مرة بعد مرة ثم نظر في طلب ما يدفع به القرآن ويرده ثم عبس وبسر أي كلح وكره وجهه ونظر بكراهة شديدة كالمهتم المتفكر
في الشيء ثم أدبر عن الإيمان واستكبر أي تكبر حتى دعى إليه فقال إن هذا أي ما هذا القرآن إلا سحر يؤثر ينقل عن سحار علامة فيها
إن هذا إلا قول البشر أي ما هذا إلا كلام الإنس ما هو من عند الله وما كان القرآن سحرا ولا من كلام البشر كما قاله المغلوب لا مكر
السحرة إن يأتوا بمثله ولقد هزمهم وفرخ فيهم حتى هزمهم على الإسلام سورة مثله ثم قال فجعل يدبر ويستكبر أي عن الإيمان
فقال إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر أي سأدخله
جهنم وما أدراه ما سقر قيل سقر دركة من دركات جهنم وقيل باب من أبوابها وما أدراك أيها السامع ما سقر في شدتها وهولها
وفظيعها ثم وصف جهنم بعض صفاتها فقال لا تبقي ولا تذر أي لا تبقي لهم لحما إلا الكلته ولا تذرهم إلا أعادتهم خلقا جديدا أو لا
تبقي لهم شيئا إلا أحرقته ولا تذرهم إلا يلفحهم بل يبلغ لحومهم في أنواع العذاب من الجبابرة أو لا تذر للبشر أن يطيقوه
للخلود وقيل لا تذر للخلود حق يدعها أشد سوادا من الليل طيفها تسعة عشر من الملائكة جعل خزنتها مالك وسبعة عشر
اسمهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم مابين منكبي أحدهم مسيرة سبعين سنة مع كفاءة سلاحهم مثل
ربيعة ومضر بعدت فهم الرحمة نزع أحدهم سبعين ألف أمير بهم حيث أراد من جهنم وقيل معناه على سقر تسعة عشر ملكا فهم
خزانها والنار دركاتها الآخر خزان الجنة وقيل إنما خصوا بهذا العدد ليوافق الخبر الخبر المجاب به الأنبياء قبله وما كان
في الكتب المتقدمة من كون ذلك مظنة للمكلفين وقال بعضهم في تخصيص هذا العدد إن تسعة عشر مجمع أكثر القليل من
العدد وأقل الكثير منه لأن العدد آحاد وعشرات ومئون والوقف فاصل العشرات عشرة وأكثر الآحاد تسعة قالوا والحكمة في
هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمعوا أبا كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم الخبراء
معشر كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم فقال أبو الأسد الحمي أنا أكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني
فاكفوني أنتم اثنين فرد الله ما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة الآية عن ابن عباس وقتادة لما ذكر عددهم جعلنا الملائكة
هم النار المتولين تدبيرها الذين لا يطيقها إلا الملائكة جعلنا شهوتهم في تعذيب أهل النار علم فيما هم من بني آدم كما تعهدون أنتم
تطيقونهم وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا أي لم نجعلهم على هذا العدد الأخفة وتشديدا في التكليف للذين كفروا
ليتم الله وعده ووعيده حتى يتفكروا فيعلموا أن الله سبحانه حكيم لا يفعل إلا ما هو حكمة ويعلموا أنه قادر على أن يزيد في قواهم
ما يقدرون به على تعذيب المعذبين ولو راجع الكفار عقولهم لعلموا أن من سلط ملكا واحدا على كافر بني آدم لتبين أدناهم
فلا يطيقونه قادر على سوق بعضهم إلى النار وجعلهم فيها بتسعة عشر من الملائكة ليستيقن الذين أوتوا الكتاب من اليهود
والنصارى أنه حق وأنه محمد صادق من حيث إخباره بما هو في كتبهم من غير قراءة لها ولا تعلم منهم ويزداد الذين آمنوا إيمانا أي يقينا
بهذا العدد وصحته بنوه عهدا إذا أخبرهم أهل الكتاب أنه مثل ما في كتابهم ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون أي وليدا
يشك هؤلاء في عدد الخزنة والمعنى وليستيقن من لم يؤمن بمحمد ومن آمن بمحمد بنبوته إذا تدبروا فتفكروا وليقول الذين في قلوبهم
مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا اللام هنا لام العاقبة أي كان عاقبته أن يقولوا هذا أي يعني المنافقين والكافرين
وقيل معناه كان يقولوا ماذا أراد الله بهذا الوصف والعدد وتدبروه فيؤدي بهم التدبر في ذلك إلى الإيمان كذلك يضل
الله من يشاء ويهدي من يشاء أي مثل جعلنا خزنة النار ملائكة ذوي عدد معينة واعتبارا لكل الحق ليظهر الضلال و
الهدى وأضافهما إلى نفسه لأن سبب ذلك التكليف وهو من جهته وقيل يضل عن طريق الجنة والثواب من يشاء ويهدي
من يريد إليه وما يعلم جنود ربك إلا هو أي ما يعلم جنود ربك من كثرتها العدد الأعظم وأجمل خزنة النار تسعة عشر
لقلة جنوده ولكن الحكمة اقتضت ذلك وقيل هذا جواب لأبي جهل حين قال أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر عن مقاتل وقيل
معناه وما يعلم عدد الملائكة الذين خلقهم الله لتعذيب أهل النار إلا الله عن عطاء والمعنى أن التسعة عشر هم خزنة
النار وأما من الأعوان والجنود ما لا يعلمه إلا الله رجع الخبر عن ذكر سقر فقال وما هي إلا ذكرى للبشر أي يذكرهم ويعظهم لعلهم
يتذكرون فيخبروا بما يستوجبون به ذلك وقيل معناه وما هذه النار التي في الدنيا إلا يذكرها البشر من نار الآخرة حتى يتفكروا فيها

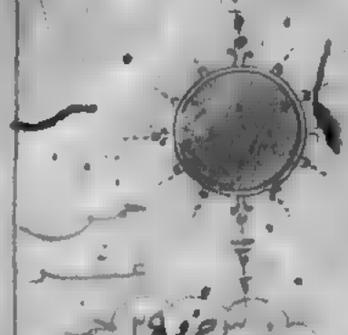

في هذه الآيات الآخرة وقيل ما هذه السورة الا ذكرى للناس وقيل ما هذه الملائكة التسعة عشر الا عبرة للخلق ستدلون فيتركك كل كمال
قدرة الله تعالى ويخرجون عن المعاصي قوله تعالى كلا والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر
لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في
سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين
فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن
يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل
المغفرة خمس وعشرون آية العامة على فواتح وحمزة وعلي وحفص وروح بخلف عنه أذ ضد الف ادبر بالألف وقرأ الباقون إذا بالألف
وبغير ألف وقراءة أهل المدينة وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء والباقون بكسر الفاء وفي الشواذ قراءة بعضهم مرة عن ابن كثير
انها لإحدى الكبر بالهمز قراءة سعيد بن جبير وعيسى الثقفي بسكون الباء والنون نبيحة أبو علي قال ثوابن وبر العصي وقرئ
نوابح وقال قتادة والليل إذا ولى وقال إذا ذهب وقال إذا أدبر بالتخفيف في الأحرف الكبر ابن كثير جعل فيها الهمزة من بين عن عن سمع
فأما حذف الهمزة فليس بقياس ووجه ذلك أن الهمزة حذفت حذفا كما حذفت في قولهم ويلمها في هو الملحق طلحة كما نعمى الذي في
الأرض مطلب وقد جاء ذلك في مواضع من الشعر قال أبو الأسود الدؤلي زياد يا با المغيرة ربب امرء حمل فرجته بالنكر منى والدها
وقال آخر لهم أحاديث في الذكرى وقد مضت في الدين ايما وانشد أحمد بن يحيى إذ كان حرب لكل ما فقمه يا ويك عنا يا حسن
فقمه وقال الفرزدق فعلى كلهم عطيه بن جعفر فلام التي وخربك أو لم تحمد قال والكسر في مستنفرة أولى لقوله فرت من قسورة
فضاف يدل على أنها هي استنفرت ويقال نفر مستنفر مثل حمر مستنفرة وجد استجيب ومن قال مستنفرة فكان القسورة استنفرها
والرامي قال ابن جبيرة مستنفرة نشر عروة وانشد الزجاج اسكت حارك انه مستنفر في إثر أحرة عدوا لعرب ودميت بالكسر
أيضا قال ابن سلام سألت أبا عمرو العرفي وكان أعرابيا فصيحا قارئا للقرآن فقلت كأنهم حمر ما فقال حمر مستنفرة طردها فشوه
قلت انما هو فرت من قسورة فقال أفوت قلت نعم فقال مستنفرة قال ابن جني اما سكون الحاء من حمر فخفف فلغة تميم واما منشرة
بسكون الشين فان العرف في الاستقبال نشرت الثوب وغيره وانشر الله الموتى ينشرهم وقد جاء ايضا نشرهم الله الميت قال
اليشكري رددت عليه ابنه حياته فكانوا من نشرها ينشروا ولم نعلهم قالوا نشرت الثوب ونحوه الا انه يجوز ان يشبه شيء بشيء
ويجاز ان يشبه الميت بالشيء المطوي حتى قال النمري منشور فكذلك يجوز ان تشبه المطوي بالميت فيقال صحف منشرة اي
كأنها بطيها ميته فاذا نشرت قيل منشرة اللغة العلم الذي يوجد برد الثقة به في الصدر يقال وجد فلان برد اليقين
وبلج اليقين في صدره ولذلك لا يوصف سبحانه بانه متيقن واليقين صفة الاسد وقيل صم الرماة من عشرة يبشرة قسرا إذا قهره
واصل القسر الإكثاف عن الشيء ومنه يقال قسر الفرس إذا غمزه الكشف عن سنه والصحف جمع صحيفة وهي الجريدة التي من شأنها
ان تقلب من جهة الجهة لما فيها من الكتابة ومنه المصحف وجمعه مصاحف الاعراب نذيرا للبشر اختلف في وجه
انتصابه فقيل نصب على الحال وهو اسم فاعل بمعنى منذرة وحال الضمير في احدى الكبر العائد على الهاء في انها وهي كناية عن النار
فالمعنى انها كبيرة في حال الانذار لما ذكرنا لان معناه معنى العذاب ويجوز ان يكون على التذكير على قولهم امرأة طالق بغير تاء لان
فلانا كذلك نذيرا بمعنى ذات انذار وقيل هو حال متعلق بأول السورة كأنه قال انها احدى الكبر نذيرا للبشر فانذروا وقيل الى الدرعا
بمعنى الانذار وتقديره انذار البشر فيكون منصوبا على المصدر كأنه قال انها لاحدى الكبر وانما انذرهم بها انذارا وقوله لمن شاء
منصوب على الحال مما في اللام من قوله فيها لهم من معنى الفعل والتقدير اي شيء ثبت لهم معوضين في التذكرة كأنهم حمر مستنفرة جاء
في موضع الحال بين معرضين في حال من حال او جعل حالا من مشابهين حمرا الخ ثم اقسم سبحانه على عظم ما ذكره من الوعيد فقال
كلا اي حقا قيل معناه ليس الامر على ما يقوله هؤلاء من انهم يحكمهم دفع عذاب النار وقيل والقمر اقسم بالقمر لما فيه من الآيات البينة
في طلوعه وغروبه وسيره وزيادته ونقصانه والليل إذ أدبر اقسم بالليل إذا ولى وذهب وقيل دبر إذا جاء بعد غيره

وادبر اذا ولى مدبرا فعلى هذا يكون المعنى فى اذا ادبر اذا جاء الليل فى اثر النهار وفى اذا ادبر اذا ولى الليل فجاء الصبح عقيبه وعلى الاول
القول فيهما القولان معناهما ولى وانقضى والصبح اذا اسفر اى اضاء وقال ابن قتادة وهو قسم آخر وقيل معناه اذا كشف الظلام واضاء
الاخلص وقال قوم التقدير فى هذه الاقسام ورب هذه الاشياء لان القسم لا يكون الا بالله تعالى انها لاحدى الكبر جواب
القسم يعنى ان سقر التى هى النار لاحدى العظايم والكبر جمع الكبرى وهى العظمى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه ان
ايات القرآن لاحدى الكبر فى الوعيد نذيرا للبشر اى مقدرا ومخوفا معلما مواضع المخافة والنذير الحكيم بالتحذير مما ينبغى ان يحذر
منه ثم بين نذيرا لزجكم بتحذيره عقاب الله تعالى على معاصيه واختلف فيه فقيل انه من صفة النار عن الحسن وقيل من صفة
النبى ﷺ فكانه قال انهم لاحدى الكبر انذارا من ابن زيد وقيل من صفة اسم عن ابى زيد وعلى هذا يكون حالا من فعل القسم المحذوف ان شاء
منكم ان يتقدم اى يتقرب فى طاعة او يتأخر عنها بالمعصية عن قتادة والمشية هى الارادة فيكون المعنى ان هذا لا بد له
من وجه الى من يكتب ان سقى عذاب النار بان يختب المعاصى ويفعل الطاعات فيتقدم على التقدم والتأخر فامر وخلاف قول اهل
الجبر القائلين بتكليف مالا يطاق وقيل انه سبحانه عبر عن الايمان والطاعة بالتقدم لان صاحبه متقدم فى العقول والدرجات
وعن الكفر والمعصية بالتاخر لانه متاخر فى العقول والدرجات وروى محمد بن الفضيل عن ابى الحسن بن قال كل من تقدم الى
ولا فانا تاخر عن سقر وكل من تاخر عن ولا فانا تقدم الى سقر كل نفس بما كسبت رهينة اى مرهونة محبوسة بما
كسبته من طاعة او معصية فالرهن اخذ الشئ بما يرى على ان لا يرد الا بالخروج منه قال زهير وفارقتك برهينة يوم الوداع
فاسى الرهن قد غلقا فلذلك هؤلا بالضلال قد اخذ ورهن لا فكاك له والكسب هو كل ما اكتسب به نفع او دفع ضرر ويدخل
فيه الفعل هنا لا يفعل ثم استثنى سبحانه اصحاب اليمين فقال الا اصحاب اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين
يسلك بهم ذات اليمين قال قتادة غلق الناس كلهم الا اصحاب اليمين وهم الذين كانوا ذبحهم فهم سالمين على انفسهم وقيل
هم المومنون المستحقون للثواب عن الحسن وقيل هم الملائكة عن ابن عباس وقال الباقر رضه خزنة وشيعتنا اصحاب اليمين فى
جنات يتساءلون اى يسال بعضهم بعضا وقيل يسالون عن المجرمين اى عن حالهم وعن ذنوبهم التى استحقوا بها النار يسلكم
فى سقر هذا سوال توبيخ اى يطلع اهل الجنة على اهل النار فيقولون لهم ما اوقعكم فى النار قال لم نك من المصلين اى كنا لا نصلى
الصلوات المكتوبة على ما قررها الشرع وفى هذا دلالة على ان الاخلال بالواجب يستحق به الذم والعقاب لانهم علقوا استحقاقهم
العقاب بالاخلال بالصلوة وفيه دلالة ايضا على ان الكفار مخاطبون بالعبادات الشرعية لانه حكاية عن الكفار بدلالة قوله و
كنا نكذب بيوم الدين يعنى الجزاء وما لم نطعم المسكين معناه لم نكن مخرج الزكوات التى كانت واجبة علينا والكفارات التى تجب
دفعها الى المساكين وهم الفقراء وكنا نخوض مع الخايضين كلما غوى غاو بالدخول فى الباطل غوينا معهم عن قتادة والمعنى كنا
نخوض انفسنا بالريب فى الباطل كخوض الرجل بالخوض فلما كان هؤلا يخوضون مع مكذب بالحق مستغرقين فيه فى القول كانوا
خائضين معهم وكنا نكذب بيوم الدين مع ذلك اى بجحد يوم الجزاء وهو القيامة والجزآء هو الايصال الى كل من لم يشق الا
ما يستحقه بيوم الدين هو يوم اخذ المستحق بالعدل حتى اتانا اليقين اى اتانا الموت على هذه الكفر والتزوير حتى جاءنا العلم اليقين
من ذلك بان عاينا فما تنفعهم شفاعة الشافعين اى شفاعة الملائكة والنبيين كما نفت الموحدين عن ابن عباس فى رواية
عطاء وقال الحسن لم تنفعهم شفاعة ملك ولا نبى ادعوا من ويعضد هذا الاجماع على ان عقاب الكفر لا يسقط بالشفاعة وقد
صحت الرواية عن عبد الله بن مسعود قال سمع بينكم صلوات اربع جبريل ثم ابرهيم ثم موسى او عيسى ثم نبيكم صلى الله
عليه وسلم لا يشفع احد اكثر مما يشفع فيه نبيكم ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء يبقى قوم فى جهنم فيقال لهم ما سلككم فى سقر
الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود فهؤلا الذين يبقون فى جهنم وعن الحسن عن رسول الله ﷺ قال يقول
الرجل من اهل الجنة يوم القيامة اى رب عبدك فلان سقانى شربة من ماء فى الدنيا فشفعنى فيه فيقول اذهب فاخرج من
النار فيذهب فيغمس فى النار حتى يخرجه منها وقال ﷺ ان من امتى من يدخل الله الجنة بشفاعة اكثر من مضر فقال لهم عن الذكرة

معرضين

...ين اى شيء لهم واى عارض عرض لهم حتى اعرضوا عن القرآن فلم يؤمنوا به مع التذكير بمواعظ القرآن والمعنى لا شيء لهم في الاخوان
عرضوا عن القرآن وتقرأ حاشية كانهم حمر مستنفرة اى كانهم حمر وحشية نافرة فرت من قسورة يعني الاسد عن عطاء والكلبي قال
ابن عباس هي الرجال الوحشية اذا عاينت الاسد هربت منه كذلك هؤلاء الكفار اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه وقيل القسورة
الرماة رجال المنتخص عن ابن عباس بالحاء والعين المهملتين وبالقاف وبالحاء ايضا وهو قال سعيد بن جبير وهم العيّاص بل يريد كل قسورة
اى يؤتى صحفا منشرة اى كتابا من السماء تنزل اليهم باسمائهم ان آمنوا بمحمد عن الحسن وقتادة وهذا رد لقولهم انهم يريدون صحفا
من عند الله تعالى بالبراءة من الجحود بعد اسباغ النعمة حتى يؤمنوا الا انما حمل كفرهم وعنادهم على ذلك كل واحد ان يكون رسولا اوحي اليه
سوى ما الفت من ان يكون داعيا وقيل هو تفسير ما ذكره الله تعالى في قوله وان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا هيهات كلا اى حقا ليس الامر على ما اقترحوه ولا يكون كذلك بل لا حياء لهم في طلبهم صحفها ولو صاروا عذاب الآخرة لما امنوا
الآيات بعد قيام الدلالات والمعجزات كلا اى حقا انه تذكرة اى ان القرآن تذكير وموعظة فمن شاء ذكره اى اتعظ به كما قدر
عليه وما يذكرون الا ان يشاء الله هذه المشيئة غير الاولى اذ لو كانتا واحدة لتناقض فالاولى مشيئة اختيار والثانية مشيئة
اكراه واجبار والمعنى ان هؤلاء لا يذكرون الا ان يجبرهم الله على ذلك وقيل معناه الا ان يشاء الله من حيث امر به ونهى عن
تركه وعد الثواب على فعله وتوعد بالعقاب ان لم يفعله فكانت مشيئة مسابقة اى لا تشاؤون الا ان الله تشاء ذلك هو
اهل التقوى واهل المغفرة اى هو اهل ان يتقى محارمه واهل ان يغفر الذنوب عن قتادة وروى عروة عن علي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال الله سبحانه انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي الها فمن اتقى ان يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له
قيل معناه هو اهل ان يتقى عقابه واهل ان يغفر لمن اتقاه ومن كتب قال ابي بن كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت انا و
جبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيامة وبعثه وجمعه ستر على وجهه الخلائق يوم القيامة وامن يوم القيامة وصوت بين يدي الله عز وجل
قال من لدن قرأ لا اقسم وكان يحل بها بعثها الله معه من قبره في صورة بشره ويتحمك في وجهه حتى يجوز الصراط والميزان
تفسير ما اضمر سبحانه سورة المدثر ذكر القيامة فان الكافر لا يؤمن بها افتتح هذه السورة بالقيامة وذكر اصولها فقال
لا اقسم بهذا الرجل الرجيم لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة احسب الانسان ان لن نجمع عظامه
قادرين على ان نسوي بنانه بل يريد الانسان ليفجر امامه يسأل ايان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر
وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبأ الانسان يومئذ بما قدم
واخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره خمس عشرة آية القراءة قراءة العوام لا اقسم والباقون اقسم بالكسر وفي الشواذ
قراءة ابن جناس ومكرمة وابن ابي عبلة الحسن المزين بفتح الميم وكسر الفاء وقرأ الزهري المزين بكسر الميم وفتح الفاء الحجة قال
ابو علي من قرأ لا اقسم بيوم القيامة كانت لا على قوله صلة كالتي في قوله ليلا يعلم اهل الكتاب وقد تقدمت لا والحرف التي من زوائد
انما يكون بين كلامين كقولهم ما خطبك ما ان رأيت رجلا من الله وجدنا نفعه ولا تجاوزناه الا فقد قالوا ان جاز القرآن مجاز الكلام
الواحد السورة الواحدة قال والذي يدل على ذلك انه قد ذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة اخرى كقوله يا ايها الذين نزل عليه
الذكر انك لمجنون جاء في سورة اخرى ما انت بنعمة ربك بمجنون فلا فصل على هذا بين قوله لا اقسم بيوم القيامة وبين قوله لا اقسم فاما من
قرأ لا اقسم وان اللام يجوز ان تكون هي التي يجيء احد الرديفين في اكثر الامر وقد حكى ذلك سيبويه وجاز وكما لحق القول مع
الفعل الاتي في لا اقسم لم تلحق اللام مع النون في نحو قول الشاعر ... فصل ثم اثاره فاخرج عن فرع وان اعتكم شاء
يريد لا اثاره فحذف اللام ويجوز ان يكون اللام لجيء حمل الحال واذا كانت للحال لم يتبعها النون كما لا تدخل النون
التي على حد الفعل في اكثر الامر انما هي للفعل بين فعل الحال والفعل الآتي وقد يمكن ان يكون لا ردا الكلام وزعموا ان الحسن قرأ
لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة وقال اقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وحكى خلف ذلك عن ابي ابي سمين ايضا وذكر

ابو علي في غير كتاب الحجة ان اللام زائدة لان القسم لا يدخل على القسم وقال ابن جني ينبغي ان يكون هذه اللام لام الابتداء اي لانا اقسم بيوم القيامة وعرف المبرد اللام بهذا للعلم به وقال ابن الحسن برق البصر اكثر في كلام العرب والمشهور في اللغة قال الزجاج من قرأ برق فمعناه فزع وتحير ومن قرأ برق فمعناه شق العينين وقال ابو عبيدة برق البصر اذا شق وانشد لما اتاني ابن صبيح راكبا العطية عيسا نهاقا فرق والمفرز الفزار والمفرز بكسر الفاء الموضع الذي تفر اليه والمفر بكسر الميم وفتح الفاء الانسان الجيد الفرار قال امرؤ القيس مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل الاعرابي قادرين نصب على الحال والتقدير بلى نجمعها قادرين فالعامل في الحال محذوف لدلالة ما تقدم عليه كما في قولك فلان ختم فرجا اي فصار فرجا او مفعول به يريد نجمعها ونقدره بل يريد الانسان ليجور فيما يسأل الخلق في موضع الحال وكان غير محذوف وتقديره لا نقسم في الوجود فقيل بل الانسان على نفسه بصيرة وقيل في بصيرة اقوال احدها ان المعنى بل الانسان على نفسه غير بصيرة والثاني في جهة بصيرة اي حجة والثالث ان الهاء للمبالغة كما يقال رجل علامة ونسابة وقال علي بن عيسى تقديره بل الانسان على نفسه من بصيرة اي جوارحه شاهدة عليه يوم القيامة واثبت بصيرة لانه جعل الانسان على النفس كجواب لو حذف تقديره وان القى معاذيره لم ينفعه ذلك ويجوز ان يكون جوابا فيما سبق لما حصل لا اقسم بيوم القيمة قيل ان اصله ومعناه اقسم بيوم القيامة وهذا ابن عباس وسعيد بن جبير قيل ان لا رد على الذين انكروا البعث والنشور من المشركين وكفار قال لا اقسم ثم ابتدأ القسم فقال اقسم بيوم القيمة اكثر معاني لا ان يكون فرقا بين اليمين التي يكون جحدا وبين اليمين المستأنفة وقيل معناه لا اقسم بيوم القيمة لظهورها بالدلائل العقلية والسمعية وقيل معناه لا اقسم بيوم القيمة فانكم لا تقرون بها ولا اقسم بالنفس اللوامة فانكم لا تقرون بان النفس تلوم صاحبها يوم القيمة ولكن استجهركم فاخبرني هل تقدرون على ان اجمع العظام المتفرقة وهذا قول الوجهاني عن ابي مسلم وقيل معناه اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوامة اقسم بالاول ولم تقسم بالثاني عن الحسن قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لانه يخرج عن شاكلة الكلام والاولى ان يكون اقسمين ردا على الكفرين وجواب القسم محذوف وتقديره ما الامر على ما تزعمون او انكم تبعثون او لتبعثن دون قول لا تقسم فلا تجعلها جواب قسم وحذف السوين لالتقاء الساكنين وقد ذكرنا ما قيل فيه والنفس اللوامة الكثيرة اللوم وليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها يوم القيامة ان كانت محسنة جزعا ان تزداد وان كانت مسيئة ندما ان لا تنزع يا ليتني لم افعل عن ابن عباس في رواية عطاء وقال مجاهد تلوم على ما مضى تقول لم فعلت ولم لا فعلت وقيل النفس اللوامة الكافرة انها عن قتادة ومجاهد ومعناه ذات اللوم الكثير لما سلف منها وقيل هي النفس المؤمنة تلوم نفسها في الدنيا على ما فعلت وما قصرت فيكون مفكرة في العواقب لجزاء الفاجر لا يفكر في امر الآخرة ولا يحاسب نفسه عن الحسن ليس الانسان صورة الا استفهام ومعناه انكار على منكري البعث ومعناه ايحسب الكافر بالبعث والنشور من جنس الكفار ان لن نجمع عظامه اي ان لن نعيده اي ما كان او كما عليه خلقا جديدا بعد ان صار رفاتا فكيف يعجز عن البعث جمع العظام ثم قال بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه على ما كانت وان قل عظامها وصغرت فيرجعها كما كانت ويؤلف بينها حتى يستوي البنان وهن قد جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها اقدر من الزجاج والفراء وابي مسلم وقيل معناه نقدر على ان نجمع بنانه كالخف والحافر فيشاول المأكول بقبضه والعامل منا عليه فالانامل لما يكتسل بها المقبض والبسط والارتفاق بالاصابع الدقيقة كالكتابة وغيرها عن ابن عباس وقتادة بل يريد الانسان ليفجر امامه اي ليكذب بما قدامه من البعث ويكذب نبيه فيما يخبره من التكذيب عن الزجاج قال يجوز ان يريد انه سوف يتوب ويقدم الاعمال الصالحة وقال ابن الانباري يريد ان يجز ما امامه ولم يتب في بقيته ان يرجع عن ذنوبه كلها وقيل معناه انه يقول اعلم ان ذنوبي من معصية ولم اتوبة للمعصية ثم سوف التوبة وقول هذا ابدا فهذا يسأل ايان يوم القيامة معناه ان الذي يجز امامه يسأل

يوم القيامة فلم يعرف معنى ايان متى الا انه السؤال عن اكثر من السؤال بايان فلذلك حسن ان يفسر بها وانما ينبغي ان يعرف ذلك
لكي يجاب به واستعظم الايان بنبأ الذين يخبر فكر في العاقبة واذا خوف بالغاية قلق لكي يكون ذلك كما قال مجاهد فلا ابرق البصر اي شخص البصر
من معاينة ما كان يكذب به وخسف القمر ذهاب ضوئه وقيل ازدرج وقيل اذا نفخ وغير ما ورد من اهوال القيامة واجرائها على ما كان يكذب به في الدنيا
وهذا كقوله لا يؤمنون به قوم من قتادة وابن زيد وقيل يسلم حسنه القمر اذا ذهب ضوءه وقيل وجمع الشمس والقمر اي جمع بينهما في ذهاب
ضوئهما بالخسوف لينكاملا ظلام الارض كل واحد بغير ما يفعل صاحبه حتى يراهما كل واحد بغير ما يراه صاحبه عن مجاهد وهو اختيار الفراء والزجاج يجمع
على ثلثة اقسام جمع في المكان وجمع في الزمان وجمع الامر لان في اصل الجمع الشيء في حكم الصفة فجاز ان حقيقة الجمع جعل الجمع
الشيء مع الاخر وقيل جمع بينهما في طلوعهما من المغرب كما في حديث ابي هريرة عن ابن مسعود يقول الانسان المكذب بالقيامة يومئذ
اين المفر اي اين المفر يجوز ان يكون معناه اين موضع الفرار من الفرار وقال الزجاج المفر بالفتح الفرار والمفر بالكسر مكان
الفرار قال الله جل ثناؤه لا وزر اي لا ملجأ يلجأ اليه هيهنا ثم يبتدأ فيقول الى ربك يومئذ المستقر اي المنتهى الخلق يومئذ الى حكمه وامره
ونهيه كما لا حد غيره وقيل المستقر المكان الذي يستقر فيه المؤمن والكافر فذلك الى الله لا الى العباد وقيل المستقر المصير والمرجع
عن ابن مسعود والمستقر على وجهين مستقر الى امر مستقر على الاستمرار الانساني يوم تبلى بما قدم وآخر اي مخبر الانسان
يوم القيامة بأول عمله وآخره فيجازى به عن مجاهد وقيل معناه بما قدم من العمل في حياته وما سنه فعمل به بعده من خير
او شر وقيل بما قدم من طاعة الله وخزن عن الله فضيعه عن قتادة وقيل بما قدم من سالف نعمه وما خلفه لورثته بعده عن
زيد بن اسلم وحقيقة البناء الخبر بما يعظم شأنه وانما حسن في هذا الموضع لان ما جرى مجرى المباح لا يعتد به في هذا الباب
ولما هو ما يستحق عليه المؤاخذة ما دام وجوده معدوما فلا اعتبار به بل الانسان على نفسه بصيرة اي ان جوارحه شهود عليه بما
عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه عليه عن ابن عباس وعكرمة ومقاتل قال القتيبي اقام جوارحه مقام نفسه و
لذلك انث لان المراد بالانسان ههنا الجوارح وقال الاخفش هي كقولك فلان حجة وبصيرة ودليله قوله تعالى كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا وقيل معناه ان الانسان بصير بنفسه وعلم ذوي العباس باسناده عن عمير بن سلمة عن ابي عبد الله
قال ما يصنع احدكم ان عطر جسده وحسن ثيابه اذا رجع الى نفسه تعلم انه ليس كذلك والله سبحانه تقول بل الانسان
على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صلحت قويت العلانية ومن عمر سريرته ابي عبد الله انه تلا هذه الآية ثم قال ما
يصنع الانسان ان يعتذر الى الناس خلاف ما يعلم الله منه ان رسول الله صلعم كان يتولى من امر سريرة ردائها ان خيرا فخير وان شرا فشر وعن زرارة قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الرجل الذي نعرفه صاحب مقال بل الانسان على نفسه بصيرة هو
يعلم بما فعل وفي رواية اخرى هو اعلم بنفسه فاك اليد والواقي معاذيره اي وان اعتذر جادل عن نفسه لم ينفعه ذلك
يقال عذيره ومعاذيره وهي ذكر مواضع تقطع هي الفعل المطلوب وقيل معناه وان ارخى الستور واغلق الابواب
عن الضحاك والسدي قال الزجاج معناه وان ادلى بكل حجة عنه وجاء في التفسير ان المعاذير الستور واحدها معذار فعال المبرد
هي لغة طيئ والمعنى على هذا القول ان اسبل الستور ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه قوله تعالى لا تحرك به لسانك
لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة وتظن يوسف بأيتها تفعل بها فاقرة عشر آيات القراءة قرأ اهل المدينة والكوفة غير عاصم
وتذرون بالتاء والباقون بالياء على الحجة من قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم بل تحبون وتذرون ومن قرأ بالياء فعلى معنى هم يحبون
ويذرون قال ابو علي الياء على ما تقدم من ذكر الانسان فان المراد به الكثرة والعموم كقولك ان الانسان خلق هلوعا ثم قال
الا المصلين الخ تحريك تغيير الشيء من مكان الى مكان او من جهة الى جهة نقيض الحركة هي والحركة ما به يتحرك المتحرك
والمتحرك المنتقل من جهة الى غيرها واللسان آلة الكلام والعجلة طلب عمل الشيء قبل وقته الذي هو له وضده الاناة والقرآن

لا يملك فيه الامر والنهي غير الله تعالى وقيل سوق الملك بروحه الى حيث امر الله به ان كان من اهل الجنة تالى علليين وان كان
من اهل النار فالى سجين والساق موضع السوق فلا صدق ولا صلى اى لم يتصدق بشئ ولم يصل لله ولكن كذب بالله وتولى عن
طاعته عن الحسن وقيل معناه لم يصدق بكتاب الله ولا صلى لله ولكن كذب بالكتاب والرسول واعرض عن الايمان عن
قتادة ثم ذهب الى اهله يمطى اى رجع اليهم يتبختر ويختال فى مشيته وقيل ان المراد بذلك ابو جهل بن هشام اولى لك فاولى
هو هذا تهديد من الله له والمعنى وليك المكروه ما يا جهل وذئب منك وجارت الروايتان رسول الله صلعم اخذ بيد ابى جهل
ثم قال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل باى شئ تهددنى لا استطيع انت وربك ان تفعلا بى شيئا وانى
لاعز اهل هذا الوادى فانزل الله سبحانه كما قال له رسول الله وقيل معناه الذم اولى لك من ركوب الامر القبيح وكثر فى الكلام
حتى صار بمنزلة الويل لك وصار من التعريف الذى لا يجوز اظهاره وقيل هو وعيد على وعيد عن قتادة ومعناه وليك
الشر فى الدنيا وليك ثم وليك الشر فى الآخرة وليك والتكرار للتاكيد وقيل بعدا لك من خيرات الدنيا وبعدا لك من
خيرات الآخرة عن الضحاك وقيل اولى لك ما يشاهده يا ابا جهل يوم بدر فاولى لك فى القبر ثم اولى لك يوم القيامة وفاك
ادخل ثم فاولى لك فى النار يحسب الانسان يعنى يا ابا جهل ان يترك سدى مهملا لا يؤمر ولا يهى عن ابن عباس ومجاهد
والالف للاستفهام والمراد للانكار اى لا ينبغى ان يظن ذلك وقيل انزعام اى يظن الانسان الكافر بالبعث لجهله ليفعل
الله ان يترك مهملا من غير امر يعذبه ويثيبه فيه تقويم له واصلاح لما هو اعود عليه فى عاقبة امره واجل بره فى دنياه واخراه
الم يك نطفة من منى يمنى اى كيف يظن ان يهمل وهو يرى فى نفسه من منقل الاحوال ما يمكنه ان يستدل به على ان له
صانعا حكيما اكمل عقله واقتدره وخلق فيه الشهوة فيعلم انه لا يجوز ان خلقه من التكليف ومعنى تمنى اى تقدر
وقيل معناه يصب فى الرحم ثم كان علقة فخلق منها خلقا فى الرحم فسوى خلقه وصور بره اعضاءه الباطنة والظاهرة
فى بطن امه وقيل فسواه انسانا بعد الولادة واكمل قوته وقيل معناه فخلق الاجسام نسواها للافعال وجعل لكل جارحة
ما يختص بها فجعل منه اى من الانسان الزوجين الذكر والانثى وقيل من المنى وهو اخبار منه سبحانه انه لم يخلق الانسان
من المنى ولم ينقله من حال الى حال لم يركبه مهملا وانه لا بد من غرض فى ذلك وهو التعريض للثواب بالتكليف اليس ذلك
الذى فعل هذا قادرا على ان يحيى الموتى وهذا تقرير لهم على ان من قدر على الابتداء قدر على البعث والاعادة فلا من
قدر على النطفة علقة والعلقة مضغة الى ان جعلها حيا سليما مركبا فيه الحواس الخمس والاعضاء الشريفة
التى يصلح كل منها لما لا يصلح له الا خر خلق الذكر والانثى اللذين يصح بهما التناسل قادر بقدرته على اعادته بعد الموت
الى ما كان عليه من كونه حيا وجاء فى الحديث عن القراء ابن عازب قال لما نزلت هذه الآية اليس ذلك بقادر على
ان يحيى الموتى قال قال رسول الله صلعم سبحانك اللهم وبلى وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله وفى الآية دلالة
على صحة القياس العقلى فانه سبحانه اعتبر النشأة الثانية بالنشأة الاولى سورة الدهر وتسمى سورة الدهر
وتسمى سورة الابرار وتسميها بعضهم من تسميها بفاتحتها واختلفوا فيها فقيل مكية كلها وقيل مدنية كلها عن مجاهد وقتادة
وقيل انها مدنية الا قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا عن الحسن وعكرمة والكلبى وقيل انه قوله انا نحن نزلنا عليك
القرآن تنزيلا الى آخر السورة مكى والباقى مدنى عدد آيها احدى وثلثون آية بالاجماع فضلها ابى بن كعب
عن النبى صلعم قال ومن قرأ سورة هل اتى فى كل غداة خميس زوجه الله من الحور العين مائتى عذراء واربعة آلاف
ثيب وكان مع محمد صلعم فى تفسير فاتحة الله سبحانه سورة القيامة دال على صحة البعث خلق الانسان من نطفة
وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن
شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا
واما كفورا انا اعتدنا للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا

عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
قمطريرا عشر آيات القراءة قرأ اهل المدينة وابو بكر عن عاصم سلاسل بالتنوين وكذلك قواريرا قواريرا وتنوين بالالف
على الجميع وقرأ ابن كثير وخلف سلاسل بغير تنوين وقواريرا قواريرا الاول بالتنوين والثاني بغير تنوين ووقفان على
سلاسل وقواريرا الثانية بغير الف وقرأ حمزة ويعقوب بغير تنوين في الجميع ويقفان بغير الف عليها وقرأ ابو عمرو وابن
عامر وحفص بغير تنوين فيها ايضا الا انهم يقفون على سلاسل وقواريرا الاولى بالالف وعلى قواريرا الثانية بغير الف
غير ان سمعا ما يقف على سلاسل ايضا بغير الف الحجة قال ابو علي حجة من صرف سلاسلا وقواريرا في الوصل والوقف
امران احدهما ان ابا الحسن قال سمعنا من العرب من يصرف هذا ويجري في جميع ما لا ينصرف وقال هذه لغة الشعر
لانهم اضطروا اليه في الشعر فصرفوه فجرى السنتهم على ذلك واحملوا ذلك في الشعر لانه موضع تحتمل الزيادة كما احتمل النقص
فاحتملوا التنوين والامر الآخر ان هذه الجمل لما اشبهت الاحاد لانهم قالوا اصل جيادات يوسف فلما جمعت جمع الاحاد
المنصرفة جعلوه في حكمها فصرفوها قال ابو الحسن وكثير من العرب يقول موالهات يريد الموالي وانشد والقوم قد قاذ
فاذا الرجال ما تزيد رايتهم حضع الرقاب نواكس الابصار فهذا كانه جمع ناكس ومن قرأ بغير تنوين وبالالف
فانه جعله كقولهم لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد والحاق الالف في سلاسل وقواريرا كالحاقه في قوله
الظنونا والسبيلا والرسولا يشبه ذلك بالاطلاق في القوافي من حيث كانت مثلها في انها كلام قائم للغة
الدهر مرور الليل والنهار وجمعه ادهر ودهور واصل النطفة الماء القليل وقد يقع على الماء الكثير قال امير المؤمنين
حين ذكر الخوارج مصارعهم دون النطفة يريد بها النهروان والجمع نطاف ونطف قال الشاعر وهما النفس الا نطفة قرار
ازالم يكدر كان صفوا غديرها وواحد الاشاج مشج وشجت هذا اي بهذا اي خلطته وهو مشرج ومشيج وواحد
الابرار مار بخ وناصر وانصار ويروى ايضا والكأس الاناء اذا كان فيه شراب قال عمرو بن كلثوم صددت الكاس عنا
ام عمرو وكان الكاس عهدها التمينا واو في بالعقد وفي به واو في لغة اهل الحجاز وفي لغة تميم واهل نجد والنذر
عقد على فعل ما وجبه الانسان على نفسه تقديرا نذر قال عمرو لشملة والمستطير المنتشر قال الاعشى فبانت وقد
اشارت في الفؤاد صدعا على فايفها مستطيرا والقمطرير الشديد في الشر وقد اقمطر اقمطرارا ويوم قمطرير
قماطر كانه قال الف مخفف بعضه على بعض قال الشاعر بني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم اذا ما كان يوم قماطر الاعراب
قيل ان هل هنا بمعنى قد قال الشاعر لم هل كبير بكى لم يقض عبرته اثر الاحبة يوم البين مشكوم لم يكن شيئا جلة في محل
الرفع لانها صفة معين والتقدير لم يكن شيئا مذكورا واشاج يجوز ان يكون صفة لنطفة ويجوز ان يكون بدلا والتي
بالجمع مثل قولهم رمه اعشار وثوب اسمال ونصبه في موضع نصب على الحال اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء
في هديناه اي هديناه شاكرا او كفورا وقوله عينا في انتصابه وجهان احدهما ان يكون بدلا من كافورا اذا جعلت الكافور
اسم عين فكون بدل الكل من الكل والثاني ان يكون بدلا من قوله من كاس اي يسقون من عين ثم حذف الجار ووصل
الفعل اليه فنصبه والثالث ان يكون منصوبا على المدح والتقدير اعني عينا يشرب بها الباء مزيدة اي يشرب بها
ماها لان العين كالشرب وانما تشرب ماءها المزمل قد روى الخاص والعام ان الآيات من هذه السورة وهي قوله
ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين وفضة جارية لهم نسبي لحضنه
وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وابي صالح والقصة على ما حكيناها انهم قالوا مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما
في وجوه العرب وقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك فنذرا فنذر صوم ثلثة ايام ان شفاهما الله مما هما فيه وكذلت
فاطمة ع وكذلك فضة فبرا وليس عندهم شيء فاستقرض علي ع ثلثة اصوع من شعير من يهودي ووعد ان لقدها

ثم نزل بالمدينة ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت
الى براءة ثم سورة محمد ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل اتى الى قوله فهذا ما نزل بالمدينة ثم قال النبي صلعم جميع سور القرآن مائة
واربع عشر سورة وجميع آيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست وثلثون آية وجميع حروف القرآن ثلثمائة الف حرف
واحد وعشرون الف حرف ومائتان وخمسون حرفا والله اعلم في تعلم القرآن الا السعداء ولا يتعلمه قراءة الا الاولياء الرحمن اقول
قد اتسع بعض الكلام في هذا الباب حتى كاد يخرج عن اسلوب الكتاب وربما نسبنا به الى الاطناب لكن المعرض فيه ان بعض
اهل العصبية قد طعن في هذه العقدة بان قال هذه السورة مكية فكيف يتعلق بها ما كان بالمدينة فاستدل بذلك على الغا
مختزعة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وانها لا اصل لها في بيت رسول الله فاجبت ايضاح الحق في ذلك وايراد البرهان في مضماره وكشف القناع عن
عباد هذا المعاند في دعواه على انه كما تراه محتوى على السر الخفي والمكنون من هذا العلم الذي يستضاء بنوره ويتلألأ بزهوره
وهو معرفة ترتيب السور في التنزيل وحصرها في الجاز والتفصيل اعلم ان ما ذكرناه من ان هذه السورة مكية هو الذي
عليه الاكثر وعلى خلافه المحول والمنكل الحسن فعلى الاول ما اتت على الانسان حين من الدهر وقد كان شيئا الا انه لم
يكن مذكورا لانه كان ترابا وطينا الى ان نفخ فيه الروح وعلى الثاني فالاستفهام بمعنى النفي والتقرير قال الجباي
وهو تقرير على الطف الوجوه وتقديره انها المنكر للقيامة وقدرتنا اليس قد اتى عليك دهر ولم تكن شيئا مذكورا ثم ذكر ما
وكل احد يعلم من نفسه انه لم يكن موجودا ثم وجد فاذا تفكر في ذلك علم انه لطف صانعا عظيما وحكيما احسن تدبيره في الحالين
بالانسان آدم عليه السلام وهو اول من سمي بهذا الاسم وقتادة وسفيان والجباي وقيل ان المراد به كل انسان والاول هو الاظهر والمراد بالجنس
هو الذي سلم وقيل انه اتى على آدم اربعون سنة لم يكن شيئا مذكورا لا في السماء ولا في الارض بل كان جسدا ملقى من طين
قبل ان ينفخ فيه الروح وعن عطاء عن ابن عباس انه ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة وروى الثعلبي باسناده عن عبد الله
ابن بكير عن زرارة قال سالت ابا جعفر عليه السلام عن قوله لم يكن شيئا مذكورا قال كان شيئا ولم يكن مذكورا وباسناده عن سعد
الخدار عن ابي جعفر قال كان مذكورا في العلم ولم يكن مذكورا في الملا وعن عبد الاعلى مولى آل سام عن ابي عبد الله رضي الله عنه
وعن حمران بن اعين قال سالته عنه فقال كان شيئا مقدورا ولم يكن مكونا وفي هذا دلالة على ان المعدوم معلوم وان
لم يكن مذكورا وان المعدوم يسمى شيئا فاذا حملت على الجنس فالمراد انه قبل الولادة لا يعرف ولا يذكر كما يدرك من هو موجود
يراد به بل يكون معدوما ثم يوجد في صلب ابيه ثم في رحم امه الى وقت الولادة وقيل المراد به الخلماء لانهم كانوا لا يذكرون
نصيرهم امعجبا نالعلم مذكورين بين الخاص والعام في حياتهم وبعد مماتهم وسمع عمرو بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرا
هذه الآية فقال ليت ذلك تم يعني ليت آدم بقي على ما كان عليه فكان لا يلد ولا يتناسل الولادة ثم قال سبحانه انا خلقنا الانسان
يعني ولد آدم من نطفة وهي ماء الرجل والمراة الذي يخلق منه الولد امشاج اي اخلاط من ماء الرجل وماء المراة في الرحم فانها
علماء صاحبه كان الشبيه له عن ابن عباس في الحسن وعكرمة ومجاهد وقيل امشاج اطوارا نطفة وطورا علقة وطورا
مضغة وطورا عظاما الى ان صار انسانا عن قتادة وقيل اراد اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة
المراة خضراء وحمراء فهو مختلفة الالوان عن مجاهد والضحاك والكلبي وروي ايضا عن ابن عباس وقيل نطفة مشيجة بدم
الحيض فاذا لحبلت ارتفع الحيض عن الحسن وقيل هي العروق التي تكون في النطفة عن ابن مسعود وقيل امشاج اخلاط من
الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة جعلها الله في النطفة ثم سماه الاسم الحيواني العام
الاخلاط ثم جعل فيه الحيوة ثم شق له السمع والبصر فتبارك الله رب العالمين وذلك قوله فجعلناه سميعا بصيرا وقوله
نبتليه اي نختبره بما يكلفه من الافعال الشاقة ليظهر اطاعته وعصيانه فيجازيه بحسب ذلك قال الفراء معناه
فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه اي لنعبده وناءمره وننهاه والمراد فاعطيناه آلة السمع والبصر ليمكن من السمع والنظر ومعرفة
ما كلف انا هديناه السبيل اي بينا له الطريق ونصبنا له الادلة وارسلنا له الرسل حتى يتمكن من معرفة الحق والباطل وقيل هو

طريق

الخير والشر عن قتادة وقيل السبيل هو طريق معرفة المذين الذي به يتوصل الى ثواب الابد ويلزم كل مكلف سلوكه بهداية العقل والشرع الذي هم جميع المكلفين اما شاكرا واما كفورا قال الفراء معناه ان شكر وان كفر على الجزاء وقال الزجاج معناه اما السعادة واما الشقاوة والمراد اما ان نختار بحسن اختياره الشكر به تعالى والاعتراف بنعمه فنصيب الحق واما ان يكفر بنعم الله وجحد احسانه فيكون ضالا عن الصواب فانما اختار جوزي عليه بحسبه وهذا كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وفي الاية دلالة على ان الله قد هدى جميع خلقه لان اللفظ عام ثم بين سبحانه ما اعده للكافرين فقال انا اعتدنا للكافرين اي هيأنا واوجدنا لهم جزاء على كفرانهم وعصيانهم سلاسل يعني في جهنم كما قال في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وغلالا وسعيرا نارا موقدة نقدمهم بها وتعاقبهم فيها ثم ذكر ما اعد للشاكرين المطيعين فقال ان الابرار وهو جمع البر المطيع لله المحسن في افعاله وقال المحسن هم الذين لا يؤذون الذين ولا يرضون الشر وقيل هم الذين تقصر الحقوق اللازمة والنافلة وقد اجمع اهل البيت عليهم السلام وكثير من مخالفيهم ان المراد بذلك علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لما نذروا بعد هاستفيه فيهم وايضا فقد انعقد الاجماع على انهم كانوا ابرارا وفي غيرهم خلاف يشربون من كاس كان مزاجها كافورا اي ايا زجها كافورا وهو اسم عين ماء في الجنة عن عطاء والكلبي واختاره الفراء قال ويدل عليه قوله عينا وقيل المعنى كالكافور يعني الكافور الذي له رائحة طيبة والمعنى يمازجه ريح الكافور وليس الكافور الدنيا عن مجاهد وقتادة قال قتادة يمزج بالكافور ويختم بالمسك وقيل معناه يطيب بالكافور والمسك والزنجبيل عن ابن كيسان عينا يشرب بها عباد الله اي اولياؤه عن ابن عباس اي هذا الشراب من عين يشربها اولياء الله ويخصهم بانهم عباد الله تشريفا وتبجيلا قال الفراء شربها وشرب بها سواء في المعنى كما تقول كتلت زيدا كلام حسن وكلا ما حسنا قال عنترة شربت بها والذوجين فاصبحت عسرا على طلابها ابن مخرم وانشد الفراء شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج يعني بقرا تقديره اي متى تردت تلك العين حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم من غير مشقة التفجير تشقيق الارض يجري الماء قال وانهار الجنة تجري بغير اخدود فاذا اراد المؤمن ان يجري نهرا خط خطا فاضع الماء من ذلك الخط يجري يعني بعد ثم وصف مجازهم فقال الابرار يشربون بالمذي كانوا في الدنيا بهذه العقيدة والايمان بالنذر هو ان يفعل ما نذر عليه فاذا اتى بطاعة منهم وفى بها عن مجاهد وعكرمة وقيل يفون بما فرض الله عليهم من الواجبات عن قتادة ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي فاشيا منتشرا ذاهبا في الجهات بلغ اقصى المبالغ وسمي العذاب شرا لانه لا خير فيه للمعاقبين وان كان في نفسه حسنا لكونه مستحقا وقيل المراد بالشر هنا الهول يوم القيامة وشدايده ويطعمون الطعام على حبه اي على حب الطعام والمعنى يطعمون الطعام لشدة ما تكون حاجتهم اليه وصحتهم سالمة بالاشراف على انعدامها وفي الحديث عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وآله قال ما من مسلم اطعم مسلما على جوع الا اطعمه الله من ثمار الجنة وما من مسلم كسا مسلما على عري الا كساه الله من خضر الجنة ومن سقى مسلما على ظمإ سقاه الله من الرحيق قال ابن عباس يطعمون الطعام على شهوتهم له وحبهم اياه وقيل الضمير لله تعالى اي يطعمون الطعام على حب الله مسكينا هو الفقير الذي لا شيء له ويتيما وهو الذي لا والد له من الاطفال واسيرا وهو المأخوذ من اهل دار الحرب عن قتادة وقيل هو المحبوس من اهل القبلة عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل الاسير المرأة انما نطعمكم لوجه الله اي لطلب رضاه خالصا لا نريد منكم الرياء وطلب الجزاء وصحة الاخبار بذلك تجزانا شكورا بمعنى مشكورا مثل المقعود والجليس وقيل انهم لم يتكلموا بذلك ولكن علم الله سبحانه ما في قلوبهم فاثنى به عليهم ليرغب في ذلك الراغب عن سعيد بن جبير ومجاهد والمراد لا يطلب بهذا الاطعام مكافاة عاجلة ولا يريدون بشكرنا عليه عند الخلق بل فعلناه لله انا نخاف من ربنا يوما اي عذاب يوم عبوسا اي مكفهرا يعبس فيه الوجوه يوصف اليوم بالعبوس توسعا لما فيه من الشدة وهذا كما يقال يوم صايم وليل نايم قال ابن عباس يعبس فيه الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران قمطريرا اي صعبا شديدا عن ابي عبيدة والمبرد وقال الحسن يعبس حتى ان الله ما سد يجمه

٣٩٩

والاجلال

لم يعتمد على شئ ان يكون ثياب سندس مرتفعة بعاليهم وازدوجت عاليا لانه فعل سقيم قال ابو علي والاجيد قراءة من قال خضر بالرفع واستبرق بالجر لان خضر صفة مجموعة لموصوف مجرور وهو ثياب واما استبرق فجر من حيث كان عطفا اضيفت اليه الثياب كما اضيفت الى سندس كما يقال ثياب خز وكتان ويدل على ذلك قوله ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق ومن قرأ خضر واستبرق فانما اجرى لخضر وهو جمع على السندس لما كان المعنى ان الثياب من هذا الجنس واجاز ابو الحسن وصف هذه الاجناس بالجمع فقال يقول اهلك الناس الدينار صفر والدرهم البيض على اصطلاح لهم من رفع استبرق فانما اراد عطف الاستبرق على الثياب كانه قال ثياب سندس وثياب استبرق فحذف المضاف الذي هو ثياب واقام استبرق مقامه كما انك اذا حملت عليه خزا فالمعنى عليه ثوب خز وليس المعنى عليه الدابة التي هو الخز وعلى هذا قوله كانه خز اخمصه وقال وفرشا محشوة اوراد الفتية الوقار الحفظ والمنع من الاذى وفاه يقيه وقاية ووقفه توقيه قال رؤبة ان الموقي مثلما وقيت ومنه اتقاه وتوقاه واصل السين الظهور فمن ظهور الضرب ومنه شرب الثوب اذا اظهرته الشمس والريح قال وحتى اسرت بالاكف المصاحف اي اظهرت ومنه شرر النار لظهوره وخطايرة والنظرة حسن الالوان ونبت ناضر ونضير ونضر والسرور اعتقاد وصول النافع اليه في المستقبل وقال قوم هو لذة في القلب بحسب متعلقه بما فيه النفع وكل شرور فلابد له من متعلق كالمرء بالمال والولد والسرور بالاكرام والسرور بالخمر والسكر والسرور بالثواب والارائك لا يجال فيها الا سرة واحدها اريكة قال الزجاج الاريكة كل ما يتكأ عليه من مشورة او غيرها والزمهرير اشد ما يكون من البرد والزنجبيل ضرب من القر فرطيب الطعم تخدو اللسان وعبق بالعسل فيستدفع المضار واذا مزج به الشراب فاق في الاذفاذ والعرب تستطيب الزنجبيل جدا قال الشاعر كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها اريا مشورا والسلسبيل الشراب السهل اللذيذ يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل والولدان الغلمان جمع وليد والسندس الديباج الرقيق العاخر لحسوه والاستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق الاعراب واذا رايت ثم قال الزجاج العامل فيه معنى رايت المعنى واذا رميت ببصرك ثم قال الفراء المعنى واذا رايت ما ثم فاطلعه الزجاج في ذلك وقال ان ما يكون موصولة بقوله ثم على هذا التفسير ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة ولكن رايت يتعدى في المعنى الى ما واقول يجوز ان يكون مفعول رايت محذوفا ويكون ثم ظرفا والتقدير واذا رايت ما ذكرنا وثم الخبر ثم اخبر سبحانه بما اعد للابرار الموصوفين في الآيات الاولى من الجزاء فقال فوقاهم الله شر ذلك اليوم اي كفاهم الله وامنع منهم اهوال يوم القيامة وشدايده ولقاهم نضرة وسرورا اي استقبلهم بذلك وجزاهم اي كافاهم بما صبروا اي بصبرهم على طاعته واجتناب معاصيه وبخل بخس الدنيا وشدايدها جنة يسكنونها وحريرا من لباس الجنة يلبسونه ويفرشونه متكئين اي جالسين جلوس الملوك فيها اي في الجنة على الارائك اي الاسرة في الحجال عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل كلما يتكأ عليه فهو اريكة عن الزجاج وقيل الارائك الفرش فرش الاسرة عن ابي مسلم لا يرون فيها اي في تلك الجنة شمسا يؤذيهم حرها ولا زمهريرا يؤذيه برده ودانية عليهم ظلالها يعني ان اغصان اشجار تلك الجنة قريبة منهم وقيل ان ظلال الجنة لا تحيها الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا وذللت قطوفها تذليلا اي سخرت وسهل احتمارها تسخيرا ان قام ارتفعت بقدره وان قعد نزلت عليه حتى ينالها وان اضطجع نزلت حتى تناله يده عن مجاهد وقيل معناه لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك ويطاف عليهم اي على هؤلاء الابرار الموصوفين قيل بآنية من فضة واكواب جمع كوب وهو اناء الشراب من فرغرفة وقيل الاكواب الاقداح عن مجاهد كانت تلك الاكواب قواريرا اي زجاجا قواريرا من فضة قال الصادق يصفق البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج والمعنى ان اصلها من فضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير فترى من خارجها

ما فی داخلها قال ابن علی ان سئل فقیل کیف یکون القواریر من فضة وانما القواریر من الرمل فعنها والمعنی فی ذلک ان الشیء اذا قارب شیئا واستدت ملامسته له قیل انه من کذا وان لم یکن منه فی الحقیقة کقول العبید الا اصبحت خنساء خاویه الوصل وصلة علینا والصبی من الفضل وصدت فاعدانا بحر صدودها وهو من الاخلاق فیلک والحظل وقال الا فی سبیل الله فلتة راق ودمعک مانی القوارب اصفرا فعلی هذا یجوز قواریر من فضة ای هی فی صفاء الفضة وبقایاها قواریر حذف تقدیر حرف المضاف ای وصفاء الفضة وقواریر الثانیة بدل من الاولی ولیست بتکرار وقیل ان قواریر کل ارض من رمالها وارض الجنة فضة فلذلک کانت قواریرها مثل الفضة عن ابن عباس قدروها تقدیرا ای قدروا الکاس علی قدر یرویهم لا یروی ولا تفضل عن الری والبعیر فی قدروها للشاربین ویشتهونها ای فی الجنة کاس کان مزاجها زنجبیلا قال مقاتل لا تشبه زنجبیل الدنیا الذی عن ابن عباس کل ما ذکر الله فی القرآن مما فی الجنة وسماه لیس له مثل فی الدنیا ولکنه سماه باسم الذی یعرف والزنجبیل مما تستطیبه العرب فلذلک ذکره لهم فی القرآن ومعنی هم انهم یسقون فی الجنة الکاس الممزوجة بزنجبیل الجنة فیها ای سلسبیلا ای یمزج الخمر بالزنجبیل والزنجبیل من عین تسمی تلک العین سلسبیلا قال ابن الاعرابی لم اسمع السلسبیل الا فی القرآن وقال الزجاج هو صفة لما کان فی غایة السلاسة یعنی انها سلسلة منسلسل فی الحلق وقیل سمیت سلسبیلا لانها تسیل علیهم فی الطرق وفی منازلهم سبع من اصل العرش من جنة عدن الی اهل الجنان عن ابی العالیة وبه قال وقیل حیث ینبذلک لانها تسیل ماؤها لهم حیث شاؤا من قنادة ویطوف علیهم ولدان مخلدون مر تفسیره اذا رایتهم یعنی اذا رایت اهل تلک الولدان حسبتهم لؤلؤا منثورا من الصفاء وحسن المنظر والکثرة فذکر کونهم وکثرتهم وقیل انما شبههم بالمنثور لانهم فی الخدمة فلو کانوا صفا لتشبهوا بالمنظوم واذا رایت ثم اذا رایت بصریة ثم بعضهم الجنة وقیل ان تقدیره واذا رایت الاشیاء ثم رایت نعیما خطیرا وملکا کبیرا لا یزول ولا یفنی من الصادق نضره وقیل کثیرا الی ولا حد لعینی فی نعم الجنة لا یوصف کثرة دائما یوصف بعضها وقیل الملک الکبیر استیذان الملائکة علیهم ودخولهم بالسلام وقیل انهم لا یرید ملک شیئا الا قدروا وقیل هو ان ادناهم منزلة ینظر فی ملکه من مسیرة الف عام یری اقصاه کما یری ادناه وقیل هو الملک الدائم الابدی فی نعائم الامر وحصول الامانی عالیهم ثیاب سندس من جعله طرفا فهو یمیز ذلک فوقهم ثیاب ستبرق ومن جعله حالا فعلی تمیز لهم ثیاب سندس وهو ما رق من الدیباج ثیاب سندس فیلبسونها خضرا واستبرق وهو ما غلظ منها والاول اولی بها الغلظ فی السلک کما یراد به الغلظ فی النسج قال ابن عباس اما رایت الرجل علیه ثیاب والذی یعلوها افضلها ویسمی اساور من فضة الفضة الشفافة وهی التی یری ما وراءها کما یری من البلور وهی افضل من الدر والیاقوت وهما افضل من الذهب فتلک الفضة افضل من الذهب والفضة والذهب هما ثمان الاشیاء وقیل انهم یحلون بالذهب تارة وبالفضة اخری لیجمعوا محاسن الحلیة کما قال تعالی یحلون فیها من اساور من ذهب والفضة وان کانت دنیة هنا فی الدنیا فهی فی غایة الحسن خاصة اذا کانت بالصفة التی ذکرها والغرض فی الآخرة ما یکبر الاستلذاذ والسرور به لا ما یکبر ثمنه لانه لیست هناک اثمان ویسقاهم ربهم شرابا طهورا ای طاهرا عن الادناس والاقذار لم یدنسها الایدی ولم تدسه الارجل لکونه فی الجنان وقیل طهورا لا تصیر بولا نجسا ولکن تصیر رشحا فی ابدانهم کرشح المسک وان الرجل من اهل الجنة تعتم له شهوة مائة رجل من اهل الدنیا وکلهم وتمتهم فاذا اکل ما شاء سقی شرابا فطهر بطنه وتصیر ما اکل رشحا یخرج من جلده اطیب ریحا من المسک الاذفر وتضمر بطنه وتعود شهوته عن ابراهیم التیمی وابی قلابة وقیل یطهرهم من کل شیء سوی الله اذ لا طاهر من دنس شیء من الکوان الا الله وروی عن جعفر بن محمد رضی ان هذا یعنی ما وصف من النعیم وانواع الملاذ کان لکم جزاء ای مکافاة علی اعمالکم الحسنة وطاعاتکم المبرورة وکانت

سعيكم في مرضاته وقيامكم بما يقربكم زلفى اليه مشكورا اى متقبلا مرضيا جوزيتم عليه فكانه شكر لكم فعلكم قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما تسع آيات القراءة قرأ ابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة عبد الله بن الزبير وليمان بن عثمان والظالمون بالواو للجماعة ووجه الياء قوله تعالى الى من يشاء لتعذيب ووجه التاء انه خطاب للكافر اى وما يشاءون الطاعة والاستقامة الا ان يشاء الله او يكون محمولا على الخطاب لما قوله والظالمون فانه ارجاع مجاز مستأنف قال ابن جني كانه قال الظالمون اعد لهم عذابا اليما ثم انه عطف الجملة على ما قبلها وقدم بعض الرفع الى عندها غير ان قراءة الجماعة اسبق وهو النصب لان معناه وعذب الظالمين فلما اخر هذا الفعل فسره بقوله اعد لهم عذابا اليما وعند الكثر من ان يؤتى لم يشاهد قال الزجاج يقول النحويون اعطيت زيدا وعمرا اعددت له برا فاختاروا النصب على معنى وبررت عمرا اعددت له برا وانشد غيره اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نزا وذئب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطر اللغة الاسر اصله الشد ومنه قتب ماسور اى مشدود ومنه الاسير لانهم كانوا يشدونه بالقد وقولهم خذ هذا امر اى شدة قبل ان يحل ثم كثر حتى صار بمعنى خذه جميعه قال الاخفش من كل محبس شديد اسره سلس القياد نحو له الاعراب قال الزجاج في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا او هاهنا اوكد من الواو كان الواو اذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فاطاع احدهما كان غير عاص لانك امرته ان لا يطيع الاسر واذا قال فلا تطع منهم آثما او كفورا فقد دللت على ان كل واحد منهما اهل ان يعصى وانهما اهل ان يعصيا كما انك اذا قلت جالس الحسن او ابن سيرين فقد قلت كل واحد منهما اهل ان يجالس قال البصير النحوي اذا هذه التي للتخيير اذا قلت اضرب زيدا او عمرا فمعناه اضرب احدهما واذا قلت لا تضرب زيدا او عمرا فمعناه لا تضرب احدهما فهو مم عليه ضربهما لان احدهما في النفي تعم وابن كيسان يحمل النهي على الامر فيقول اذا قال لا تضرب احدهما لم يحرم عليه ضربهما وانما حرم في الآية طاعتهما لان احدهما بمنزلة الآخر في اتباع الطاعة الا ترى ان الاثم مثل الكفور في هذا المعنى قال سيبويه ولو قال لا تطع اثما او الكفور لا نقلب المعنى اذ ذاك لانه حينئذ لا تحرم طاعتهما كليهما المعنى ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فيه شرف وتعظيم لك وقيل معناه فصلناه في الانزال آية بعد آية ولم ينزله جملة واحدة عن ابن عباس فاصبر لما يحمد على امرتك به من تحمل اعباء الرسالة لحكم ربك ان يبلغ الكتاب وتعمل به وقيل انه امر لنبينا صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما كذب فيه الى ان يعيده ولا تطع منهم اى من كفار مكة آثما يعني عتبة بن ربيعة او كفورا يعني الوليد بن المغيرة فانهما كانا ارتجعا عن هذا الامر وقالا نعطيك بالمال والتزويج عن مقاتل وقيل الكفور ابو جهل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقال لئن رايت محمدا يصلي لاطان عنقه فنزلت الآية عن قتادة وقيل ان ذلك عام في كل عاص وفاسق وكافر منهم اى من الناس اى لا تطع من يدعوك الى اثم او كفر وهذا اولى لزيادة الفايدة وعدم التكرير واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اقبل على شانك من ذكر الله والدعاء اليه وتبليغ الرسالة صباحا ومساء اى دايما فاذا الله ناصرك ومويدك ومعينك والبكرة اول النهار والاصيل العشي وهو اصل الليل ومن الليل فاسجد له دخلت من للتبعيض والمعنى فاسجد له في بعض الليل لانه لم يامره بقيام الليل كله وقيل فاسجد له يعني للغرب والعشاء وسبحه ليلا طويلا اى في ليل طويل يريد التطوع بعد المكتوبة وروى عن الرضا نظم انه سالة احمد بن محمد عن هذه الآية وقال ما ذلك التسبيح قال صلوة الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة اى يوثرون اللذات والمنافع العاجلة في دار الدنيا ويذرون وراءهم اى ويتركون امامهم يوما ثقيلا اى عسرا شديدا والمعنى انهم لا يؤمنون به ولا يعملون له وقيل معنى وراءهم خلف ظهورهم وكانها

ابو كثير

محتمل ثم قال سبحانه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم اى قويناهم واحكمنا خلقهم عن قتادة ومجاهد وقيل اسرهم اى مفاصلهم عن الربيع وقيل اوصالهم بعضها الى بعض بالعروق والعصب عن الحسن ولولا احكامه اياها على هذا الترتيب لما امكن تعمل بها والانتفاع منها وقيل شددنا اسرهم جعلناهم اقوياء عن الجبائى وقيل معناه كلفناهم فشددنا هم بالامر والنهى كملا نجاوز احدود الله كما شددنا الاسير بالقد ليلا نهرب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اى اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم ولكن يقيم انما ما للجهة ان هذه السورة تذكره اى تذكير وعظه متذكر بها المرء الآخرة عن قتادة وقيل ان هذه الرسالة التى بيلغها فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اى فمن اراد اتخذ الى رضاء ربه طريقا بان يعمل بطاعته وينتهى عن معصيته وفى هذا دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل وما تشاءون الا ان يشاء الله اى وما تشاءون اتخاذ الطريق الى مرضاة الله اختيارا الا ان يشاء الله احداركم عليه والجاءكم اليه فحينئذ تشاءون ويرتفع ذلك والتكليف زائل ولم تشأ الله هذه المشيئة بل شاء ان تختاروا الايمان ليستحقوا الثواب عن ابى مسلم وقيل معناه وما تشاءون شيئا من العمل بطاعته الا والله يشاء ويريده وليس المراد بالآية انه سبحانه يريد منهم كل ما يشاؤه العبد من المعاصى والمنهيات وغيرها لان الدلائل الواضحة قد دلت على انه سبحانه لا يجوز ان يريد القبائح وتعالى عن ذلك وقد قال سبحانه ولا يريد بكم العسر وما الله يريد ظلما للعباد ان الله كان عليما بخلقه حكيما بمراده يدخل من يشاء فى رحمته اى جنته يعنى المؤمنين والظالمين يعنى ويجزى الكافرين والمشركين اعد لهم عذابا اليما سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية بلا خلاف فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى قال ومن قرأ سورة والمرسلات كتب ليس من المشركين وروى عن ابى عبد الله رضه قال من قرأها عرف الله بينه وبين محمد وآله تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة هل اتى بذكر القيامة وما اعد فيها للظالمين افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاى يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين خمس عشرة آية الفرادة قرا اهل الحجاز والشام وابو بكر ويعقوب وسهل عذرا بسكنة الذال ونذرا بضمها وروى محمد بن الحبيب عن الاعشى عذرا بسكون الذال ونذرا بضمها مثل رواية حماد ويحيى بن ابى بكر وقرا الباقون بسكون الذال وقرا ابو جعفر وقتت بالواو والتخفيف وقرا اهل البصرة غير رويس بالواو والتشديد وقرا الباقون اقتت بالالف وتشديد القاف لغة قال ابو على التذر بالتسكيل والتذير مثل النكر والنكير جميعا مصدران ويجوز فى التذير وجهان احدهما ان يكون مصدرا كالنكير وغذير الحى والآخر ان يكون نعتا يراد به النذر كما ان الاليم بمعنى الوالم ويجوز تخفيف النذر على حد التخفيف فى العنق والعنق والاذن والاذن قال ابو الحسن يقال عذرا او نذرا اى اعذارا او انذارا وقد خففتا جميعا وهما لغتان فاما انتصاب عذرا او نذرا على ثلثة اضرب احدها ان يكون بدلا من الذكر فى قوله فالملقيات ذكرا او الآخر ان يكون مفعول ذكرا فالملقيات ان يذكر عذرا او نذرا والثالث ان يكون منصوبا على انه مفعول له ويجوز فى قول من ضم عذرا او نذرا ان يكون عذرا جمع عاذر او عذور والنذر جمع نذير قال حاتم اما وقد طال التعذر والهجر وقد عذرتنى فى طلابكم العذر فيكون عذرا او نذرا على هذا حالا من الالقاء كانهم يلقون الذكر فى حال العذر والانذار ومن قرا وقتت بالواو فلان الكلمة اصلها من الوقت ومن ابدل منها الهمزة فلانضمام الواو والواو اذا انضمت او كانت وجوه وعدوة ثالثة فى نحو اقتت فانها تبدل على الاطراد همزة لكراهتهم الضمة على الواو والمعنى والمرسلات عرفا يعنى الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وابى صالح فعلى هذا يكون عرفا نصبا على الحال من قولهم جاؤا اليه عرفا واحدا اى متتابعين وقيل انها الملائكة ارسلت بالمعروف من امر الله ونهيه فى رواية اخرى عن ابن مسعود عن ابى حمزة الثمالى عن اصحاب على عنه وعلى هذا يكون مفعولا له وقيل الحرب بها الانبياء جاءت بالمعروف والارسال نقيض الامساك فالعاصفات عصفا يعنى الرياح الشديدات الهبوب والعصوف من الرياح